الموجة الثانية من الانتفاضات تفتقد لدعم النخب

ص6

علي بن فليس
ابن شرعي للنظام الجزائري يبشّر بتغييره

ص8

الأم أيقونة الدراما في مهرجان القاهرة السينمائي

ص15

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/12/01

04 ربيع الثاني 1441

السنة 42 العدد 11545

Sunday 01/12/2019

42nd Year, Issue 11545

أردوغان يتحدى الانتقادات الدولية: الاتفاقية مع السراج أمر واقع

غسان سلامة يحذر من مخاطر الصراع الأميركي الروسي في ليبيا

طرابلس – يسعى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إلى تحويل الاتفاقية البحرية مع رئيس حكومة الوفاق الليبية فائز السراج إلى أمر واقع متحديا الانتقادات الدولية الواسعة لاتفاقية مسقطة وغير قابلة للتنفيذ بسبب وجود حواجز بين الحدود البحرية التركية والليبية، في موقف يزيد من مخاطر تدويل الأزمة الليبية.

يأتي هذا وسط مخاوف المبعوث الأممي إلى ليبيا من صراع روسي أميركي حول مواقع النفوذ في ليبيا.

وشدّد الرئيس التركي على أن بلاده لن تسحب سفن التنقيب من شرق البحر المتوسط (سواحل قبرص) رغم غياب السند القانوني لعمليات التنقيب التركية، مؤكدا أن الاتفاقية التي أبرمتها مع حكومة الوفاق ستطبق بجميع بنودها، و"ستدخل حيز التنفيذ أيضا".

ووصف مراقبون الخطوات التركية في قبرص وليبيا بأنها بلطجة، وأن أردوغان يسعى لإحياء مناطق نفوذ قديمة للعثمانيين دون أي سند قانوني ودبلوماسي، وهو ما يزيد من حالة العداء لتركيا ومصالحها في المنطقة.

وباتت أنقرة معزولة فعليا في محيطها، وبدا ذلك بشكل واضح في عدم دعوتها لمشروع "منتدى غاز شرق المتوسط" الذي يجمع مصر وإسرائيل واليونان وقبرص والأردن وإيطاليا والسلطة الفلسطينية.

وأثارت الخطوة التركية غضب اليونان، حيث استدعت الخارجية اليونانية سفير حكومة الوفاق في أثينا لطلب "معلومات عن مضمون" الاتفاق.

والخميس، طلبت أثينا أيضا من السفير التركي في اليونان تزويدها بمعلومات في هذا الصدد، وفق المصدر نفسه.

وبحسب بيان وزاري، يتوجه وزير الخارجية اليوناني نيكوس دندياس، الأحد، إلى القاهرة حيث يبحث مع نظيره المصري سامح شكري "التطورات الأخيرة في شرق المتوسط على خلفية الاتفاق التركي الليبي".

استهانة بالقوانين والخرائط

وصرح المتحدث باسم الخارجية اليونانية ألكسندروس ينيماتاس، الخميس، بأن "توقيع هذا الاتفاق لا يمكن أن ينتهك الحقوق السيادية للدول الأخرى" لأن "ذلك سيكون انتهاكا صارخا للقانون البحري الدولي".

وقال متابعون للشأن الليبي إن الاتفاقية التي وقع عليها السراج تشرعن الوجود التركي في ليبيا في وقت تزداد فيه مخاطر الصراع الدولي بعد الاتهامات الأميركية الروسية المتبادلة بشأن النفوذ في ليبيا.

وأعلن مبعوث الأمم المتحدة إلى ليبيا غسان سلامة في حديث إلى وكالة فرانس برس أن تدفق الأسلحة إلى ليبيا "من كل جهة" و"التوتر" الناشئ بين واشنطن وموسكو يعقدان سوية النزاع في هذا البلد.

ومنذ سقوط نظام معمر القذافي في 2011 بعد الثورة، تغرق ليبيا الغنية بالنفط في الفوضى مع صراعات على السلطة وانتشار الميليشيات المسلحة.

وعبرت واشنطن مرارا عن قلقها لتدخل روسيا في النزاع إلى جانب قوات الجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر. ونفت موسكو معلومات عن وصول مرتزقة روس لدعم قوات حفتر.

ويسعى سلامة لتنظيم مؤتمر دولي حول ليبيا في برلين وخصوصا لوقف التدخلات الأجنبية وتطبيق الحظر الأممي على الأسلحة المعلن في 2011.

وصرح، الجمعة، في مكتبه بتونس "نلاحظ أن الأسلحة تأتي من كل مكان" مؤكدا أنه يجب الإصرار في برلين على أن تكون لجنة العقوبات الأممية "أكثر فاعلية".

وقال سلامة إن مؤتمر برلين الهادف إلى إعطاء "تغطية دولية لاتفاق محتمل بين الأطراف الليبية" يتوقع أن يعقد مطلع العام 2020 موضحا أنه قد تتم دعوة دول أخرى للمشاركة فيه. وسيعقبه اجتماع بين الأطراف الليبية "على الأرجح خلال النصف الأول من يناير" في جنيف.

وذكر أن العقدة الأولى "تتعلق بالتوتر الروسي-الأميركي حول احتمال وجود شركات أمن روسية في ليبيا" من دون أن يؤكد هذا الوجود.

وأضاف "يتحدث شركاؤنا الليبيون عن ذلك كل يوم تقريبا. لا سبب محددا للشك في هذه المزاعم".

وأوضح أنه سجل "اهتماما أميركيا متناميا" بليبيا "ربما لأنهم يعتقدون بأن هناك وجودا روسيا" في هذا البلد.

واجتمع مسؤولون أميركيون في نوفمبر مع المشير حفتر وعبروا عن "قلقهم العميق لاستغلال روسيا للنزاع".

وقال ديفيد شينكر، مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأدنى في تصريحات صحافية، الثلاثاء، إن "روسيا تنشر قوات بأعداد كبيرة لدعم حفتر".

وأضاف "إن وجود تلك القوات الروسية يزعزع استقرار (ليبيا) بشكل لا يصدق، ويصعد من إمكانية سقوط عدد كبير من الضحايا المدنيين".

لكن دميتري بيسكوف، المتحدث باسم الكرملين وصف الاتهامات الأميركية بأنها أخبار زائفة لا أساس لها من الصحة.

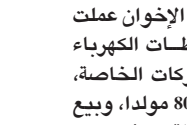

أوهام إيرانية يحرقها العراق

خيرالله خيرالله

ص5

نموذج كارثي لهيمنة إخوان اليمن على تعز

تعز – تصاعد حالة السخط الشعبي جراء ممارسات حزب الإصلاح في محافظة تعز (وسط اليمن) الذي يسعى لإحكام سيطرته على المحافظة وإقصاء المكونات والتيارات السياسية والقوى المدنية التي باتت خارج دائرة الشراكة الوهمية التي يهدف الإخوان إلى استعادتها عبر الإعلان عن تأسيس فرع لتحالف القوى السياسية بالمحافظة.

وأشار بيان صادر عن التحالف الذي يضم عددا من الأحزاب والمكونات المنضوية تحت لافتة الشرعية إلى أن هذا الكيان المستحدث يهدف "إلى حشد كافة الطاقات والعمل كفريق واحد لإنجاز الأولويات وفي مقدمتها استكمال التحرير، واستعادة الدولة"، غير أن مراقبين اعتبروا هذا التحالف الذي يهيمن عليه حزب الإصلاح، محاولة لإضفاء طابع شرعي وغطاء سياسي على ممارسات الإخوان.

وشككت مصادر سياسية في رغبة الإخوان في إعادة تقييم أدائهم الإداري والعسكري وإشراك كافة القوى والمكونات الفاعلة في إدارة محافظة تعز، مشيرة إلى أن الإعلان عن التحالف السياسي تزامن مع عدد من الإجراءات التي تؤكد اعتزام حزب الإصلاح المضي في السيطرة على مفاصل السلطة في المحافظة اليمنية الأكثر سكانا.

ولفتت المصادر إلى أن إعادة الإخوان لقائد محور تعز السابق المثير للجدل خالد فاضل والذي تمت إقالته بموجب صفقة تضمنت إزاحة المحافظ السابق أمين محمود، إضافة إلى تكثيف الإخوان لتحشيد عناصرهم في مؤسسات الجيش والأمن، مؤشر على اعتبار أي تصريحات أو مواقف مهادنة، مجرد جزء من التكتيك السياسي الذي يتبعه حزب الإصلاح لإكمال سيطرته على المحافظات المحررة.

وكشفت مصادر محلية عن منح حزب الإصلاح لأكثر من ثلاثمئة رتبة عسكرية للعناصر التابعة له في محور تعز، تم استثناء معسكر اللواء 35 مدرع الذي لا يخضع لسلطة الإخوان منها.

كما أكدت مصادر خاصة لـ"العرب" استمرار الإصلاح في فتح معسكرات غير رسمية لاستقبال المجندين بإشراف من القيادي الإخواني الموالي لقطر حمود المخلافي ومن ثم إعادة توزيع هذه العناصر على وحدات الجيش والأمن، في عملية لا تتطابق مع أدنى معايير التجنيد في الجيوش النظامية، حيث تقتصر هذه العملية على عناصر الإخوان والفارين من الحدود فقط.

وفي الجانب الأمني، قالت المصادر إن مدير أمن تعز الموالي للإخوان منصور الأكحلي قام بإصدار 17 قرار تعيين في إدارات أمن وأقسام شرطة في مختلف مديريات المحافظة اقتصرت على تعيين ضباط من حزب الإصلاح ولم يتمّ عرض القرارات على المحافظ ورئيس اللجنة الأمنية نبيل شمسان، كما ينص قانون السلطة المحلية.

وتشير تقارير إعلامية وحقوقية إلى قيام قيادات عسكرية وأمنية وقبلية محسوبة على الإصلاح بعمليات نهب طالت منازل وأراضي المئات من المواطنين ورجال الأعمال والمغتربين اليمنيين في الخارج تحت سمع وبصر السلطات المحلية والأمنية.

وحصلت "العرب" على العشرات من الوثائق التي تؤكد تورط قادة عسكريين كبار في عمليات النهب من بينهم المشرف العسكري اللواء المثير للجدل والأمني للإخوان في تعز عبده فرحان الشهير بسالم الذي أقدم على افتكاك الأراضي المجاورة لمنزله رافضا كل الدعاوى القضائية بحقه.

وقالت مصادر خاصة لـ"العرب" إن مسلسل النهب في تعز بدأ منذ بداية الحرب من خلال نهب منازل وأراضي القيادات السياسية المحسوبة على حزب المؤتمر بذريعة "التحوث"، قبل أن تطال الظاهرة منازل وأراضي النازحين خارج المدينة، والمغتربين خارج اليمن.

ويقول المصدر المطلع إن قيادات إخوانية تشرف على نهب الأراضي والمنازل وبيع بعضها، وتحويل أخرى إلى سجون خاصة، أو مساكن للقادة، أو طلب فديات مليونية مقابل مغادرتها.

ويقود العصابات التي تتولى عمليات النهب وفقا للمصدر أقارب من الدرجة الأولى لمسؤولين رفيعي المستوى في المحافظة من بينهم رئيس فرع الأمن السياسي، وقائد اللواء 22 ميكا، وقائد محور تعز والشيخ حمود سعيد المخلافي، والقائد العسكري للإخوان عبده فرحان المخلافي.

> فساد منظم وعصابات تتبع قيادات نافذة تشرف على نهب الممتلكات العامة والخاصة

وتشير مصادر "العرب" في تعز إلى قيام الإخوان بتعطيل شبكة الكهرباء الحكومية من أجل شركاتهم الخاصة وهو ما تسبب في خسارة الخزانة العامة لأكثر من مليار ريال يمني شهريا.

وتعد محطات الكهرباء في مناطق عصيفرة، بئر باشا، النسيرية من بين أبرز المؤسسات الحكومية التي عطلها تنظيم الإخوان، وحرم السكان من التيار الكهربائي منذ بداية الحرب.

وقال مصدر في مؤسسة الكهرباء إن عصابة تابعة لتنظيم الإخوان عملت على نهب مولدات محطات الكهرباء والمنشآت العامة والشركات الخاصة، والتي يصل عددها إلى 80 مولدا، وبيع نصفها خارج المحافظة، وتأسيس شركات خاصة بالمولدات المتبقية.

وتقول المصادر إن الدائرة الاقتصادية للإخوان أقدمت على افتتاح شركات خاصة لتقديم خدمة الكهرباء لسكان المدينة بأسعار مبالغ فيها.

ولفتت المصادر إلى أن الإخوان استغلوا سيطرتهم العسكرية في تأسيس شركات خاصة للكهرباء من المولدات المنهوبة، وأجبروا السكان على الاشتراك بالخدمة.

ويمتلك الإخوان عبر تجارهم -حاليا- أربع شركات خاصة (يمن كو، تعز لايت، النقيب، وضاح اليمن)، بالإضافة إلى مولدات صغيرة تتبع زعماء عصابات تغذي بعض الأحياء بالكهرباء، وتفوق الإيرادات الشهرية لهذه الشركات مليار ريال، وفقا للمصدر.

رئيس وزراء العراق المستقيل يحثّ البرلمان على اختيار خليفته سريعا

بغداد – رضي رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي التضحية بنفسه لإنقاذ النظام السياسي القائم على المحاصصة والفساد. وقال، السبت، إن استقالته مهمة لتفكيك الأزمة وتهدئة الأوضاع، داعيا البرلمان إلى اختيار بديل سريع له.

ومن المقرر أن يعقد البرلمان، اليوم الأحد، جلسة خاصة للنظر في استقالة رئيس الوزراء وبحث البديل.

وأضاف عبدالمهدي في كلمة له أثناء جلسة مجلس الوزراء أنه "لا شك أن المجلس الموقر بأعضائه وكتله سيكون حريصا على إيجاد البديل المناسب بأسرع وقت، لأن البلاد بظروفها الراهنة لا تتحمل حكومة تصريف أمور يومية"، لذلك "أرجو من مجلسكم الموقر إكمال إجراءات منح الثقة لرئيس وزراء جديد وحكومة جديدة ليتسلما المسؤوليات وفق السياقات الدستورية والقانونية المعمول بها".

لكن الخطوات السياسية المختلفة، وخاصة استقالة عبدالمهدي وكل من مدير مكتبه أبوجهاد الهاشمي، والأمين العام للمجلس، حميد الغزي، لم تمنع من استمرار الاحتجاجات التي حافظت على نفس الوتيرة دون أن تعبأ بجلسة البرلمان وما قد يصدر عنها من قرارات أو مواقف.

وواصل المتظاهرون العراقيون احتجاجاتهم في بغداد والمناطق الجنوبية، السبت، معتبرين استقالة رئيس الوزراء المزمعة غير مقنعة ومصرين على "تنحية جميع رموز الفساد".

وأشعل المتظاهرون الإطارات على متن ثلاثة جسور ممتدة على نهر الفرات، فيما تجمع المئات في ساحة الاحتجاج الرئيسية وسط المدينة.

وتجددت التظاهرات في الناصرية رغم القمع الدموي الذي نفّذته قوات الأمن والذي أسفر عن مقتل أكثر من 40 متظاهرا خلال اليومين الماضيين في المدينة.

وارتكبت القوات العراقية والميليشيات الموالية لإيران مجزرة في المدينة بعدما اقتحم متظاهرون القنصلية الإيرانية وأحرقوها في مدينة النجف، مطالبين بخروج إيران من العراق ووقف هيمنتها على البلد.

وفيما عرفت مدينة النجف هدوءا نسبيا، صباح السبت، فإن كربلاء، ثاني أهم مدينة مقدسة لدى الشيعة، شهدت احتجاجات تخللها إطلاق قنابل غازية. وفي الديوانية، خرج الآلاف إلى الشوارع مبكرا للمطالبة بـ"إسقاط النظام".

ويعد الحراك الشعبي الحالي الأكبر الذي شهدته العراق منذ عقود والأكثر دموية، حيث قتل أكثر من 420 شخصا وجُرح 15 ألفا في بغداد ومحافظات الجنوب.

ونظم الآلاف من العراقيين في محافظات شمال وغرب البلاد ذات الغالبية السنية وقفات دعما للاحتجاجات التي تشهدها محافظات الجنوب ذات الغالبية الشيعية.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

السلطة الجزائرية تخفق في تعبئة الشارع لدعم الاستحقاق الرئاسي

المناهضون للانتخابات يخترقون مسيرات محتشمة مؤيدة للسلطة

سياسة الكيل بمكيالين

حاولت السلطة القائمة في الجزائر إبراز الدعم الشعبي لخيارها بتنظيم الانتخابات الرئاسية قريبا من خلال توفير كل الظروف الملائمة لمسيرات مؤيدة لها، لكن الأمر ارتد عليها عندما فشلت هذه التظاهرات، وحتى التنديد بموقف البرلمان الأوروبي الأخير بشأن الوضع السياسي والحقوقي في الجزائر لم تنجح الحكومة في تمريره شعبيا.

صابر بليدي

الجزائر - أخفقت السلطة الجزائرية مجددا في تعبئة الشارع لدعم خيار الانتخابات واستعادة التوازن الميداني مع زخم الحراك الشعبي، بعدما فشلت في تنظيم مسيرات شعبية في العاصمة وفي مختلف مدن ومحافظات البلاد، إذ لم يغير تسخير إمكانيات مؤسسات الدولة وتوفير كل الظروف قناعات الأغلبية الرافضة للاستحقاق الرئاسي.

ونظم المساندون لمقاربة السلطة القائمة على الخروج من الأزمة السياسية عبر بوابة الانتخابات الرئاسية مسيرات شعبية تم تسخير كل الإمكانيات اللوجستية لإنجاحها لكنها لم تتعد حدود المئات من المشاركين في العاصمة والعشرات في بعض المحافظات كما هو الشأن في مدينة المسيلة.

ورفع هؤلاء شعارات ورددوا هتافات داعمة لخيار الانتخابات والمؤسسة العسكرية، وعبروا عن رفضهم للتدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للبلاد، في إشارة إلى بيان البرلمان الأوروبي الأخير المنتقد لوضعية حقوق الإنسان في الجزائر.

ونعت وزير الاتصال والثقافة حسان رابحي، خلال حضوره في ساحة البريد المركزي في العاصمة بمعية السفير الصيني في الجزائر، أعضاء البرلمان الأوروبي بـ"الشرذمة"، وهو ما برز كدليل على تدهور العلاقات بين الطرفين بعد البيان الذي تناول الوضع السياسي والحقوقي في البلاد.

وحمل حضور السفير الصيني رسائل من السلطة الجزائرية لنظرائها الأوربيين حول خيارات التعاون والتحالف المتوفرة لديها، رغم أن الحكومات الغربية لم تتبن مضمون بيان البرلمان الأوروبي.

وبات الحضور الصيني في الجزائر لافتا في الأشهر الأخيرة، لاسيما بعدما عبرت بكين عن دعمها للسلطة الجزائرية وعن تعزيز التعاون بين الطرفين بالاستحواذ على صفقات مهمة في قطاع البناء والإنشاءات، خاصة مع الجهاز المختص في وزارة الدفاع.

وفيما قدرت بعض المصادر عدد المتظاهرين الداعمين للسلطة في مسيرات السبت بنحو ألفي متظاهر في العاصمة، لم يتمكن هؤلاء من تأطير حضورهم الميداني حيث ذابوا وسط مسيرات أخرى حولت الشعارات المساندة للسلطة إلى أخرى مناهضة لها ولخيار الانتخابات، كما حدث الجمعة الأخيرة في الأسبوع الحادي والأربعين من عمر الحراك الشعبي.

ودعا الاتحاد العام للعمال الجزائريين وبعض الجمعيات والمنظمات الموالية للسلطة إلى تنظيم مسيرات شعبية، حيث تقرر السير من أمام مبنى الاتحاد باتجاه البريد المركزي، لكن سرعان ما سيطر المناهضون للسلطة على المسيرة وجعلوها شبيهة بالمظاهرات المعارضة.

وتناقلت شبكات التواصل الاجتماعي حالة من الارتباك ظهرت على تغطية الحدث من طرف وسائل الإعلام الموالية للسلطة، ففيما قدرت مراسلة قناة الشروق المحلية في تغطيتها المباشرة الحاضرين بـ"العشرات" تدخل المذيع المركزي ولفت إلى أن الأعداد بالمئات وليست بالعشرات.

> الحضور الصيني في الجزائر بات لافتا في الأشهر الأخيرة لاسيما بعدما عبرت بكين عن دعمها للسلطة الجزائرية وعن تعزيز التعاون بين الطرفين

وتخيم حالة ارتباك قصوى على دوائر السلطة نتيجة فشلها المتجدد في تعبئة الشارع لصالح خياراتها السياسية، رغم الإمكانيات المتاحة لها والمناورات التي تطبقها على الأرض، على غرار إقرار تقسيم إداري جديد للبلاد رفع بموجبه عدد الولايات (المحافظات) إلى 58 ولاية، بعدما كانت 48 ولاية.

واعتبر ملاحظون أن قرار التقسيم الإداري جاء ضمن خطة لتضخيم منتظر لنسب المشاركة ونتائج الاقتراع الرئاسي القادم، لاسيما وأن الولايات المستحدثة نائية ويسهل التلاعب فيها بالعملية الانتخابية، لتكون بذلك كفة توازي الرفض المتوقع للانتخابات في المحافظات الأصلية خاصة في العاصمة والمدن الكبرى.

وظل الشارع محل رهان بين السلطة والمعارضين لها، وشكل استفتاء ميدانيا طيلة عشرة أشهر من عمر الحراك الشعبي على الخيارات السياسية المتجاذبة بين الطرفين، ولذلك يتم العمل على استعادته ولو جزئيا من أجل إضفاء مصداقية على الاستحقاق الرئاسي الذي من المقرر أن يُجرى بعد أيام قليلة.

ورغم الإجماع على رفض التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للبلاد بين السلطة والمعارضة، إلا أن خلافات عميقة بين الطرفين تجلت حول طريقة الرد على بيان البرلمان الأوروبي، وتشكيك كل طرف في الآخر، في استعمال ورقة التدخل الأجنبي كفزاعة لتمرير أجندته الداخلية.

وفيما عمدت السلطة إلى تعبئة المؤسسات والطبقة السياسية والأهلية الموالية لها لإصدار بيانات تنديد ورفض وتشديد على التمسك بالوحدة والسيادة الوطنية، طالب المعارضون باتخاذ إجراءات عملية كطرد سفير الاتحاد الأوروبي من العاصمة، وعدم الاستقواء في الجانب الموازي بقوى أخرى على إرادة الشعب الجزائري.

واستغرب ناشطون "سياسة الكيل بمكيالين في التعاطي مع السيادة الوطنية"، ففيما يثار لغط كبير حول البرلمان الأوروبي ورفض تدخله في الشأن الجزائري يتم الترحيب في المقابل بالأدوار الروسية والصينية.

وأجرت روسيا مناورات حربية في السواحل الجزائرية مؤخرا، بينما يشارك سفير الصين في مظاهرات داعمة للسلطة.

الحزب الحاكم في موريتانيا لا يقبل السيطرة عليه

نواكشوط - يسعى حزب الاتحاد من أجل الجمهورية الحاكم في موريتانيا إلى تجاوز سيطرة الرئيس الموريتاني السابق على الحزب من خلال نفي تصريحات رئيس اللجنة المؤقتة لتسيير الحزب، والتي دافع فيها عن أحقية ولد عبدالعزيز في ترؤس لجنة تسيير الحزب وذلك في أحدث تطورات للأزمة مع الرئيس الحالي محمد ولد الشيخ الغزواني والخلافات بشأن رئاسة حزب الاتحاد من أجل الجمهورية.

وعقد أعضاء لجنة تسيير حزب الاتحاد من أجل الجمهورية السبت اجتماعا تمت خلاله مناقشة تصريحات رئيس لجنة تسيير الحزب سيدنا عالي ولد محمد خونه بشأن مرجعية الحزب.

وتتوقع المصادر المحلية أن يكون هذا الاجتماع بداية لاتخاذ إجراءات عزل ولد محمد خونه.

وكان ولد محمد خونه المساند لولد عبدالعزيز قد دافع عن ترؤس هذا الأخير للجنة تسيير الحزب معتبرا أنه الأحق بذلك، خلال مؤتمر صحافي عقده الجمعة.

وقال إن مسألة مرجعية الحزب من اختصاص المؤتمر العام القادم للحزب وليست من صلاحية الأشخاص أو الجماعات. وأكد "إن كل ما قيل خلال الأيام الماضية بخصوص مرجعية الحزب مجرد آراء لمن صدرت عنهم، سواء كانوا نوابا، أو غيرهم".

وسبق أن أقر أعضاء اللجنة المؤقتة لتسيير حزب الاتحاد من أجل الجمهورية المناهضين لولد عبدالعزيز -وعددهم 22 من مجموع 27 عضوا باللجنة- بأن المرجعية السياسية للحزب تستمد من الرئيس الحالي محمد ولد الشيخ الغزواني وبرنامجه السياسي حصريا.

ويرفض ولد محمد خونه هذا القرار ويدعم سيطرة الرئيس السابق ولد عبدالعزيز على الحزب. ويلقى هذا الموقف أيضا الدعم من النائب بالبرلمان يجل ولد همید.

وكانت قيادات من حزب الاتحاد من أجل الجمهورية قد أعربت الثلاثاء الماضي عن رفضها لما اعتبرته "محاولة هيمنة" الرئيس السابق للبلاد على الحزب، في ظل تصاعد أزمة الحزب التي أعقبت اجتماعا عقده ولد عبدالعزيز، قبل أسبوع على ذلك بلجنة تسيير الحزب، وهو ما اعتبره المناهضون له محاولة "للتشويش" على المشهد السياسي في البلد.

وأفرزت الخلافات جناحين متصارعين داخل الحزب أحدهما يساند الرئيس السابق ولد عبدالعزيز والآخر يدعم الرئيس الحالي ولد الغزواني. وألقت الأزمة الصامتة بين ولد الغزواني وصديقه ولد عبدالعزيز بظلالها على الاحتفالات التي تم تنظيمها الخميس في مدينة أكجوجت شمال العاصمة لإحياء الذكرى الـ59 لاستقلال موريتانيا، حيث قاطعها الرئيس السابق.

مؤتمر البوليساريو محاولة يائسة لحشد تعاطف دولي

محمد ماموني العلوي

الرباط - أكد مراقبون أن إعلان جبهة البوليساريو الانفصالية تنظيم مؤتمرها القادم في شهر ديسمبر الحالي في بلدة تيفاريتي الواقعة بشمال شرقي الصحراء المغربية ليس سوى محاولة استفزازية للمغرب، بالإضافة إلى أنها محاولة يائسة لحشد تعاطف دولي خصوصا مع توالي انسحاب الداعمين لأطروحة الانفصاليين وتشديد الخناق على جبهة البوليساريو في أي عمليات تسليح مشبوهة ومنها التحقيقات الحالية التي تجريها بعثة المينورسو حول وصول راجمات "بي 300"، ونقلها إلى منطقتين عسكريتين شرق الجدار في الصحراء المغربية.

ولجأت الجبهة الانفصالية إلى حيلة الالتفاف على قرارات مجلس الأمن وتحذيرات الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش التي تدعو إلى عدم تغيير معالم المنطقة العازلة ومنها بئر الحلو وتيفاريتي، لكي تحوّل أنظار المجتمع الدولي عن المآسي الحقوقية والإخفاقات الدبلوماسية والتحاق البعض من قياديها بشبكات التهريب والإرهاب.

وكان المغرب قد أكد، في أبريل الماضي، أنه يحتفظ بحقه في الدفاع عن مناطق تيفاريتي وبئر لحلو والمحبس، التي عرفت العام الماضي تحركات خطيرة من قبل جبهة البوليساريو. وأكد وزير الشؤون الخارجية ناصر بوريطة، آنذاك، أن المغرب لن يقبل بالتحركات المشبوهة في المنطقة العازلة المشمولة بوقف إطلاق النار.

ومع هذه التطورات أصبحت مخاطر انجراف عناصر البوليساريو نحو مستنقع الإرهاب والتطوع لخدمة أجندات الجماعات المتطرفة حقيقة تهدد استقرار المنطقة ككل، عززها ظهور عدد من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان داخل مخيمات تندوف وكتم كل التحركات والأصوات الداعية إلى البحث عن حل واقعي يسهّل الالتحاق بأرض المغرب.

ويرى مراقبون أن جبهة البوليساريو تمر بحالة من التفكك المتقدم الذي يشكل في الواقع تهديدا خطيرا على استقرار المنطقة، خصوصا بعد وقوف المجتمع الاستخباراتي والأمني في الدول الأوروبية والولايات المتحدة على حقيقة ارتباطات مشبوهة بين عناصر جبهة بوليساريو والمنظمات الإرهابية وتلك التي تتاجر بالمخدرات والسلاح في المنطقة.

وقد حذرت سوزان أشكرافت، الوكيل الخاص السابق لوكالة مكافحة المخدرات الأميركية، من أن "المنظمات العسكرية مثل حزب الله قد أنشأت معسكرات تدريب في مخيمات تندوف، في جنوب غرب الجزائر، وتسعى باستمرار لتجنيد الشباب اليائسين من هذه المعسكرات لأغراض إرهابية وتهريب المخدرات والاتجار بالبشر".

وفي سياق متصل، حذرت وزارة الخارجية الإسبانية، قبل يومين، مواطنيها من زيارة معسكرات البوليساريو في منطقة تندوف، مؤكدة أن السفر إلى هذه المخيمات "محفوف بالمخاطر بسبب عدم الاستقرار المتزايد في شمال مالي والنشاط المتزايد للجماعات الإرهابية في المنطقة".

وشددت الخارجية الإسبانية على ضرورة الامتناع عن القيام بأي زيارات لمخيمات جبهة البوليساريو والحدود مع مالي والنيجر وليبيا وموريتانيا، بسبب ارتفاع مخاطر تعرض السياح الأجانب للاختطاف أو لهجمات إرهابية على كامل التراب الجزائري.

وكشفت معطيات استخباراتية عن التخطيط لـ"هجوم خطير في تندوف ضد مواطنين إسبان موجودين في المنطقة أو سيزورنها"، حيث أكدت القائمة بأعمال وزير الدفاع، مارجاريتا روبليس، أن هذا التهديد "حقيقي ومتقدم للغاية وقد يكون وشيكا، لذلك وجهت دعوة لاتخاذ الحذر والتصرف بمسؤولية من جانب كل من يفكر في التوجه قريبا إلى مخيمات تندوف".

وسبق أن حذرت السلطات المغربية من تحول مخيمات تندوف إلى مرتع للجماعات الإرهابية المسلحة ولشبكات الاتجار الدولي بالمخدرات والبشر. ويعتقد سعيد الخمسي، نائب رئيس المركز الأطلسي للدراسات الأمنية والتحليل الاستراتيجي، أنه يجب قراءة تحذير إسبانيا لرعاياها من السفر إلى المخيمات ضمن المستجدات الأخيرة، وآخرها تفكيك عصابة إجرامية بطانطان على علاقة بأفراد من جبهة البوليساريو.

وكانت عناصر فرقة الشرطة القضائية بمدينة طانطان -وسط المغرب- مدعومة بالفرقة المحلية للتدخل، قد أوقفت في 21 نوفمبر الماضي، خمسة أشخاص يشتبه في ارتباطهم بشبكة إجرامية تنشط في مجال التهريب والاتجار الدولي بالمخدرات، على علاقة بأفراد من جبهة البوليساريو.

وقال الخمسي إن تفكيك هذه الخلية يثبت مرة أخرى أن أفراد جبهة البوليساريو قد حولوا مخيمات تندوف "إلى فضاء للمتاجرة بالمخدرات والسلاح،" معتبرا أن الفراغ الأمني في شمال مالي وجنوب موريتانيا وجزء كبير من جنوب الجزائر أعطى هامشا من التحرك الحر للجماعات الإرهابية والإجرامية في الساحل، وهو ما سهل نسج مصالح مشتركة لها مع جبهة البوليساريو.

رفع منسوب المخاطر

> الجبهة الانفصالية تلجأ إلى حيلة الالتفاف على قرارات مجلس الأمن لكي تحوّل أنظار المجتمع الدولي عن المآسي الحقوقية والإخفاقات الدبلوماسية

ولم يأت تحذير الأجهزة الاستخباراتية الإسبانية من فراغ، فقد ظهرت مؤشرات ومعطيات من خلال دراسات وتقارير استخباراتية تؤكد تقارب البعض من عناصر البوليساريو مع المنظمات الإرهابية المنتشرة على جغرافية الصحراء والساحل.

وقد رصدت الولايات المتحدة مكافأة مالية قدرها 5 ملايين دولار على رأس عدنان أبوالوليد الصحراوي القيادي السابق في البوليساريو والعضو البارز في تنظيم الدولة الإسلامية بالصحراء الكبرى.

ولم تخف الارتباطات بين الجماعات الإرهابية العاملة في شمال أفريقيا ومنطقة الساحل بجبهة البوليساريو.

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

الترهيب والقتل سلاح الميليشيات لإسكات العراقيين

مجلس القضاء الأعلى يتوعد المعتدين على المتظاهرين بأشد العقوبات

تشترك أعمال العنف الدموية التي تستهدف المحتجين العراقيين في كونها تستخدم نفس وسائل التهديد والترهيب والاعتقال والقتل إلى جانب أنها تركز على الناشطين الذين ينتقدون صراحة إيران والفصائل التي تدعمها في العراق والذين يعرفون بمواقف مناهضة للحكومة، ما يجعل كل الشكوك وأصابع الاتهام تتجه نحو عناصر مجهولة تعمل تحت إمرة ميليشيا مدعومة من طهران ومكلفة بتنفيذ أجندتها في العراق.

الهروب إلى المجهول

بغداد – أصدر مجلس القضاء الأعلى في العراق السبت بيانا يتوعد فيه المعتدين على المتظاهرين بتطبيق "أشد العقوبات" وفق القانون العراقي.

وأكد المجلس "سوف تتم معاقبة من اعتدى على المواطنين من المتظاهرين السلميين، بأشد العقوبات وفق قانون العقوبات العراقي".

وقتل 70 متظاهرا يومي الخميس والجمعة في مدينتي النجف -مركز المحافظة التي تحمل نفس الاسم- والناصرية مركز محافظة ذي قار، برصاص قوات أمنية و"ميليشيات" مجهولة، وفق المصادر المحلية.

وأسفرت أعمال العنف في العراق منذ أول أكتوبر الماضي، عن مقتل مئات الأشخاص وإصابة آلاف آخرين.

ويقول الكثير من العراقيين إن مسلحين مجهولين يعملون لحساب فصيل تدعمه إيران متورطون في الكثير من أعمال القتل التي تستهدف الناشطين المناهضين للحكومة، ومن بينهم حسين عادل المدني وزوجته سارة طالب اللذان قتلا العام الماضي. وهذه الاغتيالات هي شكل من أشكال الانتهاكات التي تستهدف المحتجين العراقيين إلى جانب الاعتقالات الجماعية والترهيب والتعذيب.

وبعد أن داهم مسلحون بيت حسين عادل المدني وزوجته العام الماضي قضى الناشطان العراقيان شهورا في منفى اختياري في تركيا ثم غيرا عنوان إقامتهما عندما عادا إلى الوطن وامتنعا عن المشاركة في الاحتجاجات. هذا ما رواه اثنان من أصدقاء الزوجين.

غير أن الصديقين ومصدرين أمنيين مطلعين قالوا إن مسلحين مجهولين يعتقد أنهم من الناشطين الذين يعملون لحساب فصيل تدعمه إيران قتلوا الزوجين رميا بالرصاص في بيتهما بمدينة البصرة الجنوبية بعد يوم واحد من تفجر المظاهرات المناهضة للحكومة في بغداد خلال أكتوبر. وكانت سارة حاملا مضت على حملها عدة أشهر.

وقال ناشطون ومسؤول حكومي إن ستة ناشطين على الأقل قتلوا بالرصاص في بيوتهم أو بالقرب منها خلال العام الأخير في ما يبدو أنه اغتيالات محددة الأهداف.

وقال المسؤول الحكومي والناشطون إنهم يعتقدون أن فصيلا مدعوما من إيران وراء حوادث القتل لأن القتلى وجهوا انتقادات صريحة للفصائل وتلقوا أيضا تهديدات استنادا إلى نشاطهم المناهض للحكومة والمعادي لإيران.

ولم يسبق نشر شيء عن عدد القتلى أو تفاصيل أساليب الترهيب المستخدمة في تلك الحملة. ويقول عدد من الناشطين إن هذه الأساليب ترقى إلى ما يعتبرونه حملة الهدف منها هو إسكات المعارضين؛وذلك بأن تدفعهم إما إلى التخلي عن المشاركة في الاحتجاجات وإما إلى التفكير في الهروب إلى الخارج.

وقال مسؤول إيراني -تحدث مشترطا عدم الكشف عن هويته- إن اتهامات ارتكاب فصائل تحظى بدعم إيران لعمليات قتل وتهديد "لا أساس لها".

ولم يتسن الاتصال بأحمد الأسدي المتحدث باسم هيئة الحشد الشعبي التي تضم أكبر الفصائل المدعومة من إيران للتعليق. وسبق أن نفت الهيئة ضلوعها بأي شكل من الأشكال في قتل المحتجين والناشطين. وامتنع المتحدث باسم الحكومة سعد الحديثي عن التعليق على اغتيال الناشطين.

وتقول السلطات العراقية إنها اعتقلت حوالي 2500 محتج وأطلقت سراحهم وإن هناك 240 آخرين محتجزين بسبب تهم جنائية. وسقط أكثر من 400 قتيل منذ أكتوبر خلال أكبر تحد للطبقة السياسية التي يهيمن عليها الشيعة والمدعومة من إيران والتي ظهرت على مسرح الأحداث بعد الاجتياح الأميركي للعراق عام 2003 والإطاحة بحكم صدام حسين.

ويمثل المحتجون -وكثيرون منهم دون سن الثلاثين- شريحة من مختلف قطاعات المجتمع تطالب بإصلاح النظام السياسي الذي ظهر بعد 2003 ويقولون إنه أدى إلى نهب موارد الدولة ودفع بالناس العاديين إلى صفوف الفقراء. وقد تزايدت انتقادات هذه الشريحة للدور المهيمن الذي تلعبه إيران في البلاد.

ويقول مسؤولان أمنيان عراقيان إنه ليس من الغريب أن يتعرض المعتقلون للضرب والصدمات الكهربائية والإجبار على توقيع تعهدات بعدم التظاهر أو التحدث مع وسائل الإعلام.

وقال مسؤول أمني عراقي إن رؤساء الأجهزة الأمنية العراقية منحوا قواتهم الضوء الأخضر لاحتجاز "أي شخص يشتبهون أنه يشكل تهديدا أمنيا أو يشارك في التحريض على الاضطرابات".

ونفى الحديثي تعرض المحتجين للتعذيب أو العنف، وأضاف "هنالك جهات قضائية تتولى التحقيق مع المعتقلين، لا يمكن التجاوز أو القيام بأي شكل من الأشكال بالعنف ضد المعتقلين، هنالك إشراف من قبل وزارة العدل ومجلس القضاء على عمليات التحقيق التي تجري مع المعتقلين. الحديث عن تعذيب أو عنف ضد المعتقلين لا يوجد".

وقال اللواء عبدالكريم خلف، المتحدث الرسمي باسم الجيش، "إذا وُجد عمل من هذا النوع فهذا عمل غير قانوني. لم نتأكد من هذا، وإذا وُجدت أدلة قدمها الناشطون فنحن على استعداد لتبنيها".

وتقول السلطات العراقية إن بعض المحتجين حاولوا التحريض على العنف بعد إحراق ممتلكات في بغداد ومقار عدد من الأحزاب التي تسير على نهج إيران في المدن الجنوبية. وتضيف السلطات أن أكثر من عشرة أفراد من قوات الأمن قتلوا وأصيب العشرات بجروح في الاضطرابات.

وأضرم متظاهرون النار الخميس في القنصلية الإيرانية في مدينة النجف الجنوبية المقدسة في أقوى تعبير حتى الآن عن المشاعر المناهضة لإيران بين المحتجين العراقيين مع اتساع الهوة بين النخبة الحاكمة المتحالفة في أغلبها مع إيران وبين أغلبية عراقية يتزايد شعورها باليأس ولا تتاح لها فرص تذكر ولا تحظى بدعم يذكر من الدولة.

وكان حسين عادل المدني (25 عاما) وزوجته (24 عاما) من بين المحتجين الذين عارضوا صراحة نفوذ الفصائل المدعومة من إيران والتي تم إدراجها رسميا تحت لواء القوات المسلحة بعد أن ساعدت الحكومة على هزْم تنظيم الدولة الإسلامية في 2017.

وقال عباس، صديق المدني المقرب وجاره السابق، إن الزوجين كانا من أوائل من شاركوا في الاحتجاجات التي شهدتها مدينة البصرة في العام الماضي.

وأضاف "لكنهما اضطرا إلى التوقف. داهم مسلحون بيتهما في ساعة متأخرة في 2018 وطلبوا منهما كتابة أسماء محتجين آخرين". وأضاف أن الزوجين اتهما بالمساعدة في إحراق القنصلية الإيرانية في البصرة وتدميرها.

> مسؤولون أمنيون يقولون إن فصائل مدعومة من إيران قد نشرت قناصة على أسطح في بغداد خلال الاحتجاجات ضد الحكومة

ولم يقل المصدران ما هي الجهة التي يعتقدان أنها وراء مقتل الزوجين. وقال المصدران إن سلطات التحقيق تتعامل مع الأمر على أنه جريمة قتل متعمدة ارتكبتها جماعة مسلحة مجهولة.

وردا على سؤال عما إذا كان رجال فصائل مدعومة من إيران قتلوا الزوجين لإسكاتهما قال المسؤول الحكومي "فصيل قوي هددهما فهربا وعندما عادا قتلا. الكل يعرف من قتلهما لكنه لا يجرؤ على النطق به". ولم يذكر المسؤول اسم الفصيل.

وسقط محتجون آخرون قتلى في ظروف يقول ناشطون وبعض المسؤولين الحكوميين إنها تشير بإصبع الاتهام إلى فصائل تدعمها إيران لأن المحتجين أبدوا معارضتهم لها صراحة، لكنها لا تزال قيد التحقيق.

وقال المسؤولان الأمنيان إن مسلحين في سيارات لا تحمل علامات مميزة قتلوا اثنين من الناشطين البارزين في نوفمبر باستخدام مسدسات مزودة بكاتم للصوت في حادثين منفصلين في بغداد ومدينة العمارة الجنوبية.

وفي الحادث الذي وقع في بغداد أطلق النار على عدنان رستم (41 عاما) وهو عائد من احتجاج مناهض للحكومة في الحي الذي يسكن فيه والذي يهيمن عليه فصيل مدعوم من إيران. وسئل مصدران بالشرطة المحلية عما إذا كان الفصيل الذي تدعمه إيران هو المسؤول فقالا إن دور رستم في الاحتجاجات هو سبب قتله.

وقد طالبت لجنة حقوق الإنسان في البرلمان العراقي الحكومة بالتحقيق في "اغتيالات وعمليات اختطاف" لناشطين ومدونين، بما في ذلك مصرع رستم.

وذكرت تقارير إعلامية سابقة، وفقا لمسؤولين أمنيين عراقيين، أن فصائل مدعومة من إيران قد نشرت قناصة على أسطح في بغداد خلال الاحتجاجات المناهضة للحكومة في أكتوبر.

وقال أربعة ناشطين إنه تم القبض عليهم خلال العام الأخير، وقال اثنان منهم إنهما تعرضا للاعتقال والضرب في الأسابيع الأخيرة. وطلب الأربعة عدم نشر أسمائهم خشية أن تستهدفهم قوات الأمن أو الفصائل.

السودانيون يطالبون بالعدالة لقتلى الاحتجاجات

الخرطوم – شارك المئات من المحتجين في مسيرة وسط العاصمة الخرطوم السبت للمطالبة بالعدالة للمتظاهرين الذين قتلوا في الاحتجاجات ضد الرئيس السوداني المعزول عمر البشير.

وقتل أكثر من 250 متظاهرا وأصيب المئات في الاحتجاجات التي اندلعت في ديسمبر الفائت واستمرت أشهرا، حسب قوى الحرية والتغيير التي نظمت الاحتجاجات.

وأطاح الجيش السوداني بالبشير، الذي حكم البلاد بقبضة من حديد على مدى 30 عاما، في أبريل الماضي بعد الاحتجاجات التي أطلقتها أزمة اقتصادية حادة.

وفي 21 سبتمبر الماضي، أصدر رئيس الوزراء عبدالله حمدوك، قرار تشكيل لجنة تحقيق مستقلة في فض الاعتصام، بموجب نصوص الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية لعام 2019.

وسار المحتجون من ميدان رئيسي في وسط العاصمة إلى مكتب رئيس الوزراء عبدالله حمدوك، لمطالبة السلطات بإحقاق العدالة لقتلى الاحتجاجات ومعرفة مصير المفقودين.

وحمل المحتجون الأعلام الوطنية وتجمعوا أمام مكتب حمدوك في الخرطوم مرددين هتافات لتحقيق العدالة، كما هتفوا بشعار "الدم قصاد (مقابل) الدم".

وانتشر العشرات من رجال الشرطة في المكان حيث أطلق المحتجون الصفارات والزغاريد وصفقوا وهتفوا بشعارات ثورية.

وقال المتظاهر نزار بن سفيان "نطالب بالعدالة لشهدائنا. نخاف ألا تتم محاكمة المجرمين". وأوضح أن المحتجين يرحبون بقرار السلطات الخميس حلّ حزب البشير.

وأقرت السلطات الانتقالية قانونا لحل الحزب الحاكم السابق وألغت قانون النظام العام الذي كان مستخدما إبان حكم البشير لتنظيم سلوكيات النساء والآداب العامة، إذ يرى المتابعون أن تنفيذ هذه القرارات على أرض الواقع يعد اختبارا مهما لمدى استعداد السلطات الانتقالية أو قدرتها على التخلص من حكم البشير الذي دام نحو ثلاثة عقود.

ورغم إشادته بالقرارات الأخيرة للسلطة الانتقالية، قال بن سفيان "لكننا لم نر أي خطوات من الحكومة حتى الآن لكشف مصير المفقودين أو محاكمة قتلة المتظاهرين".

ويقبع البشير والعديد من كبار قادة نظامه حاليا في السجن بينما يخضع للمحاكمة بتهم الفساد.

ومنذ أغسطس، يحكم مجلس سيادي عسكري مدني البلاد بقيادة الفريق عبدالفتاح البرهان، فيما تسيّر حكومة يقودها حمدوك الشؤون اليومية.

نووي إيران أول ملفات الرئيس الجديد للوكالة الدولية للطاقة الذرية

نورالدين فريضي
كاتب وصحافي تونسي

يتوقع أن يكون مستقبل الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة 5 زائد واحد على أجندة الرئيس الجديد للوكالة الدولية للطاقة الذرية رفائييل ماريانو غروسي الذي سيتولى مهامه في الثالث من ديسمبر الجاري غداة مصادقة الجمعية العامة لدول الوكالة على تعيينه، خلفا للياباني يوكيا آمانو الذي توفي في يوليو الماضي.

ويعد مسار تآكل الاتفاق النووي الإيراني، الذي انسحبت منه الولايات المتحدة العام الماضي مرشحا للاستمرار بشكل تدريجي، وفق خطوات متتالية افتتحتها إيران في مايو الماضي بخفض تعهداتها بموجب الاتفاق، ردا على العقوبات الأميركية أحادية الجانب، وعلى عجز الدول الأوروبية عن تأمين بدائل مالية تخفف من وطأة "سياسة أقصى الضغط الأميركية".

رفائيل ماريانوغروسي سيكون الشاهد الأول على عملية لي الذراع المتواصلة بين إيران والولايات المتحدة؛ حيث تواصل واشنطن قطع موارد طهران المالية، فيما رفضت الأخيرة، رغم شدة العقوبات، اتخاذ خطوات حاسمة من شأنها تخفيف التوتر على الصعيد الإقليمي.

اختارت طهران استغلال الاتفاق النووي لرفع مستوى نشاطات التخصيب وزيادة حجم المخزون. وأبلغ المدير العام بالنيابة للوكالة الدولية للطاقة الذرية، كورنيل فيروتا، مجلس المحافظين الخميس 21 نوفمبر أن طهران "نشرت أجهزة طرد مركزية جديدة في مفاعل نطنز لأغراض التخصيب وليس فقط لتطوير الأبحاث".

وأضاف أنها "استأنفت أيضا تخصيب اليورانيوم في مفاعل فوردو" المحصن في منطقة جبلية. كما تجاوز مخزونها من الماء الثقيل إلى أكثر من السقف المحدد 130 مترا طنيّا. كما ارتفع حجم مخزون إيران من اليورانيوم منخفض التخصيب إلى 372 كيلوغراما في الأسابيع الأخيرة. وتتراوح نسبة التخصيب بين 3.67 بالمئة المسموح بها في الاتفاق و4.5 بالمئة.

قد تحتدّ الأزمة بين إيران وبعض الأطراف الدولية بسبب مشكلة مواد نووية غير معلنة في بلدة تورقوز آباد، جنوب طهران، كانت إسرائيل كشفت عنها في وقت سابق.

ولا يزال خبراء الوكالة الدولية ينتظرون من إيران، منذ يناير 2019، إجابات مقنعة على الأسئلة التي طرحوها بشأن "جسيمات نووية بشرية المنشأ" عثروا عليها في الموقع غير المعلن.

ونقل مصدر دبلوماسي لـ"العرب" أن إيران قدمت رواية غير مقنعة تشير إلى مستودع مواد صناعة السجاد التي استقدم جزء منها من منطقة عباس آباد حيث توجد مناجم اليورانيوم الطبيعي". لكن الرواية تبدو هزيلة. ومن المقرر أن يستأنف خبراء الوكالة والمسؤولون الايرانيون بحث المشكلة هذا الأسبوع في طهران.

وتدعو أطراف عدة، منها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ودول المنطقة، إيران إلى وقف التصعيد والتراجع عن الخطوات التي قطعتها وإلى استئناف تنفيذ التزاماتها بموجب الاتفاق. وأكدت سفيرة الولايات المتحدة لدى الوكالة الدولية، جاكي ولكوت، في اجتماع مجلس المحافظين أن "التصعيد النووي لا يزيد سوى تشديد الضغط المسلط على إيران والأزمة التي صنعتها بفعلها". ورأت ولكوت أن "سياسة حافة الهاوية وخطة الابتزاز لا تحل المأزق الحالي ولن تخفف العقوبات المفروضة على إيران". من ناحيتها، رأت السعودية أن خطوات إيران "تؤكد قصور الاتفاق النووي وتعزز الشكوك حول نوايا وسلمية برنامج إيران النووي".

وقال سفير المملكة لدى الوكالة الأمير عبدالله بن خالد بن سلطان بن عبدالعزيز

ابتزاز متواصل

"إن التجاوزات الإيرانية المستمرة في ما يتعلق ببرنامجها النووي مع ما تم الكشف عنه مؤخرا من وجود مواد نووية في موقع غير معلن عنه في إيران وعدم تقديم الجانب الإيراني معلومات وافية ومتسقة مع نتائج تحليل العينات التي أخذتها الوكالة من الموقع، يكشف للجميع الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه وطموحها في هذا المجال".

وردا على ملاحظات المدير العام بالنيابة ومداخلات دول عدة طالبت فيها إيران باستئناف التزاماتها بموجب الاتفاق النووي، قال مندوبها لدى الوكالة، كاظم غريب عبادي، إن الولايات المتحدة هي الطرف الذي خرج من الاتفاق وأن الدول الأوروبية الثلاث (بريطانيا، فرنسا، المانيا) "لم تتخذ أي خطوة عملية ذات مصداقية تعيد الثقة التي فقدها الاتفاق".

وأضاف عبادي أن إيران انتظرت سنة كاملة، بعد خروج الولايات المتحدة من الاتفاق، من دون أن تقابل بأي خطوة عملية. وأضاف أن "الخطوات التي شرعت إيران في تنفيذها في الثامن من مايو 2019 تتم بمقتضى الاتفاق النووي في نطاق الشفافية. وهي خطوات تدريجية تمكن إيران من وقف تنفيذ التزاماتها خطوة – خطوة وبصفة هادفة ولكنها قابلة للتراجع".

يجد الموقف الإيراني تفهما لدى بعض الدول وخاصة روسيا والصين اللتين تشجعانها على التريث وتدعوان من ناحية أخرى فرنسا إلى استئناف الجهود الدبلوماسية تجاه الولايات المتحدة من أجل إخراج الاتفاق النووي من المأزق.

وقال مندوب روسيا لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، في فيينا، ميخائيل أوليانوف، لـ"العرب"، إن خطوات تقليص إيران تنفيذ تعهداتها "مؤسفة" لكنها "ليست انتهاكا للاتفاق". ويفضل الدبلوماسي الروسي الحديث عن "انحرافات" من جانب إيران عن مسار الاتفاق. وقال "دول مجلس المحافظين كافة تقريبا تريد الحفاظ على الاتفاق. الولايات المتحدة معزولة في هذه المسألة".

ويعتبر "سلوك إيران ردا على سياسة أقصى العقوبات الأميركية". وقال أوليانوف "روسيا ليست سعيدة بما يحدث لكنها تتفهم منطق إيران". ويعتقد بأن "لا وجود لخطر الانتشار النووي لأن الخطوات الإيرانية كافة تجري تحت مراقبة مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية".

تجاوزت إيران السقوف المحددة في الاتفاق النووي ولكن بشكل محدود إلى حد الآن. حجم المخزون من اليورانيوم لا يتجاوز ثلث الكمية الضرورية لصنع القنبلة النووية. ثم إن مستوى التخصيب لم يتجاوز 4.5 بالمئة أي دون نسبة 20 بالمئة التي بلغتها إيران قبل الاتفاق الانتقالي في 2013.

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

السعودية والإمارات تفتحان باب السباق المشترك نحو العشر الأوائل عالميا

نموذج استثنائي للتعاون العربي

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

هناك شيء ما مختلف في سياقات التعاون الثنائي بين الدول العربية، تعكسه العلاقات السعودية الإماراتية التي بلغت مرحلة متقدمة من التنسيق التكاملي المنطلق من رؤية إستراتيجية لا تقف عند الآن وهنا، وإنما تتجاوزهما إلى آفاق إقليمية ودولية ومستقبلية شاسعة، بمشروع عربي حضاري حداثي تقدمي واع بكل التحديات ومستعد لتحقيق مختلف الرهانات.

اليوم، وفي ظل سياسة المحاور، وفي وقت تتنافس فيه المشاريع التوسعية الإقليمية لكل من إيران وتركيا وإسرائيل على بسط نفوذها في المنطقة، يبدو المشروع السعودي الإماراتي عنوانا لمرحلة النهوض العربي، واعدا بالتأسيس لمرحلة جديدة في تاريخ العرب، على أسس عملية، ووفق خطط علمية، الهدف منها تشكيل قطب إقليمي ودولي فاعل سياسيا واقتصاديا وثقافيا، وقادر على تحصين الأمن القومي العربي بالتصدي لكل المؤامرات والأطماع الخارجية، وعلى بناء منظومة إستراتيجية بمقاسات القدرة على مواجهة مختلف أشكال التحولات الدولية.

جاءت زيارة ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان إلى أبوظبي، الأربعاء، لتؤكد على هذا التوجه الذي جسدته أجواء ومضامين ونتائج الاجتماع الثاني لمجلس التنسيق السعودي ـ الإماراتي بهدف تفعيل محاور التعاون المشترك للتكامل بين البلدين اقتصاديا وتنمويا ومعرفيا وعسكريا، حيث أشار ولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد إلى الإنجازات والنتائج الإيجابية الكبيرة التي حققها مجلس التنسيق على أرض الواقع، وإطلاقه خلال الفترة القصيرة الماضية مبادرات نوعية لتحقيق رفاهية شعبي البلدين من خلال 20 مجالا تنمويا مشتركا من بينها الاقتصاد والأمن والتنمية البشرية وغيرها.

وأكد الشيخ محمد بن زايد آل نهيان أن اقتصاد البلدين المشترك يحتل المرتبة السادسة عشرة عالميا، ويمكن العمل من أجل أن يصبح من أكبر 10 اقتصادات في العالم، كما تتعدى الاستثمارات الخارجية الإماراتية السعودية حاليا 250 مليار دولار في قطاعات اقتصادية مختلفة وتعد صناديقهما الاستثمارية في المركز الأول عالميا، وأسواقهما المالية تتعدى 720 مليار دولار، مبرزا أن هذا النموذج الفريد من نوعه في التكامل لا يعود بالنفع على الدولتين فقط، بل يقود قاطرة التعاون الخليجي، ويقدم نموذجاً استثنائياً للتعاون العربي – العربي، ويضع البلدين في مكانة متميزة على خارطة التحالفات العالمية.

إن تلك الأرقام والمعطيات التي أوردها ولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد في كلمته تقدم صورة واضحة عن مستوى تطلعات البلدين لاحتلال مكانة متقدمة عالميا تصل إلى سباق الدول العشر الأولى، وبالتالي ستكون الأبرز في مستوى المنطقة العربية والشرق الأوسط، وستتزاحم مع الدول المصنعة الأبرز في الغرب وفي جنوب شرق آسيا، لتفرض نفسها كصاحبة قرار سياسي واقتصادي متقدم في العالم.

المشروع السعودي الإماراتي عنوان لمرحلة النهوض العربي، وتأسيس لمرحلة جديدة في تاريخ العرب، على أسس عملية، ووفق خطط علمية، الهدف منها تشكيل قطب إقليمي ودولي فاعل سياسيا واقتصاديا وثقافيا، وقادر على تحصين الأمن القومي العربي

وتبدو رؤية الشيخ محمد بن زايد كجزء من طموحات بلاده التي تسابق الزمن لتكريس نفسها كواحدة من الدول الصاعدة بمؤشرات يحتل بعضها المرتبة الأولى دوليا، وهي رؤية تتفاعل إيجابيا مع رؤية المملكة وولي عهدها الأمير محمد بن سلمان الذي أكد أن عمق العلاقات بين البلدين انعكس بشكل جلي من خلال انسجام رؤية مجلس التنسيق السعودي – الإماراتي مع الاستراتيجيات الوطنية للبلدين، وتكامل "رؤية المملكة العربية السعودية 2030" و"رؤية الإمارات 2021" اللتين تستهدفان تحقيق الريادة والرخاء الدائمين لشعبيهما الشقيقين، وبناء الأمل وتعزيز التقدم في المنطقة.

في مايو 2016، تم الإعلان عن تأسيس مجلس التنسيق السعودي الإماراتي الذي عقد في يونيو 2018 أولى اجتماعاته تحت مسمى "إستراتيجية العزم"، وتم الإعلان عن 44 مشروعا استراتيجيا سعوديا إماراتيا مشتركا في المجالات الاقتصادية والتنموية والعسكرية، علما وأن المجلس يهدف إلى وضع رؤية مشتركة تعمل على تعميق واستدامة العلاقات بين البلدين وتعزيز المنظومة الاقتصادية المتكاملة بينهما، وإيجاد الحلول المبتكرة للاستغلال الأمثل للموارد الحالية، وبناء منظومة تعليمية فعّالة ومتكاملة قائمة على نقاط القوة التي تتميز بها الدولتان، إلى جانب تعزيز التعاون والتكامل بينهما في المجال السياسي والأمني والعسكري، وضمان التنفيذ الفعال لفرص التعاون والشراكة إضافة إلى إبراز مكانة الدولتين في مجالات الاقتصاد والتنمية البشرية والتكامل السياسي والأمني والعسكري، وتحقيق الرفاه الاجتماعي في البلدين.

وتعتبر إستراتيجية العزم خطوة غير مسبوقة عمل عليها 350 مسؤولا وخبيرا من البلدين ينتمون إلى 139 جهة حكومية وسيادية وعسكرية، بينما حددت قيادتا البلدين خمسة أعوام لتنفيذ المشروعات الإستراتيجية التي تهدف إلى بناء نموذج تكاملي استثنائي بين البلدين من خلال ثلاثة محاور رئيسة تضمن تشبيك المصالح وتوحيد الإمكانات وتحقيق الرقي.

وترتكز رؤية المجلس على خلق نموذج استثنائي للتكامل والتعاون بين المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة على المستويين الإقليمي والعربي، عبر تنفيذ مشاريع إستراتيجية مشتركة من أجل سعادة ورخاء شعبي البلدين، فيما شُكّلت لجنة تنفيذية لتضمن التنفيذ الفاعل لفرص التعاون والشراكة بين البلدين وأقرت منذ اجتماعها الأخير في أبريل 2019 تفعيل سبع لجان تكاملية تدير وتنظم 20 مجالاً ضمن القطاعات ذات الأولوية، وتتبنى نهجًا استباقيًا في تقييم الفرص المتاحة للتعاون المشترك بين البلدين.

وفي الاجتماع الثاني لمجلس التنسيق السعودي الإماراتي تم الاتفاق على جملة مبادرات مهمة هي التعاون بين هيئة السياحة في المملكة ووزارة الاقتصاد بالإمارات على إصدار تأشيرة سياحية مشتركة للمقيمين في البلدين عند الوصول، وتسهيل انسياب الحركة في المنافذ التي من شأنها تعزيز التعاون الجمركي بين البلدين، وتوثيق العمل بين الدولتين في الأمن الغذائي حيث سيتم التعاون لتوفير غذاء آمن ومستدام بأسعار مناسبة للجميع وفي الظروف كافة، وتفعيل اتفاقية الأمن السيبراني، والتي تهدف إلى دعم توفير فضاء سيبراني موثوق لكل بلد يمكن من خلاله تقديم خدمات وتعاملات إلكترونية آمنة.

كما يسعى البلدان إلى إصدار عملة رقمية إلكترونية بشكل تجريبي بهدف فهم ودراسة أبعاد التقنيات الحديثة وجدواها في تعزيز الاستقرار المالي، وبناء مصفاة لتكرير النفط الخام بطاقة 1.2 مليون برميل في اليوم مع مجمع حديث للبتروكيماويات بتكلفة 70 مليار دولار غرب الهند، وإنشاء مجلس الشباب السعودي الإماراتي تعزيزًا للشراكة بين الشباب في البلدين وتمكينا له من المشاركة في وضع التصورات التنموية المستقبلية.

إن من ينظر مليا في هذه المبادرات يدرك أنها ترتبط بسعي مشترك للانطلاق حالا نحو منظومة اتحادية متقدمة بأبعاد مرتبطة أساسا بالثقة المتبادلة أمنيا وإستراتيجيا وسياسيا واجتماعيا وبالرغبة في مواجهة التحديات الاقتصادية الكبرى بجهد الفريق الواحد، وبالعمل المشترك لضمان رفاه الشعبين وتحقيق طموحات الأجيال الصاعدة، وتوجيه رسالة إلى الإقليم والعالم بأن مسارات أي تفاهمات ستمر عبر منظومة التنسيق بين أبوظبي والرياض بما يمثلانه من ثقل سياسي واقتصادي وثقافي وتنموي.

مثلت زيارة ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان إلى الإمارات عشية الاحتفال بالعيد الوطني الـ48 مناسبة مهمة للتأكيد على أن النهر أسس مجراه وأن التنسيق بين البلدين عرف طريقه، وأن العلاقات السعودية الإماراتية أصلب وأقوى مما يعتقد محترفو التشكيك، وأن التحالف بين البلدين ليس وليد حالة أو حادثة أو قضية أو تحدّ بعينه، وإنما هو خيار مبني على تجاوب عملي وعقلاني ورؤيوي وانسجام فكري وإستراتيجي بين قيادتي البلدين اللذين يمثلان حاليا روح التطلع في مسارات الإصلاح العربي على جميع الصعد.

كما جاءت الزيارة قبيل أسابيع من الولوج إلى عام 2020 الذي وصفه الأمير محمد بن سلمان بعام الإنجازات الدولية، قائلا "نحن على أعتاب احتضان فعاليات دولية كبيرة وصلنا إليها بعد تخطيط وعمل وجهد متواصل، فرئاسة المملكة العربية السعودية لمجموعة العشرين خلال عام 2020 واحتضان دولة الإمارات العربية المتحدة لمعرض إكسبو 2020 هما خير دليل على ما تحظيان به من مكانة دولية مرموقة"، مقدما الدعوة إلى دولة الإمارات لتحل ضيف شرف على قمة مجموعة العشرين المقبلة التي تتولى المملكة رئاستها.

«إيغاد» تشرع في تسريع خطوات مكافحة الإرهاب

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

بدأت حياة جديدة تدب في شرايين منظمة رؤساء دول وحكومات الهيئة الحكومية للتنمية بشرق أفريقيا (إيغاد)، وقد ظهرت خلال القمة التي عقدت في أديس أبابا الجمعة، بعد أن كاد دورها يندثر نتيجة عجزها عن وأد الصراعات أو تبني خطط محددة للتنمية منذ تشكيلها في بداية التسعينات، ما قلل من أهمية الفكرة التي قامت عليها وانطلقت من الرغبة في تحقيق السلام.

ناقشت أعمال الدورة 13 قضايا مكافحة الإرهاب ووقف نشاط الجهاديين في المناطق الحدودية، وتأمين الحركة البحرية من القرصنة، خاصة في منطقة خليج عدن والسواحل الصومالية في البحر الأحمر، حيث تنامت تهديدات تعرقل الجهود المبذولة حاليا لإيجاد تسويات سياسية مناسبة للكثير من النزاعات في القرن الأفريقي، ورفع مستوى التعاون على أسس تنموية مشتركة، وقيام بعض الجهات بدعم جماعات متشددة لعرقلة التصرفات التي تبذلها قوى إقليمية ساعية نحو تهدئة التوترات.

جاء اختيار السودان، خلفا لإثيوبيا، لرئاسة منظمة "إيغاد" كحل وسط لتجنب تداعيات محتملة تؤثر على المصالح المشتركة، حيث سعت كينيا وجيبوتي إلى الحصول على نفس المقعد الذي جلست عليه أديس أبابا لمدة عشر سنوات، وربما تكمن دلالة اختيار الخرطوم في تحولها إلى رمز صاعد ومبشر في عالم السلام، فانفتاح الحكومة على الحركات المسلحة في السودان لتسوية الصراعات يمثل دلالة جيدة تؤكد الإيمان بمبدأ الحلول الوفاقية.

تأتي أهمية قمة "إيغاد" في أديس أبابا من انعقادها وسط أجواء تشجع على الاتجاه نحو التعاون الإقليمي، وإمكانية الاستفادة من الفرص المواتية لتطوير مكونات التنسيق وحصد عوائد قيّمة تساعد الجميع على التخلص من ميراث طويل من حالات العداء. الأمر الذي لم يكن متاحا من قبل، فالمنظمة أخفقت في تقديم مبادرات جادة لإطفاء الاقتتال الذي عجّت به المنطقة، من الصومال إلى السودان، ومن إثيوبيا إلى جيبوتي، ومن أوغندا إلى إريتريا، بما سمح بتحوّلها إلى بيئة خصبة لحركات متطرفة، وجماعات عابرة للحدود، وجدت جهات كثيرة ترعاها، وتقدم لها مساعدات لتمديد أوار المعارك.

تتجه منطقة شرق أفريقيا إلى فاصل سياسي لعبت دول منضمّة إلى "إيغاد" دورا مهما فيه، مثل إثيوبيا، وساعدت دول من خارجها، مثل الإمارات والسعودية، على تشجيع منهج ربط السلام بالتنمية، بما أدّى إلى إطفاء بعض النيران، وسمح بمنح ملف الإرهاب أولوية، ليكون قاسما بين العديد من التوجهات، لذلك فعدم إيجاد وسيلة ملائمة للحد من انتشار العنف سوف ينعكس سلبا على التوجهات الساعية إلى تهدئة المنطقة.

لدى غالبية دول "إيغاد" قناعة بأن هناك دوائر تعمل على توظيف التنظيمات المتشددة لإفساد ملامح السلام التي شاعت في المنطقة، وظهرت بصماتها في تصورات إثيوبيا مع إريتريا، والصومال حيال كينيا، والتقارب العام مع جيبوتي، ناهيك عن الإجراءات المتخذة في كل من السودان وجنوب السودان لجلب السلام الداخلي، وتعظيمه في الحصول على سلام مشترك ينهي حقبة عميقة من الخلاف حول ملفات جوهرية.

أحسنت قمة أديس أبابا الأخيرة في التحذير من مخاطر الإرهاب، المتوقع أن تتزايد معالمه في شرق أفريقيا ما لم تتمكن منظمة "إيغاد" والدول الصديقة لها من التفاهم حول الرؤية العامة لمواجهة التحديات الناجمة عنه، لأن الموجة العنيفة الأولى خلال العقدين الماضيين، وقد تراجعت حدّتها حاليا، كانت كفيلة بتقديم دروس لمنع تكرار مآسيها الأمنية.

لكن ثمة ملامح لموجة تقوم خلالها تنظيمات متطرفة بمحاولة استعادة قيادتها عبر تنشيط الأذرع الإسلامية السياسية والعسكرية في المناطق الحدودية، عقب تقليص أدوارها في دولة مثل السودان، كانت قاعدة خلفية للكثير من الحركات الجهادية في المنطقة.

رمت إريتريا الخميس الماضي بحجر كبير في هذه المياه، عندما اتهمت قطر رسميا بـ"التورط في مخطط تخريب ضد أسمرة، والقرن الأفريقي، بدعم الإرهاب لضرب استقرار المنطقة بأسرها"، وهي إشارة بدت كجرس إنذار جديد على طبيعة المخاطر التي تنتظرها منطقة شرق أفريقيا برمتها، إذا عجزت دولها عن سدّه مبكرا، ولم تتخذ الإجراءات الكافية لوقف التدهور على هذا المستوى.

قالت أسمرة في بيان رسمي، إن الدوحة وضعت مخططا هدفه ضرب استقرار المنطقة عامة، وإريتريا خاصة، والتخطيط لهز استقرار منطقة شرق السودان، وتحديدا بورتسودان، والتي شهدت مواجهات عنف مؤخرا، وبدت أصابع بعض الحركات الإسلامية واضحة عليها.

يقوم المخطط القطري على توحيد بعض المعارضين من الإسلاميين، وجمعهم لتوسيع قاعدة الدعم والتأثير ضد النظام والسلطات الحاكمة في أسمرة، وتحريض المسلمين في إريتريا على الثورة والتمرد، وإفساح المجال للعمل العسكري في مخيمات تدريب بشرق السودان لعناصر من الإخوان المسلمين، يتمّ فيها التدريب على الأسلحة وزراعة الألغام والاغتيالات الفردية لشخصيات سياسية، بمعنى آخر تكريس العنف في المنطقة وإحباط المحاولات الجادة لوقفه.

لدى غالبية دول «إيغاد» قناعة بأن هناك دوائر تعمل على توظيف التنظيمات المتشددة لإفساد ملامح السلام التي شاعت في المنطقة، وظهرت بصماتها في تصورات إثيوبيا مع إريتريا، والصومال حيال كينيا، والتقارب العام مع جيبوتي

وعدت وزارة الخارجية في إريتريا بتقديم المزيد من تفاصيل المخطط القطري، خاصة في شرق السودان، الذي يبدو أن الدوحة تسعى إلى تحويله إلى ما يُشبه القاعدة الخلفية للمزيد من الخلخلة في المنطقة، ومنع انهيار المرتكزات التي يتم الاعتماد عليها، بعد أن تلقت ضربات وعرة أفضت إلى تراجع فعاليتها المعتادة.

هذه واحدة من التطورات التي تبين أهمية التعاون بين دول "إيغاد"، وتكشف إلى أي درجة أن المرحلة المقبلة قد تكون حافلة بمفاجآت على مستوى ردود أفعال القوى المستفيدة من استمرار الصراعات والعمل على توسيع نطاقها، وعلى صعيد الدول المتضررة والتي تجد أن المنطقة لم تبارح الألم، بل هناك من يريدون القبض على زمام المبادرة، وجعل الإرهاب الرقم المركزي في المعادلة، وإفشال التحركات الهادفة إلى نشر السلام وتشجيع التنمية.

أصبح المجال مفتوحا لتحقيق تقدم كبير في هذا الفضاء، مع ارتفاع معدل اليقين بأن البحث عن السلام وعدم فصله عن محور التنمية هو السبيل للتغلب على الأزمات المتراكمة، والوحيد الذي يردع من يريدون بقاء المنطقة على فوهة بركان قابل للانفجار في أي لحظة.

ولذلك على السودان، كرئيس لهذه الدورة في "إيغاد" قيادة المنظمة بما يسمح بالتكاتف وتخطي المشكلات، لأن الدوران في حلقة الخطاب الإنشائي السابق سوف يمنع السلام، ويكبح التنمية، فهناك أعداء لن تبارح عيونهم المنطقة، ولن يرضوا بأقل من إشاعة الفوضى وتعميم الانفلات.

أوهام إيرانية يحرقها العراق

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس إحراق القنصلية الإيرانية في النجف وردود الفعل الوحشية عليه والتي استهدفت العراقيين في مدن عدّة، أبرزها الناصرية، حدثا عابرا. الدليل على ذلك أن رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي ينوي تقديم استقالته، على الرغم من تمسّك إيران به. يظهر ذلك عمق الأزمة العراقية من جهة وتفلّت العراق من إيران من جهة أخرى.

بعد ستة عشر عاما على سقوط صدّام حسين، فشلت إيران في كسب ولاء العراقيين، خصوصا الشيعة العرب الذين قاوموا، في معظمهم النفوذ الإيراني في العراق وما زالوا يقاومونه إلى اليوم بصدورهم العارية.

إحراق القنصلية الإيرانية في النجف كشف حقيقة إيران. أسقط العراقيون تلك الهالة التي أحاطت بها «الجمهورية الإسلامية» نفسها. هناك مشروع توسّعي إيراني غير قابل للحياة سقط أوّل ما سقط في إيران نفسها حيث الثورة الشعبية مستمرّة

أرادت إيران، منذ قيام "الجمهورية الإسلامية" في العام 1979 تصدير ثورتها إلى العراق. كان العراق الهدف الأول لآية الله الخميني. لهذا السبب كانت الحرب العراقية– الإيرانية بين 1980 و1988، وهي حرب حالت، على الرغم من عبثيتها والخسائر الفادحة التي أدت إليها، دون انهيار "خط الحدود الفاصل بين حضارتين"، على حد تعبير الرئيس الفرنسي الراحل فرنسوا ميتران في سياق تبريره لدعم العراق عسكريا في تلك الحرب. بقيت الحدود العراقية– الإيرانية طوال قرون رمزا للتوازن القائم في المنطقة، وهو توازن ما لبث أن انهار بعد العام 2003 برغبة أميركية.

لم يحل الفشل الإيراني في حرب 1980–1988، دون تكرار المحاولة الإيرانية للسيطرة على العراق تطبيقا للنظرية القائلة إنّ الرابط المذهبي يتفوّق على الرابط القومي والوطني. معنى ذلك من وجهة النظر الإيرانية التي روّج لها الخميني، ثم خليفته علي خامنئي أن الرابط المذهبي كفيل بتحويل العراق إلى محميّة إيرانية. لم تتنبه إيران في ما بعد 1979 في أي وقت إلى أنّ المرجعية الأولى للشيعة هي في النجف وليس في قمّ.

هذا هو، في ما يبدو، البعد الأوّل لإحراق العراقيين لقنصلية "الجمهورية الإسلامية" في النجف. إنّه في الوقت ذاته إحراق للأوهام الإيرانية التي جرّت إلى حرب السنوات الثماني وإلى التهديدات الإيرانية المستمرّة لدول الخليج العربي، في مقدّمها المملكة العربية السعودية. بلغت هذه التهديدات في مرحلة معيّنة، خصوصا في ثمانينات القرن الماضي، السعي إلى تسييس الحج وتحويله إلى تظاهرة ترفع شعارات لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالدين الحنيف.

ما يحدث في العراق لا يقلّ أهمية عمّا يحدث داخل إيران نفسها. ما يحدث في العراق هو الدليل الأبرز لسقوط المشروع الإيراني الذي استعاد حيويته بعد الاجتياح الأميركي للعراق في العام 2003. حصلت في تلك السنة حرب أميركية على العراق توّجت بسقوط النظام. كانت إيران شريكا في تلك الحرب التي بدأ الشعب العراقي منذ ما يزيد على سنة يمحو نتائجها.

ظهر بكل بساطة أن مشروع سيطرة إيران على العراق لم يكن نزهة. يعود ذلك إلى أسباب عدّة في مقدّمها أن العرب عربٌ والفرس فرسٌ وأنّ ليس كافيا أن يكون هناك رابط مذهبي كي تزول الحدود بين بلدين يختلف كلّ منهما عن الآخر في أمور كثيرة. فوق ذلك كلّه يتبيّن أن العراق ليس مستعدا للعيش في ظلّ نظام سمح لإيران بأن تصبح صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في تحديد من هو رئيس الوزراء العراقي. في النهاية، إن عادل عبدالمهدي، الذي يفترض أن يكون قدّم استقالته، وجد نفسه في هذا الموقع لأنّ إيران تريده أن يكون فيه. لا وجود لسبب آخر لتوليه منصب رئيس الوزراء بعد انتخابات الثاني عشر من أيّار/ مايو 2018، باستثناء أن إيران وضعت فيتو على عودة حيدر العبادي إلى رئاسة الوزراء، تماما كما حصل مع إيّاد علّاوي في العام 2010.

كشف إحراق القنصلية الإيرانية في النجف حقيقة إيران. اسقط العراقيون تلك الهالة التي أحاطت بها "الجمهورية الإسلامية" نفسها. هناك مشروع توسّعي إيراني غير قابل للحياة سقط أوّل ما سقط في إيران نفسها حيث الثورة الشعبية مستمرّة. في إيران، لا تزال النار تحت الرماد، خلافا لما يقوله خامنئي عن "إسقاط مؤامرة خطيرة وعن مشاركة أميركية وإسرائيلية في تلك المؤامرة. هناك مؤامرة إيرانية على إيران. هناك نظام إيراني لا يدرك أنّ لعب دور القوّة الإقليمية في المنطقة يحتاج إلى مقوّمات. في مقدّم هذه المقوّمات اقتصاد قويّ متنوّع لا يعتمد على دخل الغاز والنفط فقط.

في نهاية المطاف، لم يعد لدى إيران ما تصدّره سوى الميليشيات المذهبية. ما يرفضه العراقيون قبل أيّ شيء هو هذه الميليشيات وسعي إيران إلى بناء نظام تابع في العراق يكون فيه "الحشد الشعبي" بمثابة فرع من "الحرس الثوري" الذي يشكل العمود الفقري لـ"الجمهورية الإسلامية" في إيران.

من العراق، كانت الانطلاقة الجديدة للمشروع التوسّعي الإيراني في العام 2003. ومن العراق، يبدأ تراجع هذا المشروع بعد انكشافه. لا يوجد أدنى شكّ في أن العقوبات التي فرضتها إدارة دونالد ترامب أدّت إلى ضغوط لا سابق لها على إيران وعلى قدرتها في مجال التوسع وصولا إلى الإعلان عن أنّ طهران صارت تتحكّم بأربع عواصم عربية هي بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء.

ما يشهده لبنان حاليا من ثورة على "عهد حزب الله"، أي على النفوذ الإيراني، يبدو تفصيلا مقارنة مع ما يحدث في العراق. تعتقد إيران أنها استطاعت إسكات الثورة الشعبية فيها وأن الوضع عاد إلى طبيعته في ضوء ممارسة أشدّ أنواع القمع مع الإيرانيين. هؤلاء لم ينتفضوا ليعودوا إلى بيوتهم. يعود ذلك إلى أن ليس لدى النظام الإيراني ما يعالج به الاقتصاد باستثناء مفاوضات جدّية مع أميركا تتناول ما هو أبعد من الملفّ النووي. مثل هذه المفاوضات لا بدّ أن تتطرق إلى السلوك الإيراني في المنطقة.

لن تكون المنطقة بعد أحداث العراق كما كانت عليه قبلها. لن يكون العراق الجائزة الكبرى التي حصلت عليها إيران جراء الحرب الأميركية في 2003. عندما تتكلّم لغة الاقتصاد والأرقام، تخرس اللغات الأخرى، بما في ذلك لغة الشعارات الفارغة من نوع المزايدات في كلّ ما يخصّ القدس وفلسطين. ها هي إسرائيل ضمّت القدس من دون أن تفعل إيران شيئا.

هناك لعبة انتهت بعد انتفاضة العراقيين على إيران. لم يتغيّر شيء مع استبدال عادل عبدالمهدي ضابطا في الجيش العراقي بآخر أو مع إقالة الضابط المسؤول عن خلية الأزمة في محافظة ذي قار أو مع الوعد بإجراء تعديل وزاري قبل اضطراره إلى الاستقالة شخصيا.

هناك سؤال في غاية البساطة يطرح نفسه في ضوء ما شهده وما لا يزال يشهده العراق. هل إيران دولة طبيعية أم لا؟ هل في استطاعتها التصالح مع شعبها قبل التفكير في وضع يدها على العراق وسوريا ولبنان واليمن؟

نظام الأسد يُغضِب روسيا

رانيا مصطفى

انتقد الإعلام الروسي بحدّة، وعبر موقع "روسيا اليوم"، المقرب من الكرملين، النظامَ السوري، ووصف شخصية رئيس النظام السوري، بشار الأسد، بـ"الدكتاتور"، وأنه ورث الحكم عن والده بشكل غير شرعي، ملمّحاً إلى فكرة وجود بدائل عنه، كوكلاء لموسكو في سوريا؛ هذه الانتقادات قوبلت بتصعيد غير رسمي، من إعلام النظام السوري ضدّ روسيا.

ويبدو أن تصريحات الأسد في مقابلاته الأخيرة استفزت روسيا؛ فقد تنصّل من وفده المفاوض في اللجنة الدستورية، بالقول إنه "لا يمثل الدولة السورية"، وحاول التهرب من اللجنة التي أجبر على المشاركة فيها، وتعطيل أعمالها، وهاجم الرئيسَ التركي، رجب طيب أردوغان، واصفاً إياه بـ"اللص"، وأعلن انتهاء مسار جنيف، ما استفز الإعلام الروسي. ووجهت إلى الحكومة السورية دعوات إلى التخلي عن خطابها السابق، والإقرار بأهمية القيام بخطوات لإنهاء الحرب، وأن على الأسد التنحي عن السلطة خلال الانتخابات المقبلة، وإصدار عفو عام، والتخلي عن الملاحقات.

والأسد تعمّد الظهور في مقابلات متعددة مؤخراً، وتصريحاته التصعيدية المستفزة لموسكو لم تكن عبثية، بل هي بدورها رسائل إلى الجانب الروسي، تدعوه إلى الاستمرار في دعمه. لكن هل يملك الأسد ترف إطلاق تصريحات تغضب روسيا، وحكومته تعمل في ظل الاحتلال الروسي؟

لا يزال الأسد يميل إلى دعم طهران، ويربط ضمان بقائه باستمرار نفوذها في سوريا، ورغم إعلان إسرائيل عن خطة تصعيد ضد المواقع الإيرانية في سوريا لإنهائها، لكن إيران متوغلة في الاقتصاد السوري، وتنافس الروس على عقود الاستثمار؛ فمطلع العام الجاري تم توقيع 11 اتفاقية ومذكرة تفاهم خلال اجتماع اللجنة العليا السورية– الإيرانية المشتركة بدمشق، ومؤخراً تم الإعلان عن تأسيس شركة إنشائية مشتركة مع طهران لتنفيذ مشاريع إعادة الإعمار في كل المحافظات السورية، وستنال عقودها بالتراضي، دون الحاجة إلى إجراء مناقصات، باعتبارها شركة "وطنية" تشارك بها الحكومة السورية.

وتأسيس مثل هذه الشركة الإنشائية مع طهران لا يعدو كونه فعلاً سياسياً، ووعوداً اقتصادية مستقبلية، بعد تحجيم دورها السياسي والعسكري في سوريا، كون إيران لا تملك القدرة على تمويل إعادة الإعمار، خاصة أنها تتعرض لأزمة اقتصادية، بسبب العقوبات الأميركية. ويبدو أن تردي الأوضاع الاقتصادية في سوريا، وتهاوي قيمة الليرة السورية المتسارع، هما ما دفع النظام إلى البحث عن مخارج، عبر اتفاق جديد مع طهران لتزويده بالنفط، بوساطة رجال أعمال سوريين مقربين من إيران، مقابل تفعيل مشاريع مشتركة مجمدة بضغط من موسكو، منها سكة حديدية تربط العراق بسوريا وميناء اللاذقية وشركات اقتصادية متخصصة بالتبادل التجاري الزراعي، والمشغل الثالث للخلوي.

النظام لا يثق بنوايا روسيا، المتحالفة مع تركيا في الملف السوري، ولا يقبل بمشاركة المعارضة في الحكم، وهو مهدد بالتنحي، وبانهيار اقتصادي؛ لذلك هو يسعى إلى خلق تنافس بين إيران وروسيا لإنقاذه من أزماته.

تسعى روسيا إلى حسم الملف السوري عسكرياً أولاً، ليتبعه فرض حل سياسي، يضمن لها السيطرة على كامل سوريا؛ فقد أعطت لتركيا الحق في السيطرة على مناطق "نبع السلام" شرق الفرات على الحدود السورية التركية، ونشرت حرس حدود تابعا للنظام على طول الحدود مع تركيا، وتمكّنت من خلق تنسيق عسكري عال بين حكومة النظام وقوات سوريا الديمقراطية ضد فصائل الجيش الوطني الموالية لأنقرة، في معارك على أطراف منطقة "نبع السلام"، للسيطرة على بلدتي تل تمر شمال الحسكة، وعين عيسى شمال الرقة، الاستراتيجيتين، الواقعتين على مفترق طرق هامة.

النظام السوري لا يثق بنوايا روسيا، المتحالفة مع تركيا في الملف السوري، ولا يقبل بمشاركة المعارضة في الحكم، وهو مهدد بالتنحي، وبانهيار اقتصادي؛ لذلك هو يسعى إلى خلق تنافس بين إيران وروسيا لإنقاذه من أزماته

فيما تصعّد في إدلب وريف حماة بالقصف الجوي، وبمشاركة قوات برية روسية من الجيش الروسي ومجموعة فاغنر الروسية، مع صمت تركي يوحي بوجود تفاهمات مع أنقرة، خاصة مع تصريح وزير الخارجية التركي، مولود جاويش أوغلو، بأن "الطرق الدولية مع مناطق النظام ستفتح قبل نهاية العام"، ومع إبلاغ الجانب الروسي لحكومة النظام بالاستعداد لوجستياً لمرحلة تسلم الشرطة العسكرية الروسية الأجزاء الواقعة تحت سيطرة المعارضة من الطريقين الدوليين أم4 وأم5، كمرحلة أولى، يتبعها انتشار متزامن لوحدات عسكرية تابعة للنظام السوري.

تسليم الطرق الرئيسية في إدلب لروسيا والنظام، واستعادة الحركة عليها، إذا ما انتهت المعارك الدائرة مع فصائل المعارضة إليه، يأتيان ضمن البند الثامن لاتفاق إدلب؛ وهو يعني اقترابا من حسم روسيا لملف إدلب، الذي ينتظر إنهاء تمركز الجهاديين فيها، والذي قد يتم بتنسيق مع الولايات المتحدة.

وكذلك يعني أن روسيا ستضمن أن تركيا تتماهى مع الحلول الروسية في الملف السوري، خاصة أن موسكو ودمشق ترفضان المطامح الانفصالية للأكراد على الحدود مع تركيا.

هذا الاقتراب الروسي من الوصول إلى ترتيب عسكري وأمني للوضع في سوريا، يجعل روسيا أقرب إلى فرض حلها السياسي، مع تقديم بعض التنازلات إلى المعارضة؛ لكن تعنت النظام السوري الأخير حول رفضه اللجنة الدستورية، واستمرار تحالفه مع إيران، دفع روسيا إلى توجيه تهديد غير مباشر إلى رأس النظام بإمكانية التخلي عنه.

في كل الأحوال، ما زال استمرار الوجود الأميركي في سوريا، حول حقول النفط، لحمايتها من سيطرة النظام السوري عليها، وعلى الشريط الحدودي مع العراق وفي قاعدة التنف، للحد من الوجود الإيراني في المنطقة، كل ذلك يحول دون تمكن روسيا من فرض حلها السياسي في سوريا، وربما تنفذ تهديدها للأسد، بتنحيته، للتخلص من العقوبات الاقتصادية الأميركية على سوريا، ورفع الحظر الأميركي عن ضخ أموال إعادة الإعمار إلى سوريا من قبل الدول المانحة.

فهل بمقدور الأسد عرقلة المخططات الروسية للحل في سوريا، عبر الاعتماد على دعم حكومة طهران، المهددة بالانهيار تحت وطأة العقوبات الاقتصادية، والثورة الشعبية، أم أنه سيخضع للضغط الروسي، وينتظر الانتخابات القادمة للخروج من السلطة؟

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

الموجة الثانية للربيع العربي: التغيير الجذري يفتقد إلى النخب

التيارات الراديكالية التقليدية عاجزة عن بناء نموذج للعدالة الاجتماعية

المحللون والخبراء الاجتماعيون يرفعون سقف توقعاتهم بأن الموجة الجديدة من الانتفاضات الشعبية قادرة على التغيير الجذري وخلخلة الأنظمة التقليدية خاصة التي تنبني على أسس طائفية ومذهبية، وأنها ستتولى تصحيح أخطاء الموجة الأولى من الربيع العربي التي هيمن عليها السياسي وغاب فيها العمق الاجتماعي. لكن غياب نخب مستفيدة من التغيير وقادرة على إدارته لفائدتها قد يقود هذه الانتفاضات إلى المربع الأول، مربع الاحتجاج الغاضب الذي يعود إلى القبول بالأمر الواقع.

المشهد ما زال ضبابيا

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

جاءت الموجة الثانية من "الربيع العربي" أكثر جذرية، وهادفة إلى تصحيح الموجة الأولى التي هيمن عليها السياسي وأغفل جوهر الاحتجاجات، أي البعد الاجتماعي الاقتصادي. ورغم اختلاف التفاصيل والشروط الموضوعية لكل بلد، فإن جوهر الانتفاضات التي استمرت لأسابيع، أو تلك التي توقفت بعد أن أطلت برأسها ثم خمدت لعدم توفر الشروط الكافية، فإن ما يجمع بينها هو الذهاب إلى تغيير أعمق يطال الأنظمة التي تلعب دور الوكيل والحامي لمنظومات الفساد.

ويحيط الالتباس بتسمية "الربيع العربي"، هل هو استجابة موضوعية لمطالب الشعوب المنتفضة أم تم الاشتغال عليه في دوائر الاستخبارات الغربية؟ ويعود جزء من هذا الالتباس إلى تسميات سابقة صاغتها وسائل إعلام غربية لانتفاضات شعبية سابقة (براغ وأوكرانيا..) كانت تهدف إلى تفكيك النفوذ الروسي في مرحلة الاتحاد السوفييتي أو ما بعدها.

ويبدو ارتباط ثورات الربيع العربي في جولتها الأولى أو الثانية بنظرية المؤامرة ممكنا، لكنه تفسير محدود يهدف إلى التغطية على فشل تجارب الدولة الوطنية في الشرق الأوسط بوجوهها المختلفة سواء الأنظمة الليبرالية أو العسكرية التي استثمرت إمكانيات بلدانها للبقاء في السلطة.

وكانت الموجة الأولى من الربيع العربي بمثابة صرخة في واد عميق، حيث ردد المنتفضون في بلدان عربية كثيرة شعارات إسقاط النظام دون امتلاك بدائل أو أولويات. وحين سقطت الأنظمة كقطع الدومينو لم تكن الجماهير المنتفضة قادرة على الإمساك بالسلطة وتركتها إما للإسلاميين الذين لا يمتلكون بدورهم سوى شعارات فضفاضة عن "الإسلام هو الحل"، وإما للدولة العميقة ذاتها التي نجحت في استعادة المبادرة ووظفت أدواتها للإمساك بالسلطة إما بالقوة أو بالمناورة من بوابة مدنية أو عسكرية.

وانتهت الموجة الأولى إلى تغييرات شكلانية على الأدوات السياسية، لكن الوضع الاجتماعي ازداد سوءا وزاد ارتهان الدول العربية الفقيرة إلى البنوك الدولية وفشلت محاولاتها لإجراء إصلاحات هيكلية لإنقاذ اقتصاديات متهاوية، خاصة أن تلك الإصلاحات لا تمتلك بدائل على الأرض سوى التقشف وتقليص الدعم على المواد المعيشية الأساسية، وزيادة الضرائب، وهو ما فجّر الموجة الثانية.

انتقال سياسي

بدأت شرارة الموجة الثانية في مصر ثم تم تطويقها أمنيا وإعلاميا تحت عامل الخوف من العودة إلى مربع العنف وتهديد كيان الدولة، لكنها مرشحة لانفجار جديد في أي لحظة بسبب تراكم الأزمات وعجز السلطات عن وضع أرضية لبدائل استراتيجية والاكتفاء بتوظيف الدعم المالي الخليجي لإدارة الوضع الاجتماعي بشكل مؤقت.

وفي السودان، حققت الانتفاضة انتقالا سياسيا جذريا على أنقاض انقلاب 1989، لكن هذا الانتقال يحتاج إلى مرور ثلاث سنوات انتقالية لاختباره على الأرض عبر الانتخابات، ومدى قدرة القوى المستفيدة من التغيير في الحفاظ على نفوذها والقطع مع عودة القوى القديمة من بوابة الانتخابات مثلما جرى في تونس سنة 2014 بسبب فقدان القوى الصاعدة للبرامج والخبرة في إدارة مؤسسات الحكم، فضلا عن صراع المحاصصة والتعاطي مع الدولة بعقلية الغنيمة.

ولم يختبر الانتقال السوداني بعدُ صلابته بسبب التحالف الظرفي الاضطراري بين القوى المدنية والعسكر، وهو تحالف صامد إلى الآن بسبب تركيز الأضواء الخارجية على الانتقال في السودان، ووجود الاتحاد الأفريقي كضامن قوي، فضلا عن الدعم المالي الخليجي السخي الذي ساعد على بناء الثقة بين الشارع السوداني والطبقة السياسية المستفيدة من التغيير.

لكن التفاؤل المبني على العامل الخارجي لا يكفي لأن يكون ضمانة للتغيير خاصة أن القوى المستفيدة منه لها أجندات وارتباطات متناقضة، وقد تختلف أو تتناقض مصالحها في كيفية إدارة المؤسسات وتقسيم مناطق النفوذ ليسقط كل شيء، خاصة أن جزءا من هذه القوى يمتلك الأسلحة والمقاتلين وجيء به إلى الاتفاق تحت الوعود والإغراءات.

وتفضي هذه التعقيدات إلى نتيجة مهمة، وهي أن الانتقال السياسي في السودان قد يأخذ وقتا طويلا، وقد يسقط في بناء نظام سياسي هجين كالذي تم تطبيقه في العراق وتونس، أي النظام البرلماني المعدل بشكل يجعل مهمة إدارة الحكم أمرا مستحيلا ويحوّله من بعدها الشامل إلى مجرد لعبة صراع بين الفرقاء.

وكل هذا سيؤجل الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية العميقة التي تعيد الأمل للسودانيين وتستجيب للمطالب الحينية مثل توفير الخبز والوقود وتحسين الخدمات في النقل والصحة، والتي تتوفر الآن بسبب الدعم السعودي الإماراتي. لكن هذا الدعم، الذي يهدف إلى إعطاء دفعة قوية للتغيير في السودان وقطع الطريق على عودة الإخوان، لا يمكن أن يكون دائما وعلى السلطات الجديدة أن تخرج من شرنقة السياسي إلى التركيز على الأبعاد الأخرى والقيام بالإصلاحات العاجلة.

وإذا كان التغيير السياسي مطلبا شعبيا في بعد رمزي هادف إلى الانتقام من نظام عمر حسن البشير الذي راكم الأزمات في البلاد، إلا أن الشارع قد يعود في أي لحظة إلى الاحتجاج للمطالبة بحقه من نتائج التغيير بعيدا عن حسابات السياسيين في تقاسم السلطة أو تفكيك الدولة العميقة.

قيادات مرتهنة للخارج

هناك مخاوف جدية في السودان أن تذهب القيادات الوافدة على السلطة إلى تنفيذ أجندات عرقية وقبلية وأيديولوجية، ما يخلق حالة من تناقض المصالح تؤدي إلى مواجهات عسكرية تعيد البلاد إلى مربع العنف.

وتتشابه القيادات الوافدة إلى السلطة في السودان مع تجربة القيادات التي تمسك بالعراق الآن، وهي قيادات ولاؤها خارج الوطن، ولاء للطائفة ولمرجعيتها في الخارج، وهو ما يفسر إمساك إيران بمختلف مصالح العراق بحماس من وكلائها الذين يحكمون بغداد.

ويضاف إلى ذلك أن القادة الذين يحكمون العراق كانوا قادة ميليشيات عسكرية ما قبل غزو 2003، وتدربوا في إيران وسوريا، وارتبطوا بشبكات تخابر لفائدة جهات أجنبية غربية، وهو الأمر الذي ساعد على رهن العراق لاتفاقيات عسكرية وأمنية واقتصادية غير متكافئة.

وتونس نفسها، البلد الوحيد، الذي شهد نجاح الشرارة الأولى، قد تشهد موجة ثانية أكثر عنفا لتصويب الموجة الأولى التي تم اختطافها وتجييرها لتتحول إلى لعبة سياسية مفرغة من أي عمق شعبي، في ظل عجز النخب الجديدة عن اجتراح بدائل بالرغم من إجراء ثلاث دورات انتخابية في تسع سنوات وصعود أسماء وسقوط أخرى من داخل النخب الجديدة.

ومع انطلاق الاحتجاجات في سوريا المطالبة بكسر نظام الحزب الواحد والقائد الملهم، دفع الغرب بخليط من المعارضين الذين تم منحهم اللجوء منذ سنوات، وبينهم اليساريون والإخوان وشخصيات مائعة بلا هوية امتهنت كل المهن، وحين حانت اللحظة دخلوا إلى المشهد كبدائل احتياط، وهو أحد العناصر التي غيّرت المشهد من انتفاضة تلقائية إلى عسكرة في مواجهة "مؤامرة خارجية" قبل أن يتم الاستنجاد بالإرهاب لتحويلها إلى حرب مفتوحة على المجهول.

ومن الواضح أن الغرب لجأ إلى التيارات العابرة للدولة القطرية كاحتياط لإعادة تدوير نفوذه بعد فشل أنظمة الاستبداد التقليدية، ففي مصر وتونس لم تكن الولايات المتحدة تخفي انفتاحها على الإسلاميين وفتح الطريق أمامهم لاستلام السلطة قبل أن تغير حساباتها بعد أن تحولت الفوضى التي خلقها حكم الإسلاميين، على قصره، إلى فضاء خصب للجماعات المتشددة مثل داعش والقاعدة.

ولم تكن النخب التي تصدرت الواجهة ما بعد موجة الربيع العربي قادرة على إدارة بلدانها، لكونها ظلت لعقود على هامش الدولة في معاركها مع الأنظمة القديمة، كما أنها لم تكن تختلف معها في الرؤية الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما أفضى إلى تسليم الدولة العميقة مهمة إدارة الملفات ذات الأولوية الاجتماعية فيما اكتفى السياسيون الوافدون على الحكم، وفي أغلب الأحيان هم وافدون من خارج البلد بما يشبه السيرك السياسي والإعلامي بإدارة جدل لا ينتهي مع خصومهم الأيديولوجيين.

> إذا كانت أحزاب الإسلام السياسي فشلت في أن تكون بدائل جدية، ومن قبلها النماذج الليبرالية واليسارية والقومية، فإن الموجة الجديدة من الانتفاضات ستجد نفسها في وضع صعب كونها عاجزة عن إفراز نخب تعبّر عن اللحظة التاريخية، وتكون قادرة على خوض معركة العدالة الاجتماعية ولجم الفساد

أيّ بدائل

الانتفاضة الجديدة ضربت الإسلام السياسي الشيعي في مقتل وأطاحت بشعاراته ورموزه ومسّت بشكل مباشر بمرجعياته في مراكز نفوذها التقليدية. في لبنان تم حرق صور أمين عام حزب الله حسن نصرالله، ووجد خطاب المقاومة نفسه في مواجهة الشارع الغاضب، فلا قيمة لمقاومة ترهن البلاد لأجندات خارجية وتغطي على الفساد وتدافع بحدّ السيف عن نظام المحاصصة الطائفية.

وفي العراق فشل المرجع الأعلى علي السيستاني في لعبة المناورة بوضع ساق مع الاحتجاجات وأخرى مع منظومة المحاصصة وباتت مواقفه مثار سخرية. والأمر نفسه في إيران حيث حرق محتجون صور علي خامنئي ورفعت شعارات بشأن الفساد في المؤسسات العليا التي يديرها المرشد الأعلى بما فيها مؤسسة الإرشاد والحرس الثوري، وهي المؤسسات التي تقول إنها تطبق نظرية ولاية الفقيه كرؤية إسلامية شيعية للعدل.

وبان بالكاشف أن جماعات الإسلام السياسي بوجهيها الشيعي والسني التي تصدت لمهمة الحكم لم تحمل بدائل لبناء نماذج اجتماعية تخدم الناس، ولا هي قادرة على طمأنة الغرب ليضع فيها ثقته في خلافة الأنظمة الاستبدادية التقليدية التي حكمت لخمسة عقود دون أي نجاحات تذكر في المجالات الحيوية رغم مرونة النموذج الليبرالي الذي تبنته.

وإذا كانت أحزاب الإسلام السياسي فشلت في أن تكون بدائل جدية، ومن قبلها النماذج الليبرالية واليسارية والقومية، فإن الموجة الجديدة من الانتفاضات ستجد نفسها في وضع صعب كونها عاجزة عن إفراز نخب تعبّر عن اللحظة التاريخية، وتكون قادرة على خوض معركة العدالة الاجتماعية ولجم الفساد الذي بات سمة رئيسية في تجارب الإسلام السياسي الشيعي، وفي مرحلة ما بعد 2011 في تجارب الإسلام السياسي السني.

ورغم أن روح اليسار هي الأقرب لقيادة الموجات الشعبية الراديكالية، إلا أن اليسار العربي، رفض أن يتطور كما تطور اليسار الأوروبي أو يسار أميركا اللاتينية وتمترس في مربع الأيديولوجيا ومعاداة الدين، ما جعله في الكثير من الحالات خادما وظيفيا لتثبيت الرأسمالية المحلية ووكلاء الشركات الدولية الكبرى، وهو ما يجعل الرهان عليه صعبا في إعادة بناء تجارب اقتصادية تعطي الأولوية لتحسين شروط العيش.

ويذهب الغاضبون من تجارب الأحزاب الأيديولوجية إلى أن الحل في الرهان على التكنوقراط كونهم الأقرب لخدمة الدولة لاعتبارات تتعلق بالتخصص العلمي في المجالات الحيوية، فضلا عن غياب نوازع الهيمنة على الدولة واختراقها وتجييرها لمجموعة عابرة للدولة ومرتبطة بالخارج.

لكن مشكلة هذه الفئة من المتخصصين أنهم لا يمتلكون رؤية جامعة لأزمات البلاد، وأنهم ينظرون إلى الإصلاحات بالعقل البارد، ما قد يجعلهم أقرب إلى تنفيذ النماذج التي تريدها الصناديق المالية الدولية، خاصة ما تعلق بالتقشف وتقليص الدعم والزج بمؤسسات وشركات محلية مرتهنة للفساد والبيروقراطية للمنافسة في سوق عالمية ستبتلعها، ومن ثمة ضرب الاقتصاديات المحلية التي تحتاج قبل الإصلاحات المؤلمة و"العولمة" إلى الحمائية ورعاية الدولة.

صحيح أن الموجة الجديدة من الانتفاضات استفادت بشكل كبير من مزايا الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي في كشف منظومات الفساد والارتهان للخارج، لكن كيف يمكنها تحويل هذا الزخم الجارف إلى نتائج على الأرض في معركة العدالة الاجتماعية، ومكافحة الفساد؟

> الانتفاضة الجديدة ضربت الإسلام السياسي الشيعي في مقتل وأطاحت بشعاراته ورموزه، في لبنان تمّ حرق صور أمين عام حزب الله حسن نصرالله، وفي العراق باتت مواقف المرجع الأعلى علي السيستاني مثار سخرية

ويدفع غموض الأفق، وغياب النخب الطليعية والأحزاب القادرة على تحويل الغضب الشعبي الجارف إلى مكاسب، الأنظمة في لبنان والعراق وإيران إلى اللعب على الوقت ومحاولة دق الإسفين بين المحتجين تحت مسوغات طائفية مثل صرخة "شيعة شيعة في لبنان" والتخويف من تفجيرات داعش، واستعادة مناخ المؤامرة الإسرائيلية الأميركية في العراق، في وقت لم تعد الجماهير تأبه للشعارات القديمة "المقاومة والممانعة" وباتت تتحدى الزعامات الطائفية بوجه مكشوف.

ورغم التفاؤل بأن تحقق الموجة الجديدة مكاسب اجتماعية خاصة في ظل صلابة الأجيال الشبابية الجديدة في التحدي، لكن الأنظمة الأيديولوجية الحاكمة، قد تتراجع خطوات بشكل مؤقت ثم تعيد الالتفاف على المطالب الشعبية بإجراءات وقرارات أخرى مثل زيادة الضرائب أو الرفع في الأسعار، وهو ما لا تقدر الجماهير على أن تواجهه كل شهر أو شهرين بانتفاضة، فحماس الناس لا يتكرر دائما بنفس القوة، فيما لو كانت هناك قوة نقابية أو حزبية تتبنى تلك المطالب، فإنها تقدر أن تفرض على السلطات تنازلات مؤلمة تكون مقدمة لخلخلة النظام السياسي الطائفي خاصة باستهداف منظومة الفساد التي تسنده وتقويه.

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

الجاسوسية خطر متربص في غياب ثقافة أمنية

التقدم التكنولوجي يعوض الحاجة إلى تكبد عناء تجنيد الجواسيس

الجوسسة الإلكترونية تلغي الحاجة للأشخاص

تسعى أغلب دول العالم إلى تركيز جهاز مخابرات متطور يمنحها إمكانية التحكم في المجال الداخلي ويوفر لها فرص الاطلاع على معطيات الدول الأخرى. لذلك تعمل قصارى جهدها لتجنيد عناصر بشرية بمواصفات خاصة تؤمن لها القيام بالمهام بنجاح. لكن دخول وسائل التكنولوجيا إلى معترك الجوسسة قلل من مكانة الجواسيس ووفر سيلا هائلا من المعلومات، ما يحتم على البلدان التنبه للأمر بإقرار برامج تثقيف وتوعية بخطورة المسألة. ضمن هذا السياق أصدرت، دار العربي للنشر والتوزيع كتابا تحت عنوان "أشهر قضايا الخيانة والجاسوسية: الجاسوسية والوعي الأمني"، من تأليف محمود الخولي، تناول فيه بالتوضيح أهمية التوعية الأمنية لدى المواطنين وخاصة الشباب، من خلال عرض أساليب عمل أجهزة المخابرات بصفة عامة، وأشهر قضايا الجاسوسية.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يتساءل الكثيرون منذ سنوات عديدة عن أهمية استمرار حاجة الدول إلى أجهزة مخابرات تقوم بتجنيد عملاء وجواسيس للحصول على معلومات سرية تهم أمنها القومي من دول أخرى. ويعتقد هؤلاء أن وسائل التجسس الإلكترونية المتنوعة والتقدم التكنولوجي تفي بالغرض المطلوب دون الحاجة إلى تكبد عناء تجنيد الجواسيس. ويرون أن المعلومات المتوفرة في المصادر العلنية المختلفة إلى جانب ما يتم الحصول عليه بالوسائل التكنولوجية لا يجعل هناك معلومات سرية إضافية تحتاج إلى عميل للحصول عليها.

وعلى الرغم من مشروعية التساؤل من وجهة نظر اللواء محمود إسماعيل الخولي وكيل المخابرات المصرية السابق، في كتابه "قضايا الخيانة والجاسوسية: الجاسوسية والوعي الأمني"، فإن الإجابة عنه لدى جميع أجهزة مخابرات دول العالم واحدة، وهي أنه لا غنى عن الجاسوس- البشري.

تسعى أغلب دول العالم، المتقدمة وغير المتقدمة، إلى أن تكون لديها أجهزة مخابرات تعمل على تجهيز ضباط مخابرات على أعلى مستوى من التدريب التخصصي للحصول على المعلومات السرية التي تهم أمنها القومي من الدول الأخرى.

الكتاب يبرز أن الثقافة الغربية تتناول قضايا المخابرات والجاسوسية في إطار من الشفافية وحق المعرفة

ويتسم القيام بهذا العمل بخطورة شديدة على الضابط نفسه، وعلى العميل، وعلى العلاقات بين دولة الضابط والدولة التي تُمارس على أراضيها الجاسوسية، إذا تم كشفه أو كشف العميل أو كشف النشاط الاستخباري الذي يقوم به. ومن هنا، فإن ضباط المخابرات لا بد أن يتميزوا بمواصفات خاصة وقدرات غير عادية، وهم دائما يعملون تحت ضغط عصبي ونفسي.

يهدف كتاب الخولي الصادر عن دار العربي إلى توضيح أهمية التوعية الأمنية لدى المواطنين وخاصة الشباب، من خلال عرض أساليب عمل أجهزة المخابرات بصفة عامة، وأشهر قضايا الجاسوسية.

ويبين الكتاب أن الثقافة الغربية تتناول قضايا المخابرات والجاسوسية في إطار من الشفافية وحق المعرفة، وذلك لدواع أمنية في إطار التوعية الأمنية للمواطن والحفاظ على الأمن القومي للدولة، ولإعطاء دروس يستفيد منها الجميع، بما في ذلك أجهزة المخابرات وأجهزة الأمن المختلفة لتفادي الأخطاء التي حدثت بهدف عدم تكرارها، ولتطوير مستوى الأداء في عمل أجهزة المخابرات في الداخل والخارج.

ورغم أن الخولي يشرح في مختلف القضايا التي يطرحها الملابسات التي جعلت هؤلاء الجواسيس يعملون لصالح جهاز مخابرات دولة أجنبية، ومن ثمة يخونون دولتهم. فإنه في المقابل يؤكد على أنه لا يوجد مقابل يمكن قبوله أو تبريره لخيانة الوطن.

يقول "في الأغلب ومهما طال الزمن فسيتم الإيقاع بالجاسوس الخائن وإلقاء القبض عليه. وبدلا من أن يكون المرء بطلا قوميا يفخر بنفسه وتفخر به عائلته ودولته إذا أبلغ عن محاولة تجنيده، نجده يصبح خائنا ويجلب العار والمهانة لنفسه وعائلته على مدى العمر. وفي النهاية لا شيء يظل مجهولا ومخفيا".

ويشير إلى أنه في إطار نشر هذه الثقافة الأمنية نجد أن عددا كبيرا من الجامعات في أميركا والدول الأوروبية تدرّس مقررات أكاديمية في "المخابرات" والجاسوسية والأمن القومي.

وفي الوقت الذي نجد فيه ضباط مخابرات متقاعدين من وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي ينشرون كتبا أو مقالات موضوعية في إطار الشفافية والتوعية الأمنية والدروس المستفادة، نجد ظاهرة أخرى أخذت تنتشر بين ضباط الموساد -المخابرات الخارجية الإسرائيلية- حيث يعمد الكثير منهم إلى نشر كتب لأسباب شخصية عن قضايا جاسوسية للموساد، سواء لأسباب مادية أو كتصفية حسابات.

ويلفت الخولي إلى أن هناك عدة مواصفات توضح وتحدد أن هذا الشخص جاسوس وهي: أولا، أن يتعاون مع جهاز مخابرات أجنبي. ثانيا، أن يتلقى احتياجاته من المعلومات ويرسلها. ثالثا، أن يتلقى مقابلا عن ذلك؛ سواء مكافأة مالية أو هدايا أو خدمات. فإذا لم تكن هذه الأمور متواجدة في العلاقة بين الشخص الأجنبي والمواطن فهي علاقة إنسانية عادية. أما إذا كانت هناك شبهة شك في أي من هذه النقاط، فعلى المواطن أن يتخذ الإجراء الأمني اللازم بالإبلاغ.

إجراءات أمنية احترازية

يشدد الخولي على وجوب اتخاذ الجهات الرسمية إجراءات أمنية احترازية لمنع تسرب المعلومات الهامة، ومن هذه الإجراءات تلك المتبعة في جهات حكومية أميركية وأوروبية وفي الشركات العالمية حفاظا على أسرار عملها.

ومن أهم هذه الإجراءات التي يضعها الخولي:

- فرض نظام للسيطرة على الوثائق والمعلومات الهامة والسرية من حيث تحديد من لهم حق الاطلاع عليها، وإيجاد سجل لتحديد من الذي اطلع على معلومة معينة ومتى ولماذا وماذا فعل بها؟ وينطبق ذلك على المعلومات المحفوظة إلكترونيا أو في الملفات الورقية.
- وضع نظام صارم لتصوير الوثائق والمستندات، يشمل بيانات حول الوثيقة، الشخص، التوقيت، وعدد النسخ.
- الرقابة الإلكترونية على المعلومات المحفوظة إلكترونيا وضبط عملية تحويل المعلومة، ونسخها في أقراص مدمجة أو بريد إلكتروني وما إلى ذلك.
- وضع كاميرات مراقبة قي الطرقات وفي الأماكن الحساسة في المنشأة مثل غرفة الأرشيف وتصوير المستندات.
- تطبيق نظام تفتيش الأفراد بصورة مفاجئة بحيث يتم اختيار عينة عشوائية في مواقع وتوقيتات مختلفة.
- التنبيه على الأفراد بضرورة الإبلاغ عن أي شخص يحاول الاطلاع على معلومة لا تدخل في نطاق اختصاصه.

ويرى الخولي أن هذه الإجراءات الأمنية الاحترازية تتخذها جهات وشركات في دول أخرى، ولكن ما نركز عليه هنا هو الوعي الأمني، ذلك السلاح الشخصي الذي يجعل الفرد مدركا لما هو خطر على الأمن، وما هو ضد الأمن، سواء الأمن الشخصي أو أمن المعلومات. وإلى جانب ما تقوم به الأجهزة الأمنية المصرية في مجال الوعي الأمني، هناك أدوار أخرى مكملة يجب أن تنفذ؛ ويأتي في مقدمتها من حيث قوة التأثير "الإعلام" و"الدراما".

ويشير إلى أن الرأي العام يتأثر بما يعرض في وسائل الإعلام المختلفة سواء كانت برامج أو ندوات أو مقالات أو دراما.

وتسعى الدراما التلفزيونية من حين لآخر إلى أن تقدم -بالتنسيق مع المخابرات العامة- مسلسلات من ملفات هذا الجهاز العريق، تبرز البطولات الوطنية، وترفع الروح المعنوية للمواطن، وتزيد من مشاعر حب الوطن والإخلاص له وزيادة الوعي الأمني.

غير أنه من الضروري أن تكون التوعية الأمنية متضمّنة في المسلسلات التي تتناول موضوعات اجتماعية عادية، بحيث يمكن أن تتضمن بعض المشاهد موقفا يتعرض فيه أحد أبطال المسلسل لعملية اقتراب منه من جانب ضابط مخابرات أجنبي يحاول تجنيده ليكون جاسوسا، ويقوم المواطن بإبلاغ الجهات الأمنية المختصة، سواء لإدارة الأمن في الجهة أو لمكتب المخابرات العامة في المحافظة التي يقيم بها.

وإلى جانب ذلك من المفيد إنتاج المزيد من المسلسلات التي تسهم في زيادة الوعي الأمني بالتنسيق مع جهاز المخابرات العامة وتكون من واقع ملفات تلك المخابرات. ناهيك عن أهمية إعادة عرض المسلسلات التي تطرقت للمسألة، من حين لآخر، لإتاحة الفرصة للشباب لكي يشاهدوها والاستفادة منها.

وينبه الخولي إلى أن العمليات الإرهابية التي تتعرض لها مصر منذ فترة ليست بالقصيرة هي من تخطيط أجهزة مخابرات أجنبية، بغض النظر عن القائمين بالتنفيذ. مؤكدا على دور الأسرة حيث يقول "يجب أن يكون هناك دور تربوي أمني تقوم به الأسرة مع أطفالها، ليدركوا خطورة وجود شخص غريب في المنطقة أو في السينما أو في السوبرماركت أو أي منشأة ويكون حاملا حقيبة ثم يتركها ويخرج. لذا يجب تعليمهم أهمية سرعة الإبلاغ عن ذلك".

ويؤكد ارتباطا بدور الأسرة، أن هناك دورا هاما للمدرسة مع الأطفال والشباب من الابتدائي إلى الثانوي. وليس المقصود وجود مقرر دراسي في الوعي الأمني. فقد يكون ذلك مفيدا، ولكن الأكثر إفادة وتأثيرا وفاعلية هو التلقين الشخصي والحوار مع الأطفال والشباب، مع إمكانية استخدام أفلام مصورة تعرض عليهم في الفصل ويعقبها شرح من خبير أمني يتم استقدامه للحديث مع الأطفال والشباب، قد يكون ضابطا ما زال في الخدمة ويتم التنسيق مع جهة عمله للقيام بهذه المهمة، أو يكون ضابطا متقاعدا لديه خبرة عملية سابقة.

الاختراق السيبراني

ويدعو الخولي إلى وجوب الاحتراس وتوخي الحذر عند استخدام "وسائل التواصل الاجتماعي". ويضيف "أن الاستخدام الخاطئ للفيسبوك بصفة خاصة يسبب مخاطر أمنية شديدة، فأجهزة المخابرات والتنظيمات الإرهابية تستخدم هذه الوسائل وتخترق الحسابات الشخصية للأفراد لتجمع المعلومات الشخصية عنهم وعن عائلاتهم وأصدقائهم وتعاملاتهم وتحركاتهم وأدق الخصوصيات والعلاقات المتداخلة والشؤون المالية. ثم تقوم بتحليل هذه المعلومات لاختيار من ترى أنه يصلح للتجنيد وتحدد كيفية الاقتراب منه".

وتشكل الهواتف الحديثة المزودة بإمكانيات تكنولوجية متطورة خطورة شديدة على الأمن الشخصي؛ ولذلك فإن تعليمات الأمن في الكثير من الدول لمختلف الجهات الحكومية، والشركات الكبيرة العالمية تقضي بعدم إدخال الهاتف المحمول إلى المبنى الذي تتواجد فيه المكاتب وغرف الاجتماعات.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن جهاز الهاتف يمكن أن يتحول إلى جهاز تسجيل أو تنصت على ما يدور في الغرفة من خلال تقنيات متقدمة يمكن أن تستخدمها أجهزة معادية.

ويعكس ما تعرض له السير جون سويرز حجم الخطر المحدق بالأشخاص جراء التساهل في استخدام الفيسبوك، حيث وضعه اختراق لحسابه الشخصي في موقف أمني حرج، وهو الذي كان من المقرر أن يتسلم عمله كرئيس لجهاز المخابرات الخارجية البريطاني MI6 في نوفمبر 2009.

الخطر المحدق

جرت العادة أن تحاط هذه التعيينات بسرية عالية قبل استلام العمل. لكن السيدة شيللي زوجة السير سويرز نشرت في يوليو 2009 على حسابها في الفيسبوك أخبارا عن الأسرة وأصدقائها وعلاقاتها الاجتماعية مصحوبة بعدد من الصور والكثير من التفاصيل، والغريب أنها لم تضع أي قيود حمائية على ما نشرته في حسابها، مما جعله متاحا لحوالي 200 مليون مستخدم بغض النظر عن أماكن تواجدهم.

وبمجرد رصد ذلك الأمر تم تنبيه وزارة الخارجية وMI6 وتم حذف ما نشر من تفاصيل شخصية وعائلية عنه. الحقيقة المؤكدة في أمر الفيسبوك أنك لست وحدك في حسابك مع أصدقائك فقط أو الدائرة المحدودة التي تتصور أنها هي فقط التي تطلع على ما تنشره في حسابك. فالفيسبوك يعتبر مصدرا هاما يجعل أي جهاز مخابرات يسعى وراءه؛ فهو يتيح إمكانية الوصول إلى ملايين الأسماء والعناوين والأصدقاء ودوائر المعارف والوظائف والأنشطة والحسابات البنكية وبطاقات الائتمان.

الحساب الشخصي للسير جون سويرز تعرض للاختراق جراء التساهل في استخدام الفيسبوك ما وضعه في موقف أمني حرج

ويلفت الخولي إلى مصدر آخر للمعلومات تستخدمه أجهزة المخابرات التي تتابع الشؤون المصرية وهو صفحة الوفيات حيث اعتاد المواطنون الإعلان عن حالات الوفيات في الأسرة بالنشر في الصحف. والإعلان عن وفاة شخص في حدّ ذاته وإبلاغ المعزّين بمكان وتوقيت العزاء ليس فيه أي ضرر، ولكن الخطر يكمن في صياغة النعي التي تشمل الأقارب ووظائفهم وأماكن عملهم تفصيلا وتحديدا، ويصل الأمر في الكثير من الأحيان إلى التباهي والتفاخر بالمناصب والوظائف. ولعله يكون من الأفضل أن يراعى الاختصار في مثل هذا الأمر والاكتفاء بالبيانات الأساسية والأقارب من الدرجة الأولى -دون وظائف وجهات عمل- بالإضافة إلى مكان وتوقيت العزاء.

تؤكد قضايا الجاسوسية التي تناولها الخولي إلى أن الكشف عن العملاء كان نتيجة عمل إيجابي من جانب شخص لديه شعور بالمسؤولية والحس الأمني، حيث تنبه إلى تصرف معين وساوره بشأنه الشك، وقام بالإبلاغ عنه، أو شخص مسؤول ظل يبحث عن الثغرة الأمنية التي يحدث تسرب المعلومات السرية من خلالها، ولم ييأس وظل يبحث إلى أن توصل إلى المتسبب في الخسائر الأمنية التي تضرّ بالأمن القومي للدولة.

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

ابن شرعي للنظام الجزائري يبشّر بتغييره

علي بن فليس
رجل الهزائم المتكررة

● بن فليس منتوج أصيل للنظام الجزائري، بقي تحت مظلته طيلة سنوات، ولحظة فكر في التمرد أو الخروج عليه أو غيرها من التسميات التي تصف تلك اللحظة، عزله وحاصره وسحب منه أدوات القوة والحضور والفعل.

● الحراك الجزائري لا ينسى أن حكومة بن فليس هي التي حظرت التظاهرات بقانون يمنع أي تجمهر، في مخالفة للحقوق التي ناضل بنفسه في سبيلها وتأسست من أجلها الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان التي كان عضوا فيها.

أبوبكر زمال
كاتب جزائري

ما بين عامي 2004 و2019 ما يزال علي بن فليس يحلم بمكانه تحت شمس الحكم. يصرح دوما أنه كان الفائز الحصري والاستثنائي في كل موعد رئاسي. خانته الأقدار ولعبت وراء ظهره رغم أنه كان ابنا للنظام يعرفه كما يعرف بيته، تربى بين جنباته وفي أروقته، لم تكن تغيب عن عينيه أي مناورات أو تكتيكات يقودها العسكر والساسة أو المتنفذون أو رجال المصالح وقوى الضغط.

وعندما رأى، في يوم ما، أنه لم يعد يطّلع على ما وراء الأبواب والستائر، شق عصا الطاعة وخرج لا يلوي على شيء سوى على المواجهة، وتدارك الأخطاء، وتصحيح الدفة علّها تدور إليه وترحم شغفه بقيادة بلد متهاو أصبح الكل بين ليلة وضحاها، بعد أن طوق الحراك الأعناق، يقول إنه في خدمته بالنفس والنفيس والغالي.

طعم الهزائم تلو الهزائم يعرف بن فليس مذاقه جيداً. لم يستقر له الأمر، حتى كأمين عام لحزب جبهة التحرير الوطني حيث أبعد من على رأس الحزب بعد انتخابات العام 2004 وخسر المعركة وسلم مفاتيح الحزب بمحض إرادته، كما يقول

تاريخان مر فيهما بن فليس منافسا عنيدا بعد أن أخرجوه من دوائر النظام، فلا أحد كان بإمكانه الاستقالة أو الانسحاب بمحض إرادته وهو ما كان معروفا، كما يقول المتتبعون لشؤون الحكم في الجزائر. هُزم على حصون وقلاع الحروب والصراعات التي كانت تدار من أجل خلود الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة وعصبته في جنات الملك، توقيتان عرفت فيهما الدولة التوترات والتجاذبات والصراعات والتخمينات والشكوك والقيل والقال.

الرئاسة المستعصية

زمن الاصطفاف والضرب تحت الحزام، الولاءات والطاعات والعصيان وبدايات التمرد والتململ، وميلاد الحركات الرافضة الصامتة والصاخبة لترشح بوتفليقة. الحسابات الخاطئة للكثير من الشخصيات والأحزاب والإعلاميين. والخيانات أيضا مع البحث عن مخارج ومنافذ للانفلات من عقيدة الخوف والسيطرة التي بسطها النظام منذ سنة 1999 على كل شيء.

كانت الرئاسة قاب قوسين أو أدنى من يد بن فليس. ترشح ضد بوتفليقة للعهدة الثانية بعد أن تلقى الأمر أو النصيحة أو الإشارة من طرف الرجل القوي آنذاك في منظومة العسكر الجنرال محمد العماري، قائد أركان الجيش الشعبي الوطني، تلقى ضمانات واسعة وكافية ومهمة من طرف هذا الأخير والذي كان يمثل أضيق دائرة قرار في الدولة منها يؤخذ كل شيء وفيها تصب وتوزع وتراقب وتعطي وتمنح وتتصرف حسب الدواعي والدوافع والمصالح.

تلك الضمانات التي كانت مسطّرة ودقيقة جرّت معها الكثير من الأحزاب والشخصيات والإعلام الذي هلل لترشح بن فليس وسانده وقوى مركزه في المجتمع واقتنع الكل تقريبا بأنه لم يتبق لعهد بوتفليقة سوى أيام معدودات بل ساعات سريعات بل دقائق خاطفات، وينتهي إلى غير رجعة حاملا معه الخطايا والرزايا والمناكب وعصابته كما توصف الآن.

ولكن كانت هناك يد أخرى مهيبة ومريبة تلعب في هذه الدائرة المغلقة وعلى الحبلين كما يقال. عين سهرت منذ توليها المنصب الأخطر في الدولة على شد الحبل والترقب والتوجس وعدم المغامرة. كانت عين الجنرال توفيق المسجون حاليا بتهمة التآمر ضد الدولة والجيش، تسهر في بيتين؛ بيت الدائرة الضيقة للعسكر، وبيت الرئاسة، وتنقل إلى هذه الأخيرة كل ما يتم التخطيط له ويطبخ.

كان يعرف بحكم منصبه أن الرئيس بوتفليقة لا تغيب عنه مثل هذه الألاعيب مهما كانت سريتها ولو كانت في قعر قمقم لعلم بها، وبين ليلة وضحاها. بين ساعات وساعات قلبت الدولة العميقة الآلة الضخمة للانتخابات التي كانت ستعطي لبن فليس الفوز وصبت في النهر الواسع للرئيس بوتفليقة، وبعد ثلاثة أشهر من فوز هذا الأخير أقيل الجنرال العماري وبدأت آلة المتاعب تشتغل ضده وخرج للعلن بعض ما قيل إنه فساد مرتبط به وبأولاده. وما زالت صوره وهو يجلس في الصفوف الأمامية لمبايعة بوتفليقة للعهدة الثالثة مبثوثة في النت كتعبير مخز عن الولاء والاعتذار.

مفاتيح ضائعة

ذاق بن فليس طعم الهزائم تلو الهزائم، لم يستقر حتى كأمين عام لحزب جبهة التحرير الوطني حيث أبعد من على رأس الحزب بعد انتخابات العام 2004 وخسر المعركة وسلم مفاتيح الحزب بمحض إرادته، كما يقول، بعد أن رأى بوادر الهيمنة والخضوع والتسلط تتسرب في مسامات الحزب، وعرف حينها أن القوى لن تتركه يخطو مرة أخرى نحو الحلم والطموح.

لكنه عاود الكرة مرة أخرى وترشح سنة 2014 تلبية للنداءات التي كانت تأتيه من "ربوع الوطن"، فهو كما يقول كوّن قاعدة لا بأس بها أصبح يعرف تطلعاتها وآمالها، غير أنه هزم مرة أخرى. وككل مترشح لا يحظى بالفوز في هذه المواعيد ألقى باللائمة على الإدارة والجهاز السياسي القائم آنذاك، وأصدر على إثرها كتابا أبيض حول التزوير والآليات التي اعتمدت في خرق النتائج وتضخيمها لفائدة بوتفليقة. مرارة الهزائم قابلتها الإلحاحات المتكررة من مناصريه ومسانديه لكي يبني لهم بيتا يحميهم من اللف والدوران والتيه فلا يعرفون هل هم مع جبهة التحرير الوطني العتيقة بما أن بن فليس ابنها بالقوة والفعل أم هم أبناء ضالون لا يعرفون أين يضعون قلوبهم وعقولهم ونضالاتهم وهم يرون بن فليس يتجرع هزيمة وراء هزيمة، فأسس لهم حزب الطلائع الذي يقول عنه إنه لـ"بناء الحريات". أنشأه من ضلع "الأفلان" مثلما ولد حزب التجمع الوطني "الأرندي" من الضلع الأعوج لـ"الأفلان" في متتاليات تاريخية مصيرية لا تنبسط أمورها إلا بمثل هذه التوليفات معظمها لا يخرج من الأوامر والتعليمات والحسابات.

ماضيه الذي يلاحقه

الحراك يتذكر أن حكومة بن فليس هي التي حظرت المسيرات والتظاهرات بقانون يمنع ويعاقب أي تجمهر، كان ذلك مخالفا لكل الحقوق التي أقرتها الأمم، وهي الحقوق التي ناضل بنفسه من أجلها وتأسست من أجلها الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان التي كان بن فليس عضوا فيها.

جاء القانون بعد اشتداد المظاهرات التي أطلقتها "حركة العروش"، وهي حركة أسسها موطنون ينتمون إلى منطقة القبائل خرجوا للمطالبة بحقوق اجتماعية ثم تحولت إلى جماعة ضاغطة رافضة للتعديلات الدستورية التي أقرها بوتفليقة لتمديد عهدات الرئاسة، وقامت بالزحف نحو العاصمة الجزائرية في تحد صارخ للسلطة آنذاك، وانتهت بسقوط ضحايا، مما حتم على حكومة بن فليس وضع قانون منعت بموجبه التظاهر، وبقي ساري المفعول إلى غاية أن تكسر في 22 فبراير تحت أقدام ملايين الجزائريين الذين ما زالوا إلى اليوم يتظاهرون بسخط ودون تعب.

نزل بن فليس في الساعات والأيام الأولى للحراك، ولكنه قوبل بالرفض وطرد من الساحات ليقين الجزائريين أنه جزء من النظام، عمل فيه وتعامل معه، وكان في قلب الحكم وزيرا للعدل، ومديرا لديوان بوتفليقة، ورئيسا للحكومة، وأمينا عاما لحزب "الأفلان" الجاثم على صدر الدولة منذ الاستقلال ومهيمنا عليها.

وفي عهده طار "الفتى الذهبي" مؤمن خليفة الذي قدمت له حكومة بن فليس عام 2001 كل التسهيلات، وفتحت له أبواب البنوك والمؤسسات الاقتصادية الكبرى، بنى على أنقاضها إمبراطورية ضخمة خرافية هلل له الكل ووصفت بالقفزة الهائلة نحو العيش الرغد والكريم. طار في السماء محاطا بالذهب والإعلاميين الكبار والفنانين العالميين ورجال السياسة والنفوذ، ولم ينزل إلى الأرض إلا بفضيحة سميت "فضيحة القرن" ما زالت تفاصيلها مضروبا عليها بالحديد وملفها يراوح المكان بين أروقة العدالة، فضيحة هزت الاقتصاد الوطني وخلفت كوارث مالية واجتماعية لم تزل الدولة والمجتمع يتجرعان كأسها العميق المترع بالمرارة والصمت.

خلافات وأسرار

لم تتسرب تفاصيل كثيرة حول الأسباب والخلفيات الحقيقية التي نشبت بين بوتفليقة وبن فليس وجعلت هذا الأخير يغادر منطقة الحكم الآمنة، قيل إن السبب يعود لرفضه قانون المحروقات الذي كان سيرهن حقول الجزائر الغنية ويضعها في أيد أجنبية أميركية بالتحديد، وهو قانون أعده أقرب مقربي بوتفليقة وزير الطاقة آنذاك شكيب خليل المطلوب اليوم للعدالة، أعده بمعية خبراء من أميركا وصناع قراراتها الخارجية، وقد تكاتف ودعّم الرفض بقوة وزير الداخلية آنذاك يزيد زرهوني، وتم سحب القانون حسبما يشاع بناء على رغبة الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز في إحدى الزيارات الرسمية التي قادته إلى الجزائر حيث انفرد رئيس الحكومة بن فليس به وطلب منه الضغط على بوتفليقة من أجل أن يلغي القانون وهو ما تم.

بالمقابل يقول آخرون إن الخلاف جاء بعد أن أحس بوتفليقة أن بن فليس طعنه في الظهر، وهو الذي فتح له أبواب القصر، وأحتضنه، وعلمه أصول السياسة وإدارة المواقف هنا وهناك، ومنحه فرص التقرب من صنع القرار وأطلعه على الكثير من الأسرار والخفايا المتعلقة بالنظام، فقاد حركة أو تمرّد في الخفاء بإيعاز من جناح قوي داخل المؤسسة العسكرية، فترشح مرتين ضده، ولكنه انهزم أمام قوى الأمر الواقع المدعومة بقوة المال والمكر والمؤامرات والدسائس، وتلك هي فنون الحرب التي يصلح فيها كل شيء من حيث التموقع واللحظة السانحة والحسابات الصحيحة والتي لم يحسن بن فليس النظر إليها وتقييمها والعمل والتحرك على ضوئها.

متاهة المصير

ربما كان قدر بن فليس ابن الـ75 سنة المولود بمنطقة الأوراس حاضنة الثورة الجزائرية، ابنا لثوار حاربوا وسقطوا شهداء إما تحت التعذيب أو عن طريق الإعدام، ولم يعرف إلى الآن مصير والده المخطوف من طرف المستعمر الفرنسي، ربما كان قدره مرتبطا بهذه المنطقة التي احتضنت عائلته وغرست فيه جذور الشهامة والصدق والوفاء والتربية والسلوك الأخلاقي الذي يراعي الاحترام والتقدير. ولكنه في لحظة زمنية فاصلة، بين هذا وذاك، عرف أن مصيره سيقوده إلى معترك نضالي مسموحا فيه كل شيء.

حاول أن ينقل القيم التي تربّى عليها إلى جسد السياسة الموشوم باللحظة مهما كانت نتائجها سواء أكانت مفسدة أو مصلحة، ووضع نفسه في خضم هذه المتاهة اللولبية التي لم يخرج منها إلا منكسرا ومحطما ومريرا، وكلما عاد إلى الواجهة عاد وفي قلبه وذاكرته الكثير من الأحداث التي يتمنى أن تمحى من مساره المليء بالإحباطات والكثير من الآمال، فليس سهلا أن تنفصل من نظام أو قانون أو حياة أو واقع أو رجال كنت قريبا منهم أو بعيدا منهم، صنعوك وعركوك وعجنوك بمحض إرادتك وبكامل وعيك وهو ما هو عليه بن فليس مهما كانت التزويقات والمعارضات والاختلافات. فبن فليس منتوج أصيل للنظام، بقي تحت مظلته وقبعته طيلة سنوات، ولحظة فكر في التمرد أو الخروج عليه أو غيرها من التسميات التي تصف تلك اللحظة، عزله وحاصره وسحب منه أدوات القوة والحضور والفعل، ومع ذلك استمر في المقاومة مستعيدا هذه المرة روح الأرض التي ربته على الصبر والأناة والاعتزاز بالمصير أيا كانت وجهته.

قانون المحروقات الذي كان سيرهن حقول الجزائر الغنية ويضعها في أيد أجنبية أميركية بالتحديد، قانون أعده أقرب مقربي بوتفليقة وزير الطاقة آنذاك شكيب خليل المطلوب اليوم للعدالة، لكن بن فليس انفرد بالرئيس الفنزويلي الراحل هوغو تشافيز وطلب منه الضغط على بوتفليقة من أجل أن يلغي القانون وهو ما تم

مثلما قلنا عن حمروش الرئيس الحالم عن أنه نموذج تراجيدي لرجل كان جزءا من منظومة الحكم في الجزائر التي ساهمت في إفلاس الدولة وتعريتها، والدليل ما وصلت إليه اليوم في خضم الحراك الرافض لها، كذلك ينظر إلى بن فليس كحلقة أخرى في سلسلة هؤلاء الرجال، فحتى لو جاء واحدهم يسعى بأطباق من ذهب، فلن يصدقه الحراك، كما يقول أحد النشطاء.

يحسب لبن فليس أنه حافظ لبحور الشعر العربي العشرة، يعرف دقائقها وأسرارها وتفاصيلها ومملاتها، يتهكم من بحر الرجز حمار الشعراء كما يقال، ويمر عليه سريعا، وكأنه لا يريد أن يكون ضمن قوافل البحور. في رأسه بحر هائج ومتلاطم وعاتية أمواجه وعميق غوره، بحر الجزائر. فترى على أية سفينة سيمخر بن فليس عباب هذا البحر ويقود الجزائر إلى بر الأمان وشط السلام؟

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

بيوت في الطريق إلى الخلود

المحرق

التاريخ بقدمي شاعر مغامر

فكرة ترميم البيوت التراثية لا تنحصر في استعادة إرث معماري وماض عريق من المحاولة في أنسنة البحر ومغامرة الغوص بحثا عن اللؤلؤ. هناك هدف ثقافي يتخطى إحياء الماضي الذي يستحق أن تتعرف عليه الأجيال.

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لا تزال المحرق كما هي، بهويتها الثقافية التي هي مزيج من اللقى النفيسة التي يلقيها البحر على سواحلها. تلك مفاجآتها في بلد غارق في حداثته العمرانية بكل أنواعها. فالبحرين تتغير كل لحظة كما لو أنها تود أن تصبح بلدا آخر، بلدا لا يشبه نفسه. ذلك ليس مجازا شعريا بل هو كلام واقعي يعتمد على حقائق أرضية لا يمكن للعين سوى أن تعترف بعجزها عن اختزالها في مشهد بصري واحد.

المحرق ليست مدينة فرجة أو سياحة. إنها مدينة عيش ممعن في حميميته. يشعر المرء وهو يسير بين دروبها القصيرة والضيقة كما لو أنه يعود إلى بيته. هناك علاقة قرابة تفصح عنها العيون التي لا تنظر إلى الغريب من جهة كونه ضيفا عابرا يُحاط بعاطفة مؤقته. قالت لي سيدة ترتدي العباءة التقليدية التي ذكرتني بأمي "أنت في بيتك. الغداء جاهز".

البيوت المتاحف

كان عليّ أن أبحث عن بيتي في المحرق التي استحقت الشيخة مي بنت محمد آل خليفة جائزة الأغا خان من أجل بيوتها التراثية. فالبيوت التي أعادت الشيخة مي إحياء خيالها صارت بمثابة محور للتفكير في محرق المستقبل. تلك البيوت التي أعادت الشيخة مي ترميمها من أجل أن تكون جزءا من مركز الشيخ إبراهيم الثقافي هي بيوت مستقبلية. ذلك لأنها بالرغم من إخلاصها للأصل الذي لا تزال تحافظ على الجزء الأكبر منه فإنها اكتسبت من الشيخة مي عادة التحليق بين الأزمنة.

إنها بيوت محلقة في فضاء الشعر والموسيقى والرسم والكتابة بكل أنواعها. سيُقال إنها مشروع لإقامة مدينة مثقفين معزولة عن محيطها الذي يحتضن حياة الناس العاديين. ذلك ليس صحيحا ولا يمت إلى الواقع بصلة.

فالبيوت المتخيلة التي صارت جزءا من مشروع أرضي مارست سحرها على أحياء بكاملها بحيث صارت تلك الأحياء تتمتع بنعمة الجيرة الحسنة. لقد صار السكان العاديون جيرانا للشعر والموسيقى والرسم والكتابة.

لقد تغير الهواء في جزء بارز من مدينة المحرق. هناك أصوات مختلفة يحملها ذلك الهواء الذي لم يعد معبأً بالضجر والذكريات العائلية.

غرفة الشيخ إبراهيم

نظرية الشيخة مي في التغيير ليست معقدة ولا صعبة. فهي توحي كما لو أنها ممكنة بيسر وتفاؤل. غير أن ذلك ليس صحيحا أيضا. فالمدينة ليست حجرا. إنها البشر وهم ملائكتها. ذلك ما يهب الشيخة مي صفة لم تكن تتوقعها.

"هل رأيت البيوت هناك؟" يسألني صديق بحريني بعد أن أخبرته أنني ذهبت إلى المحرق كما لو أنه يشير إلى متاحف.

في عام 2002 افتتح مركز الشيخ إبراهيم الثقافي في المكان نفسه الذي كان يقع فيه مجلس الشيخ إبراهيم الأدبي بمدينة المحرق. بني المركز بطراز معماري جديد ليحتضن محاضرات وندوات ثقافية متنوعة ضمن مواسمه السنوية التي تكون غالبا غاصة بأسماء مبدعين عرب، حرص المركز على أن يزين جدرانه بصورهم.

والشيخ إبراهيم لَمن لا يعرفه هو الشاعر البحريني إبراهيم بن محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة الذي ولد في المحرق منتصف القرن التاسع عشر وتوفي عام 1933. درس على أيدي علماء نجد ثم ذهب إلى موبي با لهند لإكمال دراسته. تجول بين مدن الجزيرة العربية وصولا إلى زنجبار من أجل البحث والمعرفة. حوّل مجلسه إلى مركز بحثي ومعرفي حيث كانت تُقام فيه الندوات الفكرية والشعرية ولأنه كان ميالا إلى نشر المعرفة فقد ساهم في تأسيس مدرسة الهداية الخليفية ونادي المحرق الأدبي ومكتبة المحرق.

تكشف الرسائل المتبادلة بينه وبين شعراء وأدباء عصره ومن بينهم أمين الريحاني عن حس وطني متقدم على زمانه، ذلك لأن ذلك الحس كان مرتبطا برغبة عارمة في تحرير المجتمع من قيود الماضي وتقاليده البالية. مركز الشيخ إبراهيم هو استحضار معاصر للمجلس القديم.

> التراث المعماري الذي تشيد من أجله تلك البيوت يمثل حاضنة محايدة تلتقي فيها الأفكار والتجارب الإبداعية وتتلاقح الثقافات المعاصرة في ظل أجواء منفتحة على التسامح والتعددية

غير أن الدهشة تقع حين يرتقي المرء سلّما يقع خلف المركز ليقوده إلى غرفة الشيخ إبراهيم الشخصية التي لا تزال كما هي. هناك تبدو الأمور مختلفة. فالزمن يشف عن إيقاع مختلف، كما لو أن الرجل المحتفى به لا يزال يحكم السيطرة على ما يرغب في أن يراه حاضرا بين يديه. لقد تحققت نبوءته. فمجلسه الذي لا يزال عامرا تديره امرأة هي حفيدته التي صارت مؤرخة. ذلك يعني أن الجزء الأكبر من رسالته قد تحقق. فالمرأة التي تعلمت صارت ضليعة في الشأن الثقافي باعتباره فعلا جدليا يقع داخل المجتمع لا خارجه. على غرار مجلسه فقد تم إعمار عدد من البيوت التي صارت أشبه بالكواكب الصغيرة التي تدور في محيطه، بالرغم من أنها مستقلة بأساليبها.

بيوت خفيفة مثل فكرة

فكرة ترميم البيوت التراثية لا تنحصر في استعادة إرث معماري وماض عريق من المحاولة في أنسنة البحر ومغامرة الغوص بحثا عن اللؤلؤ. هناك هدف ثقافي يتخطى إحياء الماضي الذي يستحق أن تتعرف عليه الأجيال. ذلك الهدف يكمن في العثور على الخيط الرفيع الذي يربط ما بين الماضي الذي تجسد البيوت واحدة من صيغ حضوره في المكان وبين الحاضر الذي يتموج مثل مياه البحر بين مرجعيات فكرية وفنية متنوعة ومتعددة الوجوه.

التراث المعماري الذي شيد من أجله أحد تلك البيوت يمثل حاضنة محايدة تلتقي فيها الأفكار والتجارب الإبداعية وتتلاقح الثقافات المعاصرة في ظل أجواء منفتحة على التسامح والتعددية في كل ما يتعلق بآليات وتقنيات وطرق التفكير والإبداع الثقافي.

كل ذلك انعكس على الخدمات الثقافية التي تقدمها البيوت بعد أن صارت جزءا من مركز الشيخ إبراهيم الثقافي.

حين تذهب إلى بيت محمد بن فارس لفن الصوت، وهو بيت الموسيقى، تجد نفسك محاطا بأرشيف رائد فن الصوت الخليجي. متحف للموسيقى يحتوي على الأسطوانات والآلات الموسيقية القديمة والكتب التي تم تأليفها عن ذلك الرائد والنصوص الشعرية التي غناها وصور عن حياته.

في بيت الكورار تنتقل إلى عالم آخر هو في طريقه إلى أن يختفي، هو فن الحياكة والخياطة اليدوية الذي تنتج العاملات فيه أنواعا بعينها من الثياب التي صارت نادرة.

في بيت الصحافة، وهو بيت عبدالله الزايد، يتعرف المرء على تاريخ الصحافة من خلال واحد من أهم روادها. أما في عمارة بن مطر، وهو البيت الذي يعود إلى عام 1902، فهناك عروض تشكيلية متحركة. كان المعرض الذي تمتعت بزيارته معرضا استعاديا لفنان البحرين الكبير راشد العريفي الذي عُرف بأسلوبه التجريبي الذي سمح له بالتنقل بين المدارس الفنية.

"أقرأ" هو الشعار الذي يحث الأطفال على الذهاب إلى بيت القراءة. من خلال ذلك البيت الذي يتميز بخفة ظله تكتمل الدائرة الثقافية.

على الطريق إلى خلودها

إن لم تزر تلك البيوت فكأنك لم تزر جزيرة المحرق. فما تراه هناك ينقلك مباشرة إلى عالم الحقيقة الذي انطوت عليه محاولة التحديث في بلد احتضن واحدة من أقدم الحضارات وكان دائما وسيطا بين الحضارات الكبرى.

المحرق التي كانت لزمن طويل عاصمة للبحرين تستعيد مجدها من خلال تلك البيوت التي تذكّر بعبقريات أصحابها وقوة الحلم الذي أحاط بها ونافس البحر بعصفه. كانت المحرق مدينةَ ثقافةٍ وها هي اليوم تستعيد تلك الصفة.

الاحتفال الذي أقامته مؤسسة الأغا خان من أجل تسليم جائزتها للشيخة مي آل خليفة يؤكد أن المحرق صارت حدثا عالميا بفضل بيوتها التي مر بها الأدباء والمفكرون والفنانون العرب وأصيبوا بعدوى حبها.

كانت المحرق أرض الخلود في الميثولوجيا الرافدية وهي اليوم أرض الثقافة المعاصرة.

ما يراه زوار بيوت المحرق ينقلهم مباشرة إلى عالم الحقيقة الذي انطوت عليه محاولة التحديث في بلد احتضن واحدة من أقدم الحضارات.

الشيخة مي بنت محمد آل خليفة تستحق جائزة الأغا خان من أجل بيوتها التراثية التي أعادت إحياء خيالها فصارت بمثابة محور للتفكير بمحرق المستقبل.

العرب الثقافي
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

أسئلة الكتابة ومغامرة الكاتب

أفكار وقراءات وشهادات في الكتابة العربية المعاصرة

شغلت الكتابة ومفاهيمها، والكتابة بوصفها تأسيسا لعالم موازٍ للعالم، ومساحة للتعبير، وأفقا للتغيير مساحات كبيرة من اهتمام نقاد الأدب والمنظرين والباحثين في علم الجمال الأدبي، وكذلك في اهتمامات المفكرين. ولم تتوقف الثقافة العربية عن ربط الكتابة بأسبابها إن لدى الأفراد المبدعين في الأدب والمشتغلين في حقول الفكر المختلفة، أو في ثقافة المجتمع وتطلعات النخب المفكرة والمبدعة والأسئلة الشاغلة لهذه النخب، لاسيما في المنعطفات الكبرى، وفي الأزمنة التي تتحول فيها الكتابة إلى محرك لعجلة الوعي بأحوال المجتمع وأدوار الثقافة في تطوّر الوعي.

وفي هذا الملف آراء وأفكار وشهادات في الكتابة، الأدبية أساسا، تجمع بين التنظير للكتابة كفعل وانعكاس معا لتطور الأنواع الأدبية وموضوعات الأدب وتطلعات الأدباء وانشغالاتهم، وكذلك لصلتهم بالإرث الأدبي القديم والحديث معا، على اعتبار أن تاريخ الكتابة وتقاليدها ومراميها لطالما شكلت مكونا أساسيا في صلب المغامرة الأدبية، وكذا الفكرية، وهو ما يثير الأسئلة الكبرى في الثقافة العربية المعاصرة. ولم تنفصل العملية الإبداعية ومغامرة الإبداع عن علاقة الكتابة بالصراع الاجتماعي وبلغة العصر وبالرغبة في تجديد لغة التعبير الأدبي، ولا عن الأزياء الأدبية وصلتها بالعصر بالنسبة إلى هموم الكاتب المعاصر. ولطالما شكلت فكرة كسر الحواجز والخروج على التقاليد القديمة أو السائدة في الكتابة لدى الأدباء المعاصرين بعض أبرز همومهم، وكذلك البحث عن صيغ جديدة تستوعب تلك الهموم والتطلعات وتمكنهم من ارتياد آفاق جديدة كانت ولا تزال تقتضي منهم الإجابة عن جملة من الأسئلة الجوهرية، واجتراح أسئلة جديدة تميز أدبهم ومغامراتهم الجمالية والفكرية عمن سبقهم من الأدباء، وعما تأسس في اللغة وقر وصارت له صورة ناجزة في الأدب والفكر.

لماذا نكتب؟

الكتابة بوصفها هوية

لوحة محمد ظاظا

يعدّ سؤال الكتابة أحد أبرز أسئلة الإنسان والحضارة والهوية في مضمار البحث عن الوجود القابل للعيش والإنتاج والإبداع، وحين يكون السؤال مجرّداً من أيّ أولويات ومساند ومرجعيات "لماذا نكتب؟" يمكن أن يكون دالاً على حقيقة الكتابة وجدواها، إذن ما أن يصطدم الكاتب بكتابته أو قبل ذلك بالرغبة التي يجد نفسه مدفوعاً نحوها حتى تبدأ الأسئلة تترى وتتفاعل وتُنتج، لم تكن طريق الكتابة يوماً ما مفروشة بالورود كما يقولون، هي طريق غير معبّدة تستلزم معرفة مسبقة في السير عليها بأقلّ ما يمكن الخسائر المحتملة، وتقتضي من الكاتب أن يكون ماهراً في قصّ الأثر وتعقّب المخفيات والمضمرات والغوامض في القدرة على تفكيك ما تتركه الأقدام السائرة قبله من علامات، لذا لا يمكن لغير المشغول بهذا السؤال بالغ الاستعصاء والمجهولية المغامرة في تراب ملغوم، غير أنّ كثيراً من الحمقى ممّن يركبون هذه المركب الصعب بهدف التسلية أو الوجاهة أو الوهم، سرعان ما تنكشف عوراتهم وتُفتضحُ ممارساتهم حين يتعثرون ويسقطون ويرتبكون وتغيم أمامهم السبل ولا من منقذ.

محمد صابر عبيد
ناقد وشاعر عراقي

أوّل صدام يحصل بين الكاتب والكتابة هو صدام الموهبة بلا أدنى شك، فدون موهبة لا كتابة مهما كان نوع الكتابة ومنهجها وأسلوبها وغايتها ومقصدها، وبعد صدام الموهبة تبرز فوراً الثقافة بوصفها زيت الموهبة ووقود الكتابة، ومن ثمّ تتحرّك نحو أفق الصدامات التجربة والخبرة والقدرة الفكرية الخاصة على إنتاج المعرفة، فلا كتابة حقيقية من دون سند فكري شخصي يعرّف عن نفسه بقيم فكرية لامعة ومدهشة تترك بريقها على سطح الكتابة وفي جوفها، لذا يبقى سؤال الكتابة حياً ومثيراً ومحفزاً للسجال والحجاج طالما أنّ مستلزماتها تتكشّف عن حضور أصيل غير مزيّف، فالكتابة لا يمكن أن تكون نصف كتابة كما هي حال الأشياء الأخرى في الحياة، الكتابة إمّا أن تكون مبتكرة وجديدة وإمّا ألاّ تكون سوى تقليد وتشبيه وقناع لا يدوم إلا بزمن دوام البرق أمام عينين جريئتين.

الكتابة سلّة أسرار وخفايا ومضمرات واستعارات وكنايات ومقاصد وأهداف تحتاج إلى إمكانات كبيرة لأجل فكّ عُقَدِها وطبقاتها التي لا تظهر على السطح بوضوح، ويخضع كلامها الحاوي لهذا الخصب في درجة رفيعة من درجاته لنُظم صوغ استثنائية فريدة لا تتاح إلا لموهوبين قلائل بوسعهم إنتاج الكلام على نحو مغاير، هذا الكلام الفريد والنوعيّ هو الكلام الأدبيّ المعبّر عن تجربة حيويّة غزيرة ترقد في العقل الإبداعيّ لصاحب الكلام، فتختمر التجربة داخل العقل وتتفاعل على نار هادئة حتى تتحوّل إلى نصوص بارعة في جوّ من التخييل المشحون بعاطفة ثريّة، ويغذّيها رافدان أساسان هما الحياة والموهبة، فمن غير حياة مشبعة بالاحتدام على مستوى الفعل الاجتماعيّ والوجدانيّ والثقافيّ والفكريّ، ومن دون استعداد أدبيّ فنيّ يوصف بالموهبة وما ينطوي عليه من إمكانات في التعبير والتشكيل والتصوير، لا يمكن للكلام أن يتحوّل إلى نصّ أولاً ومن ثمّ إلى خطاب قادر على التحريض والإثارة وإنتاج الجمال.

> الكتابة إمّا أن تكون مبتكرة وجديدة وإمّا ألاّ تكون سوى تقليد وتشبيه وقناع لا يدوم إلا بزمن دوام البرق أمام عينين جريئتين

لا تختلف أنواع الكتابة الأخرى في الميدان الفكري والفلسفي عن نوعها الأدبي الأكثر حضوراً واستئثاراً حين ينبري في الأفق سؤال الكتابة، ولكلّ نوع من هذه الأنواع سيرته ومنطلقاته ومواضعاته وأسسه وقواعده وقوانينه التي تجعل منه معرفة أكيدة وأصيلة ومحترمة، لا تتكدّس في أحياز المكان أو فضاءات الزمان إلا وهي تؤثّر في كلّ زاوية وثانية ومسار ومساحة وحدث، لتجاور عن كثب الكتابة الأدبية بوصفها عروس الكتابات حين نأخذ بنظر الاعتبار مساحة التلقّي وهي تنفعل بالكتابة الأدبية على نحو غزير وإنساني ذي طبيعة شعبية جماهيرية، وهو ما يفرض عليها الاستجابة لبعض المتطلبات التي ينبغي ألاّ تجور على أسس البناء وحيثياته الجوهرية، وتشحن هذه الشعبية أو الجماهيرية بطاقة جمالية تتأتى من الفهم السليم والتمثّل الشاسع لسؤال الكتابة في مركزيته الفلسفية.

تتطلّب عمليّة الصوغ الكلاميّ نوعاً من الصنعة المتميّزة حيث ينفتح الخيال المرهف على طاقة تنضج فيها حيوات التجربة وتنمو وتكبر وتستوي، وتقوم على حساسيّة عالية في انتقاء الألفاظ التي تتلاءم مع أساليب التعبير والتشكيل لأنّها الفعالية الأكثر خطورة في صناعة الكلام، فاللغة تحتوي على ما لا يعدّ ولا يحصى من الألفاظ التي تصلح للكلام ضمن ضوابط وأعراف وتقاليد لغوية خاصّة لا يمكن التلاعب بها، لذا فإنّ عملية انتقاء الألفاظ بما يناسب الحال الكلاميّة عملية في غاية الدقّة والخطورة على النحو الذي يجعل الانتقاء نوعاً من الثقافة والوعي والفنّ أيضاً، لأنّ كلّ لفظ من ألفاظ اللغة يصلح لمقام كلاميّ ولا يصلح لآخر ما يُلقي على عاتق صانع الكلام مهمّات ليست سهلة في وضع اللفظ موضعه الصحيح والمناسب.

يمكن النظر إلى المناسبة بمعناها الخاضع للتجربة من جهة وللحظة الإبداع من جهة أخرى بوصفها حالة ضروريّة لإنتاج الكلام النوعيّ الخاصّ، ومفهوم المناسبة هنا مفهوم واسع وعميق ومتعدّد ومتنوّع لا يقتصر على الجانب البسيط من المفهوم المرتبط بظرف مكانيّ وزمنيّ محدّد، العلاقة الدينامية بين صاحب الكلام ومتلقّيه علاقة أصيلة لا بدّ منها ترسم صورة المثلّث الكلاميّ (المتكلّم/الكلام/المستمع)، وثمّة ما يمكن وصفه بـ"جوّ الاستقبال" الذي يقيس مستوى التأثير على أرض الواقع القرائيّ ويحدّد المسافة بين أضلاع المثلث، فالمسافة هنا بين أضلاع المثلّث متحرّكة وليست ثابتة وهي تتحرّك على وفق الأجواء المحيطة بكلّ ضلع منها، وفي المحصّلة النهائيّة تؤول العلاقة بين الأضلاع إلى أفضل وضع نموذجيّ ممكن تؤدّي فيه أدوارها بما يعزّز طاقة الكلام على التأثير والتغيير والإبهار والإسعاد.

تنهض نظم صوغ الكلام على أحوال كثيرة تحدّد قوة الكلام وقدرته على البلوغ في الوقت المناسب والمكان المناسب، ولا بدّ من مقاربة إشكاليّة قلّة الكلام وكثرته، وكلّ حال منهما له فوائد وأضرار لا تقف عند حدّ المعنى المُراد من الصانع.

، بل تمتدّ نحو مفاهيم أوسع من ذلك بكثير حين يُنظر إلى إيجاز الكلام في الثقافة الأدبية العربيّة على أنه "بلاغة"، وحين يحتاج المقام إلى كلام أكثر لأجل إيصال الفكرة على أفضل نحو فإنّ صاحب الكلام يُطنب في أسلوبه، فيُنظر إلى أطنابه على أنّها بلاغة أيضاً في سياق اختيار أمهر السبل لإيصال المقولة النصيّة إلى من يستحقّها، وإذا كان الشعر يتحرّى الإيجاز بوصفه صفة شعريّة جوهريّة في الكلام الشعريّ فإنّ القول السرديّ يحتمل الإطناب أو "الثرثرة السردية" التي تنوع نحو شعريّة التفاصيل.

ثمّة فرق أصيل بين الإطناب بمفهومه البلاغيّ الدقيق والكثرة القوليّة التي لا تؤدّي وظيفة ظاهرة وأكيدة، فالكثرة التي لا دور لها سوى المبالغة الفارغة في تكديس الدوال تفسد تركيز المقولة وتقلّل من الضوء المسلّط عليها، وتُثقل النصّ بزوائد تعمل على ترهّل مكوّناته فتكون الحركة الدينامية التي يتوقّف عليها إيقاع النصّ بطيئة وسقيمة لا مستقبل لها.

الكتابة في طبقتها الشعرية أو القول في طبقته السردية يتوجّهان لحلّ مشكلة محدّدة في عمليات بناء النصّ، وهذا الحلّ يحتاج لمقوّمات لا بدّ من توفّرها بقوّة وديمومة، منها ما يخصّ الطبيعة التعبيريّة والتشكيليّة للكلام في الكتابة ومنها ما يخصّ التجربة التي يشتغل عليها الكلام لتحويلها إلى نصّ، وحين يولد النصّ يغيب فوراً كلّ ما عداه كي يكون النصّ هو البديل الفنيّ عن المرجعيات والمكوّنات والحيثيات والفضاءات التي أسهمت في ولادته، وهو ما يُوجبُ عليه أن يكون في أعلى درجات الرشاقة والأناقة والاقتصاد ليؤدي وظائفه ومقاصده على أكمل وجه، ويطمئن على مسار الفعاليّات الداخلية لحيوات النصّ وهي تتحرّك في مسارات طبيعيّة من دون مشاكل.

موت المخيلة

فخري صالح
ناقد ومترجم أردني

يتوقف الكاتب عن الكتابة عندما يشعر أن مخزونه الإبداعي نضب، أو أنه استهلك موضوعاته ووصل إلى نهاية الدرب في النوع الكتابي الذي مارس الإنتاج فيه طوال فترة زمنية، طالت أو قصرت.

وفي العادة يغيّر الكتاب الأنواع التعبيرية التي يمارسونها بحثا عن آفاق أوسع للإبداع وعن مسارب غير مطروقة في تجاربهم لكي يجددوا شباب لغتهم وأشكال تعبيرهم عن الأفكار والتجارب التي ينوون نقلها إلى القراء. روائيون ينتقلون إلى كتابة الشعر، وشعراء ينتقلون إلى كتابة الرواية، وشعراء أو روائيون يبدؤون في تقليب سيرهم الذاتية أو عوالمهم الداخلية على نار أشكال مبتكرة من الكتابة.

تلك بعض الطرق التي يحتال بها الكاتب على الرتابة والتكرار والدوران في حلقة مفرغة من الإعادة المملة للكلمات والأفكار نفسها. البديل هو التوقف عن الكتابة، أو الانتحار كما فعل عدد من الكتاب الذين اصطدموا بحائط اللغة، بتعبير يوسف الخال عندما توقف عن إصدار مجلة "شعر".

وهذا يعني أن الكتابة هي نوع من العيش الذي يتوقف بتوقفها، مما يفرض على المشتغلين بهذه المهنة المتعبة أن يفكروا على الدوام بتجديد ذواتهم وحقنها لا بالأفكار الجديدة فقط بل بأشكال مبتكرة وطرائق مبدعة لامعة للتعبير عن هذه الأفكار.

يعرف الكاتب أن خياله نضب، وقدرته على تحريك مشاعر القراء قد ضعفت، عبر تناقص مبيعات كتبه، أو عندما تكف تلك الكتب عن إثارة النقاش، والنقد الإيجابي، حولها في الصحف ووسائل الإعلام المختلفة. ورغم الدور الترويجي الذي تقوم به دور النشر أحيانا فإن الكاتب الأصيل يعرف أنه قد توقف عن الإبداع وانحبست مخيلته، وصار لزاما عليه أن يجدد عالمه الإبداعي أو يتوقف. كما أن المؤسسة الأدبية-الإعلامية في البلدان، التي تعد الثقافة فيها جزءا أساسيا من الحياة اليومية للبشر، تلعب دورا حقيقيا في قياس عملية تطور المبدعين وارتفاع مستوى إنتاجهم أو انخفاضه.

هذه هي الحكاية عندهم، فهل هي كذلك عندنا؟ الكاتب في بلاد العرب يصدر عملا أول مميزا يعيش عليه طوال عمره. لكنه، رغم فشله في إنجاز عمل بحجم العمل الأول، يواصل الكتابة ودفع ما يكتبه إلى دور النشر دون أن يخطر في باله التوقف لحظة واحدة وسؤال نفسه عن مستوى ما يكتبه بالقياس لعمله الأول على الأقل. إن الكاتب العربي يواصل الكتابة لا بغرض تطوير النوع، أو تطوير إبداعه، بل بقصد الحفاظ على حضوره الشخصي، وربما حضوره الفيزيائي عندما يصرّ على الإكثار من نشر صوره في الصحف والمجلات أو يحرص على إسماع صوته للقارئ من خلال أثير الإذاعة أو الإطلال على الجمهور عبر الشاشة. يساعده على ذلك تواطؤ الإعلام والمؤسسة الأدبية، ممثلة بالجامعة والنقاد ودور النشر التي تسعى في أحيان كثيرة إلى تلميع المواهب الصغيرة أو إدامة حضور بعض الكتاب الذين نضبت مواهبهم وقلّ محصولهم الإبداعي.

> رغم الدور الترويجي الذي تقوم به دور النشر أحيانا فإن الكاتب الأصيل يعرف أنه قد توقف عن الإبداع وانحبست مخيلته، وصار لزاما عليه أن يجدد عالمه الإبداعي أو يتوقف

كما يعزز حضور هذا الكاتب، الذي توقف عن الإبداع في إطار النوع الأدبي الذي ينتج فيه، ضعف الحس النقدي في المجتمعات العربية والاندفاع إلى قبول ما تقوله الصحافة والإعلام وأخذه على محمل الحقيقة.

في ظل هذا الواقع الأدبي المصطنع المزيّف الذي يستند فيه الكاتب إلى ماضيه الغابر وتُسوّق أعماله الهابطة فقيرة الفكر والخيال بالعودة المتكررة إلى هذا الماضي، هل يمكن بناء تاريخ فعليّ للإنجاز الأدبي العربي المعاصر لا يكون فيه للإشاعة والمحاباة والتعاطف مع الكبير، سنا ومنزلة أدبية، الدور الأساس في التقييم وتعظيم الأدوار أو التقليل من شأنها؟

لعل الجواب يكون: لا، إلى أن تتغير طرائق حكمنا على الإنجاز بغض النظر عن سن صاحبه أو مكانته الاجتماعية أو انتمائه السياسي أو تمكنه من الوصول إلى آلة الإعلام المهيمنة في هذا العصر. ولعل ذلك يتطلب، من بين أشياء أخرى، تنامي حس النقد والانتقاد وخفوت ظاهرة المجاملة التي تأكل أيامنا الحاضرة وتهدد مستقبلنا كذلك.

تنشر مقالات الصفحات 10، 11، 12 بالاتفاق مع مجلة «الجديد» اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

لوحة محمد ظاظا

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

حينما تصير الكتابة قارب نجاة

لم أخطط يومًا أن أصبح كاتبًا، ولم أسع حتىٰ إلىٰ أن أكون قارئًا متميزًا. حينما قرأت مصادفة الكتاب الأول في حياتي "البؤساء" لفيكتور هوغو شعرت بأن ثمة حالة من النجاة أو لنقل العزاء من حالة البؤس التي كنا نعيشها في القرية. وكان لهوغو –بالطبع– تلك القدرة المتفردة بأن جعلني أفهم قريتي عبر عوالم المدينة، فأجد متكئي فيما كتب. لم أكن أعي أن هذه إحدى أدوات البراعة في الكتابة. أشبّه ذلك الأمر في تلك الأيام بمن ظل يعاني وجعًا مبرحًا وعلىٰ نحو مفاجئ وجد عقارًا يسكن هذا الألم لوقت قصير، فهرعت إلىٰ المكتبة العامة في "مادبا" وحصلت علىٰ بطاقة تؤهلني لاستعارة الكتب لأجدُني واحدًا من مدمني القراءة. ليس عيبًا أن أعترف أنني كنت في تلك الأيام أمارس التهام الكتب بنَفسٍ مدمن يود الخلاص من شيء يؤرقه.

جلال برجس
شاعر وروائي أردني

مع الأيام أخذت أشعر بأن متعة ما تتحقق لي غير تمزيق صور بائسة تلوح في مخيلتي خلال القراءة كأداة مُجابهة؛ إنها متعة التحليق. لكن هذا التحليق أخذني إلىٰ مرتقىٰ يطل علىٰ سماء أخرى ما كان عليّ بلوغها إلا انطلاقًا من رأس الصفحة البيضاء وعبر القلم كأنه مكوك فضائي سريع الانطلاق.

وحينما كتبت أخذت دون أن أعي أكتبني؛ إذ كنت قد اشتريت دفترًا ورحت عند نهاية كل يوم أدون ما رأيت وما سمعت وما حدث لي خلال اليوم. أكتب بجرأة متيقن أن ما من أحد سوف يقرأ ما أكتب من اعترافات. أكتب أسراري، رغباتي، شكوكي، رأيي بأبي، بشيخ المسجد، بمدير المدرسة، وبكل الظروف التي منعتني من دراسة الطب في أوروبا، وأخيرًا بمسؤول المعهد العسكري الذي درست به هندسة الطيران والنجوم تتكاثر علىٰ كتفيه كأنه يمجد فكرة الليل الذي أميل إلىٰ سكونه ومقدرته علىٰ أن يعزلني عما يزعجني في النهار.

حينما حملتني الطائرة العسكرية إلىٰ الصحراء الأردنية الشرقية ليلة 13– 1990–12، وحلقت بي علىٰ علو شاهق فوق المطار، الذي لم أكن أدري أني سأمكث فيه ستة عشر عامًا تساءلت بسخرية "هل هذه البقعة الرمادية هي المكان الذي سأنام فيه هذه الليلة؟".

كان الوقت يتكاثر بشراهة وهو يقتاد نوعًا غريبا من الحزن ويدسهما في روحي. بقيت في اليوم الأول أراقب سقف الثكنة التي خصص مكان فيها لسريري ولصندوق معدني أضع فيه أغراضي. كان عليّ أن أحمل معي ولو صفحة من جريدة. هكذا كنت ألوم نفسي أمام ما أحس به.

> صارت الكتابة عندي عادة يومية جنبًا إلى جنب مع القراءة، وصارت لي غرفتي الخاصة في عملي وعزلة أستمتع بها؛ الأمر الذي جعلني أواظب على الكتابة اليومية

وكان الجنود يغطون بنوم عميق. لا صوت إلا صوت شخير بعضهم، وصوت تكات عقارب ساعة يدي وقد تجاوزت الثانية عشرة منتصف الليل بدقيقة فأوغلنا في عام جديد. كانت الريح خارج الثكنة تتحرك علىٰ نحو أثار الوحشة بي بعدما أنفقت ساعات من مهادنتها إلىٰ أن غفت وهي تعدني بالعودة. حينها ألحّت عليّ الكتابة كمن يحتاج الماء في نهار صحراوي تموزي فكتبت مستعينًا بمسمار علىٰ الجدار "الريح خارج غرفتي تعوي كطفل أضاع الجهات وأقعىٰ ينتحب"، ثم نمت. لم أتأمل ما حدث ليلتها؛ لماذا كتبت؟ ولماذا شعرت بشيء من الراحة فنمت.

في تلك الايام كانت محطات التلفزة والإذاعات العربية والعالمية لا تتوقف عن الحديث عن قصف جوي وشيك ضد العراق تحت اسم "عاصفة الصحراء". في الصباح وحينما يممنا شطر عملنا كان معظم زملائي يحملون راديو ترانزستور صغير صنع في العراق مكتوب عليه بالعربية "القيثارة"، وينصتون للأنباء بكل ترقب. كانت مشاعري أيامها مزدوجة؛ حزين علىٰ اجتياح الكويت، وحزين علىٰ ما سوف تفعله قوات التحالف بالعراق وما يمكن أن تسفر عنه مستقبلًا كل تلك الأحداث. تدبّرت أمري وحصلت علىٰ دفتر وأقلام لأعود لكتابة يومياتي لكنني وجدتُني أكتب شعرًا. أكتب وأخبئ الأوراق كأنني أدون يومياتي التي عليّ أن أداريها عن الناس.

في 17 كانون الثاني من ذلك العام بدأت حرب الخليج بقصف جوي ضد العراق من قبل قوات التحالف في "عملية عاصفة الصحراء. أيامها كنا لا ننام إلا ساعات قليلة وكل منا يلتزم موقعه في عمله. كان في جيبي راديو "القيثارة" الذي استعرته من زميلي، وفي جيبي الأخرى قلم وعدد قليل من الأوراق كل ما وجدت قليلاً من الدقائق أكتب وأنا أقاوم المشاهد التي تمدّها لي يد الذاكرة من بلدين عربيين طالهما الوجع. وكلما سمعت نبأ عبر الراديو أتذكر مقولة تيسير سبول "هل نحن حشية قش يتدربون عليها؟".

مرت السنون كما تمرّ سكين مهترئة بجسد فتي، وصارت الكتابة عندي عادة يومية جنبًا إلىٰ جنب مع القراءة، وصارت لي غرفتي الخاصة في عملي وعزلة أستمتع بها؛ الأمر الذي جعلني أواظب علىٰ الكتابة اليومية. في تلك الأيام كنت قد زرت معتقل الجفر الصحراوي الذي أغلقته الدولة عام 2005 وُوجه إلىٰ أن يكون مدرسة مهنية. كانت مشاعري متداخلة بشكل غريب؛ إذ أن والدي كان أحد حراس المعتقل، وعدد من أبناء مادبا معتقلون فيه. ثمة جندي هناك أعرفه أخذني في جولة في زنازين المعتقل. كنت وأنا أمشي نحو الزنازين أنظر تارة إلىٰ البرج المخصص للحراسة وصورة أبي تجتاح مخيلتي، وأنظر إلىٰ الزنازين تارة أخرى في يوم كانت الريح فيها تنوح وتثير بي الوحشة من جديد. في المساء عكفت علىٰ الكتابة بنهم غريب كأنني محموم، دون أن أدري أنني أكتب رواية في نهاية فصلها الأول نهضت وسألت نفسي وأنا أراقب الأوراق عن بعد كان أحدًا يتنبه فجأة لخطيئة أوغل فيها منذ زمن: لماذا أكتب؟

في صيف عام 2007 انتهىٰ عملي في الصحراء، وأصبحت مواطنًا بالصبغة المدنية دون أن أدري حينها أنني أحمل الصحراء التي أحببت ليلها معي، وأنني كتبت شعرًا عبر كل تلك السنين عن الأيائل والماء والاخضرار والنساء الجميلات رفضًا للقحط. بعد مدة حينما تفقدت أغراضي التي حملتها معي وجدت مخطوطات شعرية وقصصية ومقالات، وفصلا من رواية لم تنشر. فسألت نفسي من جديد عندما فكرت بالنشر: لماذا أكتب؟

هل أكتب لأرمم جبين العالم مما سقط عليه من قذائف الحروب؟ هل أكتب لأعزي امرأة وحيدة في ليلة شتاء باردة؟ هل أكتب ليشار إليّ بالبنان، ولأحظىٰ بعشيقات يشاركنني سرير الحرمان ولأطعم جسدي امرأة تصبر علىٰ رجل يعاني جوعًا مزمنًا لنساء خلقن من نار؟

في الحقيقة –وهذا اعتراف– أنني أكتشف في ذلك العام أني أمضيت سنين في الكتابة لأردم هوة ما في روحي. اكتشفت أنني أكتب لنفسي حتىٰ لو كتبت عن عشبة علىٰ كوكب لم يكتشف بعد. لقد كانت كتابة ذاتية دفعتني للنشر كأنني لا أرى ضيرًا من أن أشج صدري وأُري الناس ما فيه. وتوالت الكتابة والنشر دون أن أسمي نفسي كاتبًا. أضحك في دواخلي عندما يصافحني قارئ ويناديني "أستاذ". قارئ لا يعرف أنني إن تخليت عن الكتابة سأمشي أعرج، ذلك العرج الذي لا يراه أحد غيري. وبالفعل حدث لي أن عجزت عن القراءة والكتابة لثلاثة أعوام متتالية لسبب أجهله؛ تلك الحالة التي جعلتني أشعر بمشارفتي علىٰ النهاية إلىٰ أن صحوت ذات ليلة وجلست وراء طاولتي وبقيت أكتب حتىٰ الصباح كأن أحدًا ورائي يمسك بكتفي وهو يهمس لي "عليك أن تعيش".

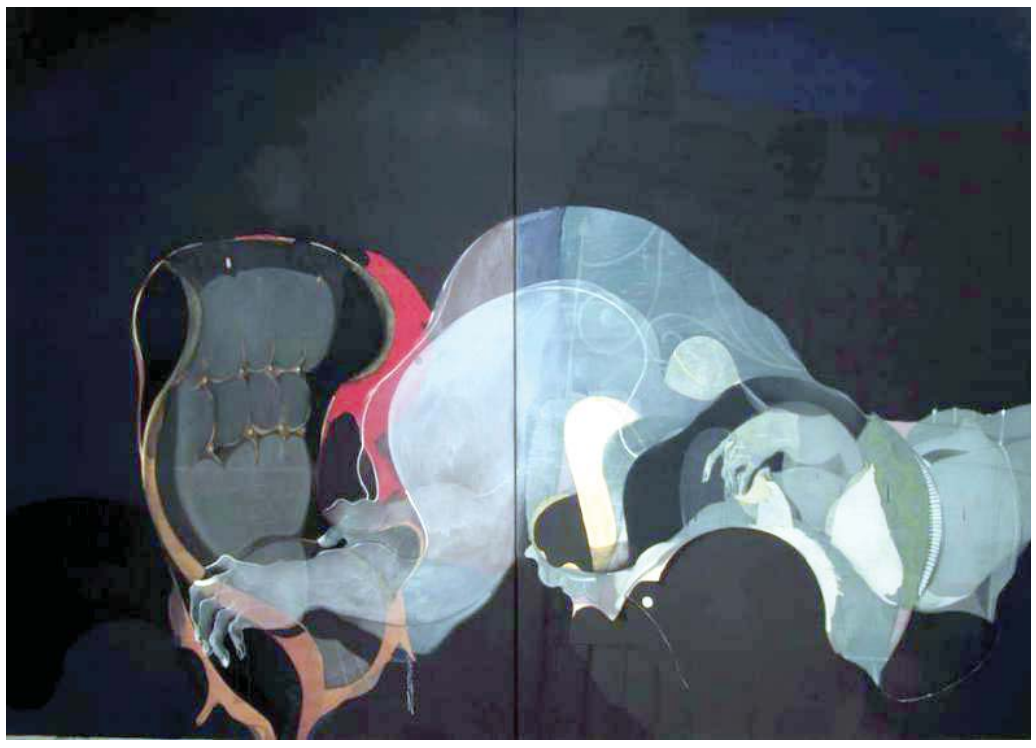

لوحة محمد ظاظا

التخطيط المسبق لكتابة رواية

وجدي الأهدل
روائي يمني

التخطيط الجيد يساعد المبدع علىٰ الكتابة وفقاً لجدول زمني محدد، وأيضاً إيجاد الوقت اللازم لمراجعة النص وتجويده قبل النشر. في حالة كتابة رواية علىٰ سبيل المثال، فإن كاتبها سيحتاج إلىٰ فترة طويلة نسبياً من التحضير قبل الشروع في كتابة السطر الأول منها. التحضير الجيد المتأني سوف يساعد الروائي علىٰ إتمام روايته. أيضاً لا بد أن تكون حبكة الرواية علىٰ الأقل واضحة في ذهن الروائي، لكي يتمكّن من رسم مسار صحيح درامياً لأحداث روايته، والإمساك بزمام المنطق الروائي من الصفحة الأولىٰ وحتىٰ الصفحة الأخيرة. إذا أنت جالست أحداً ولاحظت أن كلامه مفكك ويفتقر للمنطق، فإنك ستشرد بذهنك بعيداً. لقد التقيت بالعديد من الأصدقاء الذين انغمسوا في كتابة عملهم الروائي الأول، ولكنهم لم يتمكنوا من المتابعة. وأظن أن السبب يعود إلىٰ أنهم عندما شرعوا في الكتابة كانت البداية واضحة في أذهانهم، لكن بعد مسافة من الترحال في مملكة الخيال، ربما بعد كتابة 40 أو 60 صفحة يشعرون بفقدان الاتجاه. هذا يشبه انطلاق سفينة من ميناء معين لكن دون وجهة محددة. سوف تمخر عباب البحر لكنها لن تصل إلىٰ أيّ مكان. يحتاج العمل الروائي إلىٰ أن تكون النهاية واضحة في ذهن المؤلف، إلا إذا كان مرتاحاً لنهاية مفتعلة، أو قفلة تقليدية منقولة مثل قالب جاهز.

أحد أسوأ أشكال كتابة الرواية هو استخدامها كوسيلة مواصلات لنقل أطروحاتنا إلىٰ الجمهور. تصبح الرواية بيد البعض مجرد "دابة" تحمل أفكار المؤلف، وهو يسوقها بالعصا ليبيع حمولته في الأسواق. هكذا يبدو لي الأدب الذي يتبع خطة أيديولوجية واضحة المقاصد. قد يحسب البعض أن "الرسالة" التي تتضمنها الرواية كافية للحديث عن معمار روائي ما، لكن هذه مغالطة، لأن المعمار الروائي لا يدخل في حسابه المحتوى. ومهما كانت الرسائل التي يتضمنها المحتوى سامية ونبيلة، فإن ذلك لا يشكل وزناً يُضاف إلىٰ القيمة الفنية للرواية. وكمثال فإن معظم ما أُنتج من روايات تندرج تحت مسمىٰ "الواقعية الاشتراكية" تعاني من التكرار واستنساخ المعمار الروائي. وهذا يذكرنا أيضاً بالعمارة الستالينية، حيث أنشئت المدن السكنية والمباني الحكومية بطراز جاف متماثل، ولم يكن للمهندسين المعماريين مجال لإطلاق العنان لخيالهم، وسميت هذه المرحلة من تاريخ العمارة في الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية بـ"الواقعية الاجتماعية".

وإذا أردنا أن نتحرى الدقة، فإن 99 بالمئة من الروايات التي تُنشر في بلداننا العربية تعاني من هذه المعضلة، أي صدور روايات متشابهة تذكّر علىٰ نحو ما بنمط العمارة الستالينية الجامدة. يمكننا أن نلتمس العذر لبناة الحوائط والسقوف لأن هدفهم نفعي، أي تلبية حاجة الإنسان للسكن، لكن بالنسبة إلىٰ الروائي ما هو عذره الذي يعتذر به؟! إذا هو ضحىٰ بالجانب الجمالي –وهو هنا المعمار الروائي– والفني لأجل أن يقدم لنا منفعة معنوية، فائدة تثقيفية، فإنه في واقع الحال لا يصلح لكتابة الرواية، ولكن لكتابة المقالة. والمقالة، كما نعلم، تزيح جانباً كل غرض جمالي، وتهتم أولاً وأخيراً بالوضوح والبساطة وحسن العرض لتوصيل منفعة معينة للقارئ. فلا أحد مثلاً سيفكّر في قراءة مقالة لغرض المتعة أو إشباع غريزة الجمال.

بالنسبة إلىٰ الشاعر يمكنه الاتكال علىٰ ومضة الإلهام، والاستسلام تماماً لمزاجه الشعري، ومن ثم يمكنه التقدم في مشروعه الإبداعي دون أن تمس الحاجة إلىٰ التخطيط المسبق، وابتكار معمار خاص يتم التحضير له بتؤدة.

لوحة محمد ظاظا

الكتابة بوصفها سؤالا في المصير الإنساني

رسول محمد رسول
كاتب عراقي

الكتابة هي وجود يخلقه الإنسان في داخله ليكون إنساناً. كان الإنسان القديم، وقبل أن يعرف التدوين، يقول الكتابة صوتاً؛ فهو يكتب صوته في الفضاء الذي يعيش في كنفه شأنه شأن غيره، وإن لم يستخدم اللسان بوصفه عضو الكلام فالصوت يبقىٰ خبيئاً في وجدانه، لكن الإنسان اخترع التدوين الكتابي، وراح يتوافر علىٰ أدوات الكتابة الخطية، فاستخدم كينونة الطين، ووصلات جلود الحيوانات، ومن ثم الأوراق والأقلام والأحبار، وكان الجدار الطيني أو الرملي أو الصخري أو المعدني أو الشجري، مثلاً، هو الصفحة التي يخط الإنسان عليها حروف الكلام المكتوب والمدوّن عليها، لكن التطوّر الحضاري للإنسان الذي نهض به لنفسه اخترع من الجلود الحيوانية وألواح الأخشاب والقصب والليف وغيرها من الأشياء صفائح حتىٰ أصبحت سهلة التداول والتنقل.

وهكذا، أصبح للمكتوب والمدوّن وجود حسيّ يُشار إليه بالبنان، وكان كل ذلك، وعبر التاريخ، عرضة للحرق والغرق والتلف والإتلاف والفقدان والضياع والتضييع، ولكن ما وصل إلينا من كل المكتوبات تدويناً هو حصة للقدر شاء أن يبقىٰ متوارثاً حتىٰ جاءت الأزمنة الحديثة، ومن ثم المعاصرة، وصار الفضاء الأزرق الإلكتروني جداراً وصفحة للكتابة، وهكذا بقيت الكتابة سواء في شكلها القديم أو الحديث أو المعاصر وجوداً مخلوقاً من جانب الإنسان للإنسان ولغيره من الموجودات القارئة.

في خلال كل ذلك، لا تنفصل الكتابة عن الإنسان في كل تفاصيل حياته؛ الذهنية والحسية، والنقدية بالمعنىٰ الكانطي –نسبة إلىٰ الفيلسوف إيمانويل كانط– والقلبية بالمعنىٰ الصوفي والأهوائية.

تغطي الكتابة جُل وجود الإنسان، الداخلي والخارجي، الذاتي والموضوعي، وفي كل ذلك تتبلور –الكتابة– تعبيراً ودفاعاً عن الوجود الذاتي للإنسان سواء كان فرداً أو مجموعاً، وهنا تبدو قضية المصير، مصير الإنسان، ذات شأن محوري، وعندما يكون المصير الإنساني بهذا الشأن سيولّد الاختلاف، وقد يؤدي هذا الاختلاف إلىٰ التصادم، وهو ما جرى بالفعل، وعند ذاك تصبح الكتابة فعل تحدّ وفعل مصير، ولذا تجد الأنظمة التي لا تؤمن بالديمقراطية الحقيقية أنها تخنق الكتابة، تخنقها بوصفها وجوداً إنسانياً لكي تهزمها وتهزم الكاتب والمكتوب، وتقمع الكاتب وتعتقله لترميه في السجن، وقد تنزل به عقوبة الإعدام الذي هو ضمناً إعدام للكتابة، إنه الإعدام لوجود الكاتب.

لا كتابة من دون إنسان، والكتابة التي لا تناغي المصير الإنساني تبقىٰ عابرة، تبقىٰ كتابة للتدوين الاستهلاكي ليس إلا، وهنا بيت القصيد، فما جدوى الكتابة؟ وما جدواك أنتَ أيها الكاتب بوصفك وجوداً إنسانياً بأنْ لا تأخذ الكتابة منك مأخذها المصيري فيك ليس بوصفك فرداً فحسب وإنما بوصفك الفرد المجموع كأن تكون وطناً فرداً في وطن بقية الأفراد؟

لذلك، أجد أن سؤال الكتابة الأول هو سؤال مصير الإنسان في المجموع الإنساني ضمن وطن ما، وعندما تفضل الكتابة عندك مصير جهوياتك علىٰ غيرها؛ جهوياتك القبيلة والمذهبية والمنطقية، والرعاعية الهوجاء فيك، إنما تُفضّل كل ذلك علىٰ بُعدك الإنساني الأصل أو البُعد الإنسي فيك سرعان ما ستتحوّل الكتابة إلىٰ مجرّد صناعة لوجود غفل، وجود للاستهلاك ليس إلا، وهي بذلك كتابة مغتربة عن أن تكون حقّة.

إن سؤال الكتابة الحقيقي لهو سؤال الإنسان بوصفه إنساناً؛ فالكتابة التي تبحث عن مجرّد العرق ومجرّد الطائفة ومجرّد القبيلة ومجرّد المنطقة هي كتابة تنزل إلىٰ درك هذه العناصر الجهويّة تلك التي لا تحتفي بالإنسان بوصفه إنساناً وهو ما ينبغي لوجود الكتابة أن يكونه.

ولذلك، يسعىٰ التفكير الأيديولوجي والأيديولوجي المعاصر سواء في شكلهما الإسلامي أو الإسلاموي أو غيرهما، وفي كل زمان، أن يُبعد الكتابة الحقّة عن خطاباته، إنما يريد بهذا التفكير أن تكون الكتابة مجرّد تعبير عن الطائفة والعرق والمنطقة، وكذلك عن المصالح السياسية الإقليمية والاقتصادية، إنه يسعىٰ لأن تكون الكتابة رعاعيّة جهويّة لا إنسانية.

أن الكتابة التي تتكرّس في داخل البُعد الجمالي فحسب، لا بد أن تغادر منطقة الكتابة من أجل الكتابة رغم أن الكتابة في هذا المجال لها مبرّراتها في أطر معينة وهي أطر ضيقة، علىٰ العكس من ذلك لا بدّ لسؤال الكتابة أن يضع في صلبه مصيرية الإنسان في هذا العالم الذي تمور فيه شتىٰ الصراعات العمياء والدموية.

> لا كتابة من دون إنسان، والكتابة التي لا تناغي المصير الإنساني تبقى عابرة، تبقى كتابة للتدوين الاستهلاكي ليس إلا

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

صنعة الكتابة

لوحة محمد ظاظا

عبدالله إبراهيم
ناقد عراقي

حينما ننظر إلى الجنس البشري تلفتنا الحقائق الآتية: كلّ الناس الأحياء يتكلّمون ما خلا من تعرّض منهم لعطب في لسانه، ونحو نصفهم يقرأون، وأقل من عشرهم يكتبون ما هم بحاجة إليه، وتنفرد من بين هؤلاء قلة قليلة جدا لها القدرة على الكتابة الأدبية أو الفكرية. يعود ذلك إلى كون الكلام ظاهرة عريقة حتى يتعذّر وضع تاريخ نشأة موثوق لها، وما أن يلد الطفل إلا ويتعلّم الكلام في محيطه العائلي؛ فالظاهرة الكلامية تحيط به في الزمان والمكان، ولكنه من أجل أن يقرأ ينبغي عليه اكتساب مهارات تمكّنه من فك شفرات الألفاظ، والتدرّب على إتقانها؛ فالقراءة مهارة يكتسبها بالتعلّم في مكان اسمه المدرسة، مهارة يمكن التحكّم فيها بتوفير الظروف المناسبة لشيوعها أو للحدّ منها، ولا يكاد يتعذّر على الإنسان معرفتها إذا ما توفرت له السُبل المناسبة لذلك، أما الكتابة فمهارة أرفع يتحصّل عليها من نجح في تحويل الألفاظ إلى رموز متتابعة حسب رتب معينة يصطلح عليها بالحروف والكلمات والجمل والفقرات، وتلك مهارة لا يحوز عليها إلا عدد أقل من بني البشر، وتنفرد من بين هؤلاء جماعة صغيرة جدا لها قدرة على التعبير عن هواجسها وخيالاتها وأفكارها بنسق مترابط من الكلمات، وهؤلاء هم الكتّاب الذين يعنينا شأنهم في هذه المقالة، فالكتابة صنعة يكتسبها صاحبها بالتمرس فيها والانكباب عليها، وذلك بأن يطلق الرغبة في الارتقاء بمدارجها نحو الإفصاح عن نفسه وعن عالمه، بجعل الأشياء تنطق بالألفاظ.

لكن ما سرّ هذه الصنعة البشرية العجيبة التي ما برحت تثير الأسئلة منذ زمن طويل؟ لم يفلح أحد في تقديم جواب شاف على ذلك السؤال، وعجز الإنسان عن حسم هذا الأمر يكشف ثراء هذه الظاهرة وقوتها؛ ولهذا سوف أقاربها من زاوية الخلاف بين القائلين بأنها صنعة والقائلين بأنها خطرة من الخواطر المرتجلة، وبعبارة أعم: هل الكتابة صنعة من صنائع الدنيا، أم هي جملة من خواطر حرة مرسلة؟ شغل قدماء العرب بشيء له صلة بذلك، فتحدثوا عن البداهة وعن الصنعة في أدبهم، وسأكتفي بمثل واحد له صلة بالكتابة السردية وافتراق سبل صيغتها في التعبير والتركيب؛ ففيما كان الهمذاني يهدّ مقاماته من خواطره المتدفقة كالسيول، كان الحريري يقاسيها كالصائغ ويتسقّط عباراتها كلمة بعد كلمة. ولا بأس من إيراد تفصيل يؤكد ذلك الانشقاق بين الموقفين من الكتابة.

أجمعت المصادر على أن الهمذانيّ صاحب استجابة سريعة لأيّ مطلب يُعرض عليه، فلديه قدرة فائقة يتدبّر بها المعاني المقترحة عليه من عويص الشعر والنثر بكلام تتضافر ألفاظه مع معانيه في اتساق يميّزه عن سواه من كتّاب عصره، يأتي به في لمح البصر، فيثير العجب من حوله. أجمل الثعالبي سرّ بداهته المذهلة "بديع الزمان، ومعجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وغرّة العصر، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة، وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه، وغرر النظم ونكته، ولم يُر، ولم يُرو، أن أحدا بلغ مبلغه من لبّ الأدب وسرّه، وجاء بمثل إعجازه وسحره".

هذا قول فصل صاغه الثعالبي بجمل مترادفة أصبحت مثلا في تقريظ موهبة بديع الزمان. هام القدماء ببداهة الهمذاني، وتغنّوا بها، واستثارتهم براعته في الارتجال إلى درجة الاحتفاء بكلّ ما نُسب إليه، غير أن هذه البداهة سرعان ما تقوضّت أركانها بظهور الحريري الذي عُرف بالصنعة وجودة السبك في مقاماته، فجعل من الكتابة سرا لصنعة السرد، ثم تبوّأ مقامه الرفيع بأسلوب ما لبث أن أصبح عِيارا يوزن به كلّ كلام نثري فيُميّز بين جيده وسقيمه.

> من أجل نزع الارتياب عن مفهوم «الصنعة» يلزم القول بأنّ الكتابة تقتضي خبرة بأعرافها، ومراعاة ما استقرّ عليه كبارها من طرائق في السبك وتهذيب في الأسلوب وتجويد في الأفكار فلا تتزاحم فتتداخل أو تتفرق فتتبعثر

قُبلتْ طريقة الحريري، وصاغت ملامح الكتابة النثرية العربية منذ القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر، فأصبح "حامل لواء البلاغة، وفارس النظم والنثر". وبوّأته مقاماته مكانة رفيعة، فـ"فضلها أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يُذكر". كانت البداهة سابقة في نيل اعتراف المجتمع الأدبي، فإذا بالصنعة تدفع بها إلى الخلف، وتجعلها أثرا بعد عين.

صار ينبغي، والحال هذه، الحديث عن الكتابة بوصفها صنعة. تقترن كلمة "صنعة" بتجشّم المشقّة في التأليف، وما يرادفها من تصنّع، وتكلّف، الأمر الذي يوحي بكتابة تخالف الطبع، فلا يصار إلى الاهتمام بجودة الصنعة وإحكامها والحذق فيها، بل التظاهر بها وتكبّدها من دون خبرة، وادّعاء المعرفة بها من غير دراية بقواعدها العامة.

ومن أجل نزع الارتياب عن مفهوم "الصنعة" يلزم القول بأنّ الكتابة تقتضي خبرة بأعرافها، ومراعاة ما استقرّ عليه كبارها من طرائق في السبك وتهذيب في الأسلوب وتجويد في الأفكار، فلا تتزاحم فتتداخل أو تتفرّق فتتبعثر؛ فوقوع الكاتب في حبائل المحاكاة السلبية، وليس التأثّر الفعال هو إحجام عن الاستكشاف، وتقاعس عن الابتكار، وهو ضرب من الانتحال، وسيؤدّي إلى تخريب تجربة الكتابة، والأمور بخواتيمها.

وحذار من عدم الأخذ بأعراف صنعة الكتابة، لأنها، فضلا عن إرشاد الكاتب إلى السُبل الصحيحة للكتابة، تساعده في تلقّي ما يكتب. وقد انقضى عهد الكتابة القائمة على قاعدة الفطرة، وصار ينبغي على الكاتب الاطلاع على طرائق التأليف من مصادرها، والانكباب عليها في مظانها، فلقد اشتق السابقون مسارا ذهبيا للكتابة، واتخاذ هذا المسار طريقا يزود الكاتب بمهارات لن يتلقاها عن طريق آخر؛ فالسير على هدي السابقين والتشبّع بأساليبهم قبل الخروج عليهم يغذّي الكاتب بأعراف الكتابة، والتشبّع بأسرارها. إنّ الاستنكاف عن التعرّف على التجارب الثرية في الكتابة له من الضرر ما لن يقدّره كاتب بدواعي الجهل، وما يتبعه من طيش، وسفاهة، ورعونة، فالانصراف عنها بذرائع كونها عتيقة، أو بالية، مبعثه تعلّق الكاتب بتصوّر ضيق للكتابة وجهل بشروطها، فكأنها تبدأ به وبجيله وبمجتمعه، وخير للمرء أن ينهل من نبع الكتابة الصحيحة من ادّعاء الارتواء من سراب.

وما وجدت كاتبا يشار له بالبنان لم يسع للاغتراف من عيون التجارب الكتابية الراسخة التي سبقته، والتشرّب بمعايير صنعتها، فللوصول إلى هدفه عليه السير في دروب السابقين أولا، والتهام ثمار صنعتهم، واستكمال عمله بفتح طريق خاص به؛ فالتجربة الكتابية مفتوحة على الاحتمالات كلها، وليس ينبغي لأحد الادّعاء بأنها تبدأ به، وتنتهي بمعاصريه. وتكشف تجارب كبار الكتّاب أنهم ينكبّون على الكتابة في إخلاص يضارع إخلاص المتعبّدين في عقائدهم، فانقطاعهم عنها يفصم حلقات السلسلة الذهبية التي تربط الشخصيات، ويعوق نمو الأحداث إلى الغاية المقصودة منه، ويبعثر الوحدة الدلالية القابعة تحت سطح النص. وبانبتات حلقة من هذه الحلقات المتداخلة تتفكّك الوقائع، فيلوذ الكاتب بالإنشاء، وينحسر تأثير المناخ النفسي والخيالي الذي يغذيه بما يكتب، فلا يعود قادرا على استئناف عمله إلا بصعوبة بالغة، ويتعثر الشغف بالابتكار، ودونه تنطفئ رغبة الكاتب في المواظبة على الكتابة.

تعتبر الكتابة أسّ الأدب، وقد عرّفها "بلانشو"، بأنها "مجموعة من الطقوس، وهي الاحتفال الواضح، أو الخفي، الذي عن طريقه يعلن عن ذلك الحدث".

السمّ والترياق

الكتابة والكلام في منظور دريدا

كرّس جاك دريدا جل أعماله لمفهوم الكتابة، ليس بمعنى الحرفة بل بمعنى الخط والحرف، أي ما هو مسجّل مقابل ما هو منطوق. وقد هدَف، في كتابه الشهير "علم الكتابة"، إلى سبر أغوار التوتر الذي يسببه "علم الكتابة" في المجال المعرفي الغربي، والذي أسهمت الحداثة في جعله توتراً عالمياً، فموقف الفلاسفة وعلماء اللغة والأنثروبولوجيا الحذر والمتناقض إزاء قيمة الكتابة يكشف، في رأي دريدا، عن مجموعة من المسلمات الميتافيزيقية الهشة، وعن ضروب من التواطؤ تبغي تدعيم المركزية العرقية الغربية.

عواد علي
كاتب عراقي

في سياق التفكيك الذي طرحه دريدا رصد، في هذا الكتاب، كذلك، الميل إلى تهميش الكتابة على مدار تاريخ الفكر الغربي من أفلاطون إلى ليفي شتراوس. وقد صاحب هذا التهميش تمييز آخر في الفكر الغربي بين الكتابة الأبجدية، بوصفها الأرقى، وأنواع أخرى من الكتابة التصويرية أو الرمزية. وهذا النزوع الذي ينطلق من أولوية الكلام على الكتابة يقوم، في نظر دريدا، على ربط الدلالة بالكلام (الصوت)، واختزال الوجود إلى الحضور، "ففي الوقت الذي يكون الكلام مشحوناً بالحضور يحتل الحضور في الكتابة مكانة ثانوية"، وهو ما أدى إلى تكريس مركزية "اللوغوس"، بل والمركزية العرقية الأوروبية. وأطلق دريدا على هذا النزوع ميتافيزيقا الصوت بسيادة الكلام على حساب الكتابة، وجاء بفكرة مناقضة لهذا الموروث الميتافيزيقي وهي أن الكلام مشتق من الكتابة بدلاً من أن تكون الكتابة مشتقاً طفيلياً من الكلام. وقد اقترح وجود نموذج بدئي للكتابة تفرضه الضرورة، فالكتابة تقليد قديم يعبر عنه بصور حسية مرئية وصورية، ولا يمكن أن تخلو الطبيعة من ممارسة كتابة من نوع ما.

> الكتابة معلومة الوجود والسابقة على اللغة، ومجهولة الماهية، وهي ما يسميها دريدا الكتابة الأصلية، التي تتضمن الكلام والكتابة العادية معاً

وكان فلاسفة الإغريق القدامى قد عبّروا عن كرههم للكتابة بسبب خشيتهم من قوتها في تدمير الحقيقة الفلسفية التي يرون أنها حقيقة نفسية خالصة وشفافة، ولا يُعبَّر عنها إلاّ بالحديث الذاتي أو الحديث المباشر مع الآخرين، ولما كانت الكتابة لا تذعن لهذا التصور فهي تجسد الحقيقة بصورة مرئية، إذ ظهر وكأنها تختزلها إلى مرتبة أقل سمواً مما هي عليه في النفس. وذهب هؤلاء الفلاسفة إلى أنّ تدوين "الحقيقة" بالكتابة هو تدنيس لها. وكان سقراط يرفض رفضاً باتاً أن تدوّن فلسفته، لأن الحقيقة فيها لا يمكن أن يحتويها جلد حيوان أو حجر جامد بدل النفس الزكية الطاهرة، وجاراه أفلاطون في اعتبارها بمثابة دواء له من الضرر على الذاكرة أكثر مما له من الفائدة لأنه يقود إلى النسيان (عبدالله إبراهيم، "علم الكتابة". جريدة الرياض، العدد 14647، 31 يوليو 2008).

إن المفهوم التحديثي للكتابة الذي سنه دريدا، كما يقول خالد القاسمي، "لا يجعلها وعاء للكلام فحسب، ولكن للغة برمتها، وهي سابقة عليهما، فتكون اللغة نفسها تولداً ينتج عن النص، وبهذا تدخل الكتابة في محاورة مع اللغة، فتظهر سابقة على اللغة ومتجاوزة لها، فهي تستوعب اللغة، وتأتي كخلفية لها بدلا من كونها إفصاحا ثانوياً متأخراً، وهذا هو البعد الخلاق الذي يريد دريدا منحه للغة". لكن ما الذي تكونه هذه الكتابة السابقة على اللغة، وما هي خصائصها؟

يشير رامان سيلدن إلى ثلاثة خصائص أساسية تميز الكتابة في ضوء مفهومها الدريدي الجديد، والمتوافق مع مفهوم اللغة الجديد نفسه –عند دريدا– القائم على الاختلاف ولانهائية الدلالة، وهي:

أولاها قابلية العلامة المكتوبة للتكرار في غياب منتجها الذي أنتجها في سياق معين، وكذا في غياب مخاطب محدد توجه إليه هذه الإشارة. وثانيتها أن العلامة المكتوبة يمكن أن تخرج عن إطار سياقها الفعلي، وتستنبت في سياق مختلف لا يراعي بالضرورة قصدية منتجها الأول. وثالثتها أن العلامة المكتوبة تقبل الإبعاد، فهي تنفصل عن غيرها من العلامات في سلسلة بعينها، وكذلك لا يمكنها أن تشير إلا إلى شيء ليس حاضرا فيها.

من هذا المنطلق، يمكن القول إن الكتابة بهذا المفهوم، هي كتابة الاختلافات بوصفها أثراً، أي الكتابة معلومة الوجود والسابقة على اللغة، ومجهولة الماهية، وهي ما يسميها دريدا الكتابة الأصلية، التي تتضمن الكلام والكتابة العادية معاً.

إن موقع الكتابة الأصلية يصعب تحديده، وهي ليست جزءاً من نظام اللغة، بل هي شرط لكل نظام لغوي يحكمه الاختلاف والإرجاء بين دواله ومدلولاته. يقول دريدا "إن الكتابة الأصلية بوصفها حركة للإرجاء وقضية مركبة أصلية، لا تقبل التبسيط، وهي تفتح في إمكانية واحدة، السبيل للتحديد الزمني والعلاقة مع الآخر ومع اللغة، كما لا يمكنها بوصفها شرطاً لكل نظام لغوي أن تكون جزءاً من النظام اللغوي نفسه، ولا يمكنها أن تصبح موضوعاً يعالج داخل مجال هذا النظام (وهو ما لا يعني أن لها مكاناً واقعياً في مجال آخر، أو موقعاً آخر مخصصاً لها)".

ويسترسل دريدا في جدله مع إشكالية الكتابة، دون أن يقلب السلم الهرمي: كلام/كتابة، فهو بطرحه للتصور الجديد للكتابة الأصلية يبين قدر العنف الذي مارسته هذه الكتابة على اللغة. فكتابة الاختلاف بوصفها عودةً أزليةً أسطوريةً، مزقت أوصال اللغة، وضيعت حلمها في تمثيل الحقيقة. يقول دريدا "إن تفكيك هذا التراث لا يعني قلبه، لا يعني تبرئة الكتابة، بل يعني أننا نبين لماذا يطرأ عنف الكتابة على لغة بريئة. هناك عنف أصلي للكتابة لأن اللغة، بمعنى ما هي أولا كتابة. لقد كان التعدّي موجوداً بشكل دائم. إن اتجاه الخط المستقيم يظهر بوصفه تأثيراً أسطورياً للعودة".

لقد أتى دريدا بالكتابة المزدوجة الذي يحرّض نصفها الأول على قلب الهيمنة الثقافية التي يطابق بينها وبين الميتافيزيقا وسلاسلها الهرمية، في حين أن نصفها الثاني يتيح تفجّر الكتابة في صميم الكلمة بحيث يؤدي هذا التفجر إلى تمزيق النسق المعهود.

فالكتابة هنا تقف ضد النطق وتمثل عدمية الصوت، وليس للكينونة إلا أن تتولد من الكتابة، وهي حالة الولوج إلى لغة "الاختلاف"، والانبثاق من الصمت، أو أنها انفجار سكون. ومن ثم "فالمرجع بالنسبة إلى الحقيقة مقرر سلفاً بالمعنى، لكن المعنى متعلق بالكتابة البدئية بوصفه اختلافاً متواصلاً للدلالات، ولهذا فإن 'الغراماتولوجيا' (علم الكتابة) ترى أنه ليس هناك شيء قبل اللغة أو بعدها، فمفاهيم الحقيقة والعقلانية ما هي إلا من نتائج المجاز والاستعارة". في ضوء ما سبق، يصبح لدينا نوعان من الكتابة "الأولى: كتابة تتكئ على 'التمركز المنطقي' وهي التي تسمي الكلمة كأداة صوتية/أبجدية خطية، وهدفها توصيل الكلمة المنطوقة. وثانيتهما هي الكتابة المعتمدة على 'النحوية' أو كتابة ما بعد البنيوية، وهي ما يؤسس العملية الأولى التي تنتج اللغة" (خالد القاسمي "مفهوم الكتابة الأصلية في تفكيك(ية) جاك دريدا"، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي).

> الكتابة تقف ضد النطق وتمثل عدمية الصوت، وليس للكينونة إلا أن تتولد من الكتابة، وهي حالة الولوج إلى لغة «الاختلاف»، والانبثاق من الصمت، أو أنها انفجار سكون

وتكمن منطلقات معارضة دريدا للبنيويّة في إعلاء عالم اللغة فرديناند دي سوسير شأن الكلام، واعتبار الكتابة ملحقاً له. وتتوضّح هذه المعارضة في قراءة دريدا لجان جاك روسو، حيث شرح بشكل عميق ومفصّل العلاقة بين الكتابة والكلام؛ يقول عن روسو إنّ الكتابة بالنسبة إليه "ليست سوى تمثيل للكلام"، ويعلّق "من الغريب أن يولي المرء اهتماماً أكبر لتحديد الصورة بدلاً من الشيء نفسه".

وفي السياق ذاته قال إنّ البنيويين أغفلوا أنّ الكتابة هي علامة منبثقة من علامة، لذا هي تحتلّ مكان الكلام. وحصيلة النّقاش الفلسفيّ عند دريدا تكمن في مبدأ الحضور، فالبنيويّون أنزلوا مرتبة الكتابة لأنّهم خافوا من قوّتها التي بمقدورها أن تدمّر الحضور الشفّاف والبريء الذي لا يتحقّق إلا عبر الحديث المباشر مع الآخر أي عبر الكلام.

ورأى أنّه لا يمكن العودة بعد الآن إلى التمركز حول "اللوغوس"، لأن الصّوت قد استبدل بالكتابة، فموسى (النبي) ألقى لوحي الوصايا الذي خطّهما يهوه بيده، واستبدلهما بكتابة منبثقة من استرجاع "الذّاكرة" لا يعرف مدى أمانته للأصل.

لذلك ظلّ دريدا يحفر في طبقات النّصوص علّه يصل إلى الصّوت الأوّل، صوت يهوه ليسأله عن سبب هذا التشتّت والبعثرة، عن لعنته التي جعلت الكتابة "السمّ والترياق" في آنٍ معاً (أنطونيوس نادر، "ألق الكتابة ولعنة يهوه: قراءة في تفكيكيّة جاك دريدا، مجلة معنى الإلكترونية، 20 يوليو 2019).

إن إعطاء الأولوية لما يُكتب ويُدوَّن يفيد آمرين، حسب علي حرب، أولهما أنه لا انفكاك للمعنى عن العلامة وللمدلول عن الدال، أو للمفهوم عن الأسلوب. ومن هنا قول دريدا "لا شيء يوجد خارج النص"، ولا يعني ذلك نفي الوقائع أو التعامي عن الحقائق، كما حسب الخائفون على الحقيقة الموضوعية والمذعورون من منهج التفكيك، وإنما يعني أن النص يسهم في تشكيل الموضوع، وأن الحقيقة لا تسبق النص عليها، وإنما هي مرجعه بقدر ما هي ثمرته، وأثر من آثاره.

لوحة محمد ظاظا

الكتابة تتقدم والنقد يتأخر

إبراهيم سعدي: الرواية الجزائرية لا تزال مجهولة عربيا

يعتبر إبراهيم سعدي من الروائيين الذين يتشغلون بصمت، طور متنه الروائي بالكثير من البحث والحفر في الجزائر العميقة، ونقل هواجسها وتفاصيل حياتها اليومية، كتب وترجم ونشط وعمل في العديد من وسائل الإعلام المحلية والعربية، وهو اليوم أستاذ جامعي يتابع التحولات التي تحدث في الجزائر من خلال الحراك الذي يرى فيه أملا قد يغير وجه الجزائر، عن هذا وغيره من المواضيع الثقافية يتحدث الروائي بوضوح ومن دون خلفيات سوى تلك المرتبطة بهم الكتابة والإبداع.

أبوبكر زمال

هواجس الروائي الجزائري هي نفسها لدى المشرقي

يعرف بالأساس كروائي رغم أن اهتماماته متشعبة ومتنوعة، فقد كتب في مجال الدراسات النقدية والترجمات. من أعماله الروائية "فتاوى زمن الموت"، و"بوح الرجل القادم من الظلام" الفائزة بجائزة مالك حداد للرواية سنة 2001، و"بحثا عن آمال الغبريني"، و"كتاب الأسرار"، و"الأعظم"، وأصدر في مجال النقد والفكر "دراسات ومقالات في الرواية"، و"دراسات في المجتمع العربي وثقافته"، كما له في الترجمة "منطقة القبائل والأعراف القبائلية" لهانوتو ولوتورنو.

في المستهل من حوارنا معه يقول سعدي "لا أعتبر نفسي ناقدا أو مترجما وهذا من باب احترام النقد ومن باب احترام الترجمة. فقد تعاطيت هذين النشاطين بصورة متقطعة وفي سياق ظروف خاصة.

> المتن الروائي المكتوب بالعربية هو في أفضل أيامه، لأنه تخلص من سطوة الأيديولوجيا التي كانت تطبع على العموم نص 'الفترة الاشتراكية'. غير أن انتشار ظاهرة النشر على نفقة المؤلف أدى إلى طفرة في الكم أكثر منه في النوعية

والواقع أنه سبق لي وأن انتقدت الجمع بين كتابة الرواية والنقد، لأن الناقد ذا الخلفية الروائية قد يُسقط في عمله النقدي هواجسه الروائية الخاصة على النصوص الروائية لغيره من الكتاب، إضافة إلى أنه ليس من اللباقة أن يتناول الروائي نصوص غيره بالتقييم والنقد" ويضيف "من هنا دعوت إلى الفصل بين الممارسة الكتابة الروائية وبين الممارسة النقدية، لأن هذه الظاهرة غير صحية وشائعة في الأدب الجزائري، فليس من النادر عندنا أن تجد روائيا هو في آن واحد ناقد ومترجم وأكثر حتى"..

مرجعا أسباب هذه الظاهرة إلى "أن النقد الأدبي، على الأقل في الفترة التي كنت لا أزال فيها أمارسه، لم يكن يواكب بما فيه الكفاية الحركة الإبداعية، لكن هناك أسباب أخرى ولا شك، مثل كون عدد من الروائيين هم في آن واحد أساتذة في أقسام اللغة والأدب العربي".

الكتابة والمجتمع

تناولت أعمال الروائي إبراهيم سعدي من "بوح الرجل القادم من الظلام" إلى "بحثا عن آمال الغبريني" إلى آخر أعماله "الآدميون"، وعندما ينظر إليها ويقرأها فهو يحبذ أن يقرأها بعيون قارئ آخر، فحدث يقول "استفدت من بعض القراءات لأعمالي واكتشفت فيها أشياء لم تخطر في ذهني تماما ولكنها موجودة ومؤسسة في النص.

وهذا يعني أن المؤلف لا يعرف كل شيء عما يكتبه وبأنه ليس بالضرورة هو المؤهل لقراءة نصوصه واستجلاء خباياها. وهناك في الواقع دائما دخل للاشعور بهذه الدرجة أو تلك في إنتاج النص السردي. ولا أضيف شيئا عندما أذكر بأن الرواية نص مفتوح كما تعرف. وعليه فإنه إذا ما جاز للروائي قراءة أعماله فهي مجرد قراءة محتملة بين غيرها من القراءات الممكنة وليست أبدا القراءة المرجعية. والنص يفوق دائما مقصد المؤلف ويتجاوزه إذا ما سلمنا بمبدأ وجود قصدية اتخذ لها المؤلف نصه أداة للتعبير عنها".

وبصورة عامة، فهو ينظر إلى أعماله على أنها كانت "على صلة وثيقة من جهة بمسار المجتمع الجزائري منذ الاستقلال وبمساري وتجاربي كإنسان ضمن هذا السياق التاريخي. هناك دائما هذا التشابك بين الذاتي والموضوعي في العمل السردي. وإذا كانت أعمالي تصويرا للحياة في هذا السياق، فإنه وربما بسبب التقدم في العمر، جعلت أعمالي الأخيرة، لاسيما مع 'الآدميون' تأملا في الحياة وفي الإنسان نفسيهما، متخطيا هكذا حدود 'الدراما' الجزائرية التي عشت فيها ولا أزال. أعني بأن أعمالي بدأت تتخذ منحى فلسفيا، كما يتجلى ذلك أيضا في روايتي القادمة 'فيلا الفصول الأربعة'".

الإبداعي والتاريخي

خاض الروائي إبراهيم سعدي في مجال الترجمة، اشتغل على عدد من المجالات خاصة التاريخية منها، وهو يرى أن "هناك فرقا كبيرا في الترجمة بين المجالين، فمقولة 'الترجمة خيانة' صالحة بالأساس وبمعنى معين بالطبع، في ترجمة الأعمال الإبداعية، لأن الترجمة الحرفية هنا قد تميت النص المترجم إليه، ولهذا كانت الترجمة في هذا المجال إبداعا أيضا، أو إبداعا ثانيا إن أردنا الدقة أكثر، لكن في ترجمة النص التاريخي، مثلا، لا يمكن العمل بمقولة 'الترجمة خيانة' ولا القول بأنها إبداع ثان، فـ'الخيانة' هنا غير مقبولة، وينبغي التقيد الصارم بالنص الأصلي في نقله إلى اللغة المستضيفة. إن الترجمة عمل حضاري بامتياز ومن خلاله يسافر النص المترجم من لغة إلى أخرى".

المتن الروائي الجزائري

يعتقد الروائي سعدي أن "مأساة المتن الروائي الجزائري، وربما حظه، من وجهة نظر أخرى، هو في ازدواجيته اللغوية. أقول مأساته لأن الروائي الجزائري، كما قال المترجم مارسيل بوا، يفقد نصف القراء إذا كان يكتب بالفرنسية ونصف القراء أيضا إذا كان يكتب باللغة العربية. ففي كلتا الحالتين يفقد نصف القراء المحتملين". ويضيف "وما يصل من النص الروائي الجزائري إلى القارئ العربي عموما هو: فقط جزء ضيق من المتن الروائي الجزائري، ذلك المكتوب باللغة العربية، ولهذا فإن الأدب الجزائري يصل ناقصا إلى القارئ العربي، أعني مبتورا ربما من جزئه الأهم، لأن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية أكثر نضجا، من وجهة نظري على الأقل، من الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، وإن كانت أيضا (الرواية الفرنكفونية) أكثر استيلابا من الناحية الأيديولوجية نظرا بالأساس لتوجهها إلى القارئ الأوروبي بحكم لغتها وبحكم مكان النشر (باريس)".

والمتن الروائي المكتوب بالعربية يقول سعدي "هو في أفضل أيامه، لأنه تخلص من سطوة الأيديولوجيا التي كانت تطبع على العموم نص 'الفترة الاشتراكية'. غير أن انتشار ظاهرة النشر على نفقة المؤلف أدى إلى طفرة في الكم أكثر منه في النوعية. وأعتقد أن أهم ما يميز السرد الجزائري عن السرد العربي هو ازدواجية اللغة في ما يخص الرواية عندنا وأحاديتها في المشرق. وبالرغم من أنه لا يمكنني الادعاء بأنني على اطلاع كاف بما يكتب عندنا وفي المشرق، فإنني أرى، في حدود اطلاعي، أن التيمات والهموم هي نفسها، ولا عجب في ذلك، فكلنا نعاني من مشكلات واحدة وأبناء ثقافة هي نفسها، لكن يبدو لي أن الروائي العربي متمكن من ناصية اللغة أكثر من زميله الجزائري".

غياب النقد

في ما يخص النقد يلاحظ سعدي "أن تطور الرواية متقدم على النقد. والمؤسف أن الروائي الجزائري لا يزال يحتاج إلى 'تزكية' من باريس أو من المشرق ليسلط عليه الضوء محليا. ولا يزال الحصول على جائزة، خصوصا إذا كانت مشرقية أو فرنسية، وليس النقد، هو الطريق الملكي للفت الانتباه إلى نص أو إلى اسم ما. لهذا يمكن أن نتحدث عن استيلاب أو تبعية نقدية في الجزائر". ودون الكثير من التشاؤم يشير سعدي إلى "وجود تحسن على مستوى البحث الأكاديمي حيث باتت الرواية الجزائرية تحظى بالاهتمام في المذكرات والرسائل، ولكن مثل هذا الاهتمام يبقى أثره محدودا لأنه يبقى حبيس جدران الجامعة".

ويرجع سبب "الموات النقدي" إلى "كون الأقسام الثقافية تأتي إعلاميا في ذيل الترتيب من حيث الأهمية، فنادرا ما تجد في هذه الأقسام عارفين حقيقة بالشأن الثقافي ومتابعين له. وأعتقد من ناحية أخرى، بأنه لا يمكن عموما لأي قطاع أن يسلم من الأمراض التي تنخر المجتمع ككل، ولهذا تعاني الساحة النقدية من نفس الأمراض الشائعة في البلاد، مثل: الرداءة والإهمال والشللية والمحاباة وحتى الجهوية".

الثقافة متقهقرة

لا يستبشر الروائي سعدي بالواقع الثقافي في الجزائر خيرا، فبالنظر يقول إلى فترة "السبعينات من القرن الماضي هناك تقهقر ثقافي كبير، خصوصا في المجالين المسرحي والسينمائي. العشرية السوداء كانت وبالا أيضا على الثقافة، فرغم حالة السلم لم تسترجع الثقافة في بلادنا حيويتها السابقة، أعني أيام أن كان القطاع الثقافي تحت رعاية الدولة. قد أستثني بقدر معين مجال الكتابة السردية، بالرغم من أنها تعاني من ناحيتها من ضعف مقروئية غير مسبوقة. يمكنني القول بكل أسف إن باريس هي التي تحولت إلى عاصمة للثقافة الجزائرية بعد أن هجر إليها الكتاب والجامعيون والسينمائيون والفنانون وكل من وجد سبيلا إلى ذلك من أهل الثقافة والمعرفة. لقد أفرغت الجزائر من طاقاتها الإبداعية، فصارت تقدم إضافة بالأساس إلى الثقافة في فرنسا".

إضافات الحراك

يرى سعدي أن الإضافة الكبرى التي تتحقق الآن هي في حراك 22 فيفري الذي مازال مستمرا فهو "إن كتب له الظفر سيغير من وجه الجزائر، بما في ذلك الثقافي منه. الحقيقة أنني تمنيته، وإلى حد اليأس أحيانا، أكثر من أن أكون قد تنبأت به. روايتي 'الأعظم' صدرت في أكتوبر 2010، وفي عام 2011 قامت ثورة في تونس ثم في مصر وبعدها في ليبيا واليمن. وفي ملف خصصته مجلة 'الجديد'، 2015، العدد 1، حول الربيع العربي، ساهمت بمقال كتبت فيه أن: ما حدث للثورات العربية، ورغم الأوضاع المزرية التي أعقبت إسقاطها لرؤوس الأنظمة القائمة أو عودة النظام القديم أو الانتهاء إلى ما يشبه الحرب الأهلية هنا وهناك، لا يعني فشل هذه الثورات على المدى البعيد.... فالثورة تنهزم وتموت فقط عندما تموت في قلوب الناس تلك القيم التي قامت من أجلها".وعن دور النخب يستطرد قائلا "أن هذا الحراك هو حراك شامل لكل فئات المجتمع، بما في ذلك المثقفين، وإن كان هناك عدد لا يستهان به من هؤلاء آثروا الصمت ولم يتخذوا موقفا، أو استمروا في الخوض في مواضيع وقضايا لا تخدم الحراك، رغم أهميتها في سياق تاريخي مغاير. ولا شك أن النخب يمكن بالطبع أن تساهم، ويجب أن تساهم، لكن لن تستطيع أداء الدور القيادي إلا إذا اكتسبت الشرعية من خلال الانخراط التام في الحراك، لا الوقوف موقف المتفرج أو مسك العصا من الوسط، كما يفعل البعض منا للأسف. وعلى كل فإن الفاعل الرئيس في ثورة 22 فبراير إلى حد الآن هو الشعب ذاته من خلال مليونياته الأسبوعية".

> الرواية نص مفتوح وعليه فإنه إذا ما جاز للروائي قراءة أعماله فهي مجرد قراءة محتملة بين غيرها من القراءات الممكنة وليست أبدا القراءة المرجعية. والنص يفوق دائما مقصد المؤلف ويتجاوزه إذا ما سلمنا بمبدأ وجود قصدية اتخذ لها المؤلف نصه أداة للتعبير عنها

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

ليلة انتصار شهرزاد في باريس

عرض مسرحي يقتبس من ألف ليلة وليلة ويفكك المتخيل الاستشراقي

مسلخ شهريار

شكّلت ألف ليلة وليلة نقطة علّام في تاريخ الأدب الأوروبيّ، إذ حرّكت مخيّلة الكثير من الشعراء والكتّاب بوصفها وثيقة سحريّة عن الشرق الغرائبيّ، لكنها في ذات الوقت خضعت لقراءة استشراقيّة جعلت محتواها يبدو للبعض كدلائل إثنوغرافيّة، ومرجعا "حقيقيا" عن الشرق وناسه وطباعه في نفي للمتخيّل الذي تحويه باعتباره يتطابق مع "الواقع"، لكن هناك قراءات أنصفت النص، وأعادت الاعتبار لشهرزاد، التي روت وحكت لتنجو بحياتها من بطش شهريار الذي أعمته الغيرة، بل أن بعض النسويات قررن قتل شهرزاد، بوصفها المثال الأشدّ تكريسا لدور الحريم، الذي لا بد من الانفكاك منه.

عمار المأمون
كاتب سوري

باريس – يستضيف مسرح الأوديون في العاصمة الفرنسية باريس عرض "ألف ليلة وليلة" للمخرج غيوم فانسانت، المقتبس بحرية شديدة عن النص الأصلي حسب وصف المخرج، الذي يحاول أن يعيد قراءة حكاية شهرزاد وما ترويه في سعي للتركيز على "فن الحكاية" سواء كانت خرافيّة أو ذات خصائص واقعيّة، وذلك ليكشف لنا عن دموية شهريار، ومغامرة شهرزاد لإيقافه عبر اثنتي عشرة حكاية فانتازميّة مقتبسة عن النص الأصلي تحوي مفارقات وعبرا إنسانيّة وأحداثا غرائبية يتداخل فيها الإباحي مع السياسيّ، كما يشير العرض إلى تاريخ الشرق من جهة وأشكال تمثيله وظهوره في فرنسا من جهة أخرى.

زيجات شهريار

يبدأ العرض أمام بوابة قصر شهريار، الذي يتحول إلى مسلخ دمويّ، إذ تنتظر أمام الباب خمس عرائس يرتدين الأبيض بانتظار مصيريهن، وكلما فُتح باب القصر، تصعد واحدة منهن إلى مخدع شهريار كي تذبح، ثم تسيل دماؤها أمامنا وأمام الأخريات، ما ينشر إحساسا بالرعب بين الجمهور، فشهريار سفّاح مهووس، نكتشف لاحقا أن سبب ذلك يتشابه مع سير القصة الأصلية، إذ خدعه مسعود واحد من عبيد زوجته، وتنكر ليدخل أمام عينيه إلى مخدعه ليلتقي زوجته، وحين اكتشف شهريار ما بينهما، قام بذبح زوجته ومسعود، ليبدأ بعدها، وفي كل ليلة، بالزواج من عذراء، ثم قتلها خوفا من الخيانة.

عرض داخل عرض

يوظف العرض تقنيات الحكاية داخل الحكاية، والتي تختلف إثرها أشكال المشهدية حين الانتقال من حكاية لأخرى، إذ تبدأ شهرزاد بقصة "الحمال والبنات" التي تدور في مصر، والتي تحمل ذات خصائص الحكاية الأصليّة، لكن العرض ينوع جنسيات ولهجات الشخصيات، مؤكدا على تداخل مصادر الحكاية الأصليّة، لنرى أمامنا الضحك والتهريج، الشعر والحكمة، العفة والإيروتيكيّة، وما إن تأخذ الحكاية منعطفا غرائبيا في قصة العميان الثلاثة الذين زاروا البنات، حتى تختلف أشكال الفرجة، فمرة نرى أنفسنا أمام أداء كوميدي فردي، وبعدها أمام ما يشبه مسرحيّة أطفال هزليّة تأخذ منحى دمويا، لكن المشترك بين الحكايات الثلاث هو أن كل واحد من الرواة يحكي كيف ترك بلاده وهجّر في الأرض يبحث عن الأمان. المثير للاهتمام أن العرض يحيل إلى التاريخ المعاصر، إذ نسمع أصوات المظاهرات في مصر، ونكتشف نهاية أن الحمال سوريّ ترك بلاده ويحاول العودة لها بعد أن صفحت الأخوات الثلاث عنه ولم يقتلنه لشدة تأثرهن بالحكايات التي سمعنها. هذه العلاقة مع الشرق المعاصر تتضح فجأة حين تبدأ أمامنا حكاية عن زيارة أم كلثوم إلى باريس، وأدائها على مسرح الأولمبيا، وأبعاد هذا الحدث السياسية خصوصا بعد هزيمة الـ67، إذ كان لأم كلثوم دور في بعث الأمل لدى الحضور الذين كسرت خواطرهم الهزيمة، فما إن وصلت باريس حتى اشتعلت المدينة بعشاقها، بل أن شارل ديغول نفسه أرسل برقية لها بمناسبة وصولها، لنصل إلى لحظة موتها، تلك التي يقول محبوها الذين نراهم على الخشبة إنها غيرت وجه الشرق، فلا أحد يستطيع أن يستبدلها أو أن يحلّ مكانها.

> العرض يحاول أن يتبنى صيغة أفلام الرعب، والتي يتأهب فيها المشاهد ويخلق لديه شعور هش بالتصديق، كونه يعلم أن ما يراه شكل من أشكال اللعب
>
> أضحية شهريار اليومية

ضد «التمثيل»

يبدأ القسم الثاني من المسرحيّة في سياق معاصر في فرنسا، لنتعرف على مصطفى القادم إلى باريس من المغرب العربيّ، والذي يسعى لأن يكون مؤديا كوميديا، ليناقش بعدها العرض التنميط الذي يخضع له ذوو الأصول العربيّة حين يتم تمثيلهم في أوروبا، إذ يتم اختيار مصطفى دوما ليؤدي دور الإرهابي أو الجهاديّ، بل نراه يتوجه لوكيلة التمثيل العنصريّة سائلا إياها لماذا لا يتم اختيار عربيّ ليؤدي دور طبيب مثلا أو مهندس، ويلفظ كلمة "الله أكبر" أثناء الصلاة وحيدا في منزله.

يأخذنا بعدها العرض إلى حكاية أخرى من ألف ليلة وليلة وهي قصة العشيق الذي يفقأ عينيه لأنه خسر من يحبّ وتلك التي أحبته، لنكتشف لاحقا أنه ذاته الذي كان في منزل البنات الثلاث، لتطغى على العرض هنا الميلودراما والصراعات التي تدور في قلوب العشاق، لننتقل بعدها وفجأة إلى لحظة انتقام شهرزاد، التي تخصي الرجال الذين يريدون دخول مخدعها، قبل أن تسكت عن الكلام المباح، ما يترك الجمهور في صدمة تختلف عن المتخيل التقليدي المرتبط بنهاية شهرزاد، فمسلخ النساء العلويّ يتحول إلى مساحة للخصاء، وضرب في جوهر الرجولة التي يتبناها شهريار والمرتبطة بالعفة والاحتكار القضيبي، وكأن شهرزاد تنتصر لا فقط بالسرد، بل بمواجهة "مُشتهيها"، إذ لا تدفع مصيرها بعيدا بحكاية، بل تأخذ زمام المبادرة، خصوصا أننا لا ننسى تاريخ القتل الذي مارسه شهريار، والذي لا يختفي أمام شعريّة الحكاية.

يقدم العرض عددا من أشكال الفرجة، إذ نشاهد التهريج والبروليسك، وعروض السحر، إلى جانب عروض الدمى المخصصة للأطفال، في محاولة لجعل الشكل الحكائيّ الذي يميّز ألف ليلة وليلة مفتوحا على أغلب أشكال الفرجة المسرحية، فالجني يرتدي قناعا ضخما للأطفال، تساعده واحدة من شخصيات شارع سمسم لقتل سجينته، كما يتحول الممثلون إلى كلاب وقردة ويتبادلون الأدوار بينهم، وكأننا أمام اختبار جديّ للقدرة على خلق "الغرائبيّ" وجعله لا فقط ممتعا بل قابلا للتصديق، خصوصا أن الرعب المرتبط بالجن والوحوش لا يعني "الإخافة" والاعتماد على الأشكال، بل تبنّي أسلوب لسرد وأداء "الحكاية" يجعلنا نقشعر خوفا حين تقوم شخصية كرتونيّة محببة بقطع الرؤوس، في ذات الوقت يراهن هذا الأسلوب على المفارقة التي نعيها، كوننا نرى الكثير من أشكال الكيتش التي تنتقد مفهوم "الشرق الأوروبيّ".

يحاول العرض أن يتبنى صيغة أفلام الرعب، والتي يتأهب فيها المشاهد ويخلق لديه شعور هش بالتصديق، كونه يعلم أن ما يراه شكل من أشكال اللعب، لكنه يترك العنان لمخيلته كي تتماهى مع ما يراه، مصدقا الخطر الواقع على الشخصيات، المتمثّل بالتهديد بالقتل الموجود في حكاية شهرزاد الأصليّة وضمن الحكايات الفرعيّة، وهنا تظهر نقطة قوة العرض الذي يراهن على الحكاية المُتخيّلة بوصفها وسيلة للنجاة، لا فقط نجاة شهرزاد، بل البشرية بأكملها، التي يمكن أن "تعتبر" من الحكاية التي قد تحوي خلاص "الجميع".

لا تظهر النوستالجيا ضمن العرض، فلا زمن جميلا يحنّ له العرض سوى ذاك الخاص بأم كلثوم بوصفها أسطورة مستمرة، إذ يحاول فانسانت أن يجعل الحكايات التي يرويها معاصرة وعلى تماس مع ما يحصل الآن، خصوصا أن فرنسا تشهد حركات احتجاجية مرتبطة بالعنف ضد النساء والقتل الذي يتعرضن له من قبل الرجال، ليأتي العرض أشبه بانتصار للمرأة ضد ذكورية وحشيّة تأخذ شكلها الغروتيسك مع شهريار، صاحب مسلخ النساء اللاتي يستخدمهنّ للذّاته ودفاعا عن خوفه من الخيانة، لتأتي شهرزاد بوصفها أملا للمدينة التي لم تعد تحوي نساء، فالخلاص لا يتجلى بجسد شهرزاد، بل عبر حكاياتها التي تستمر عبر الزمن.

ماذا تريد؟

علي أحمد الزين
روائي وإعلامي لبناني

هل تريد بيروت
خذها.
حصتي فيها رصيف أتسكع عليه وكتاب، ومقهى للكلام، وحانة كانت لليل الندماء اتكأ بعضهم على بعض ومضوا على مضض بعد أن أعلن الساقي الكأس الأخير.
تريد صور؟
لي صورة فيها يوم كنت في العاشرة جغرافياً غرّاً أتعرف على البلاد وأسماء الأقوام التي بنت قلاعها في البحر والبر لغرض الدفاع والخلود ذهبوا وبقي الحجر، خذها.
تريد طرابلس؟
كل بواباتها توصلك. من باب الرمل إلى باب التبانة، يستقبلك فقراؤها بالغناء وعصير التوت وبحرف الألف المكور الصوت.
فتش في أسواقها عنّي تراني أتعلم طرق النحاس وحياكة عباءة لجدي وحمل المكاييل، وصنع أسوارة للعرس، ورتق الثوب العتيق وجرّ عربة العنب والرمان.
تستدل على اسمها من عطرها في بساتين الليمون وسوق الهال وعرق الشيالين.
تراني أسري وأترابي بين مساجدها العتيقة وكنائسها، لغرض التعرف على الله.
عاد قطارها الأخير من الشرق يوم ولدت ابنة جارتنا سماها والدها آسيا.
احتل الغزاة قلعتها وماتوا بعد حين، لي صورة هناك وصديق لي كان والده قبطان سفينة، تقاعدت على الشاطئ مائلةً، نصفها في الرمل ونصفها في الهواء، تحمل نفس الاسم، آسيا.
خذها.
تريد صيدا؟
حفرت اسمي على حجر فينيقي مرمي في الممر البحري إلى القلعة، كنت دليلا سياحيًا أعرّف حبيبتي الأولى على بيوت الأسلاف وأسماء البحارة القدماء. أضفت اسمينا الى قائمة العابرين...
خذها.
خذ بعلبك، بمعابدها واترك لطلال حيدر معبد باخوس، وليشال طراد كوخ فيروز ولسعيد عقل قصيدة علي.
واترك لي المسافة بين أعمدتها.
خذ عكار مسقط رأسي أهديك حجرًا من قلعتها حفر عليه ما قاله فخرالدين في بني سيفا. الحجر مرمي في الدرب بين دير القمر وعكار، مموه بالعشب مستسلم للنسيان.
خذه
خذ غابات الأرز وكتاب النبي لجبران.
خذ سهل البقاع وازرعه قمحا للفرس
هل تريد البحر؟ خذه بمراكبه العائدة من أندلس الأمس.
هل تريد حرمون وجبل المكمل وصنين وقلاع الرومان. جبال شاهقات خذها بثلجها، خذ ما شئت من شموخها المستحيل.
لكن!
ماذا ستفعل بها غدًا بدوني بعد شروق الشمس
هل فكرت؟
لا أضمن لك أن نهاراً يعطيك ما أخذته ليلا.
تعبت منك البلاد، من توالي جنازات متصلة لم تنته، مديدة، تستهويك لغرض أرضي فان، حزني كبير على فتية ترسلهم في الغموض لتزداد وضوحًا، في ليلك الطويل.
اعلم أنك تريد كل ما هو صعب عليّ،
لا يمكنني إعطاؤك ما أنجبت أمي من أسماء. ولا يمكنني أن أقرأها بالخط الكوفي على حجر مغطى بالثلج في مقبرة السلالة.
لا يمكنني إعطاؤك ما
أطربني من غناء أو شجاني
أو ما حفظته من شجر
أو ما رددته من شعر في مجلس جدي المعري ونديمي أبي النواس، أو ما دونته من ترادفات في المعنى ومن تجليات، في دفاتري.
لا أستطيع إعطاءك ملمحي وصوتي ولغتي، ولا طريقتي في التسكع في المدن وذهابي وإيابي في كتابي وفي البحث عني فيك.
أنت لا تنتبه أنك ممعن في حفر هوة بيني وبينك، كلما ردمت منها ما يوصلني إليك فرغت منها ما يبعدك عني.
ماذا تريد مني؟
بيتي؟
كان لي بيت في حيفا أخذه أشكنازي يوم هجم العرب وربح الروم.
وبيت في إشبيليا قدمته لعازف غيتار غجري يوم خرج العرب ودخل الروم، وبيت أموي في دمشق نهبه الحرس
وبيت على دجلة الخير هدمه الفرس.
بقي لي بيتي الشتوي في بيروت، ولي مركب في البحر أسكنه، يهدهد عمري الموج، وأنا أكتب سيرة المدن التي بكيناها.
انتبهْ، صورة أبي على الجدار، مائلة لخطأ في الخيط، ومكتبتي لا كتاب فيها يمهد الطريق إلى الجنة بمقدار ما يسهلها إلى الله،
خذها.
كنت أميل برأسي حين أنظر إلى البحر من نافذتي
رأيت أعمى تمشي خلفه جنازة طويلة، في أرض مهجورة وأطلال بيوت،
كل الذين هتكوا المدينة
لم ينتبهوا أن اسمها بيروت.
خذها..
تَعْلَمُ أنها باقية
وتعلم أنك ستفوت.

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

الأم أيقونة الدراما في مهرجان القاهرة السينمائي

أداء الممثلة يجمع بين فيلمين من إسبانيا والفلبين

«ابنة لص» وصف حالة

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

بـرز دور الأم في عدد كبير من الأفلام التي عرضت في الدورة الـ41 من مهرجان القاهـرة السـينمائي. وفي هـذا المقال يتوقف كاتبه أمـام فيلمين من تلك التي لفتت الانتباه.

ابنة لص

فـي فيلمهـا الروائـي الأول "ابنـة لص" A Thief's Daughter تقدم المخرجة الإسـبانية الشـابة بيلين فونيس، عملا ينتمي إلى سـينما الأخوين البلجيكيين درادان، أي ينتمي إلى الواقعية المباشرة من خلال "دراسـة حالة" على المستويين الاجتماعـي والنفسـي دون مبالغات أو انفعالات. والحالة هي لامرأة شـابة هي سـارة تعيش على هامش المجتمع، فهي أم منفـردة لطفـل مـن دون زوج، ترعى طفلهـا الرضيع مع شـقيقها الطفل في السادسـة من عمره، يتنكـر لها حبيبها الـذي أنجبت منـه، ويطاردهـا والدها بقسوة، ويلقي ماضي الأب الذي هو لص أدين وسجن وغادر السجن حديثا، ظلاله بقوة وقسـوة على حياة تلك المرأة التي نراهـا تقريبا في جميع مشـاهد الفيلم بتركيز خـاص على وجههـا في لقطات قريبة.

الممثلـة الإسـبانية غريتـا فرناندیز تحمل هـذا الفيلم بأكمله علـى عاتقها، مـن دونها لم يكـن الفيلـم ليحظى بكل هذا السـحر وقوة التأثير. إنها تبدو في دور سـارة كما لو كانت قد خلقت لتؤديه أو كمـا لو كان الدور قـد كتب لها، فهي تتحرك بسـرعة ورشـاقة، تقطع الطرق في مدينة برشـلونة وضواحيها، تنتقل من عمل إلى آخـر، تحمل طفلها أو تجر عربة الأطفال، تحاول إخراج شقيقها من دار الأيتـام التي وضـع بها بدعوى عدم صلاحية سـارة لأن تكـون حاضنة له.. والدها الذي لم تره منذ سـنوات، منذ أن تخلى عن ذلك الابن الصغير، يظهر فجأة لكـن لكي يعذبهـا ويبدي لهـا احتقارا، ولكن هل تسـتطيع هـي أن تقطع تماما الصلة العضوية التي تربطها به؟

الشـخصية والمـكان والمحيـط الاجتماعي القاسي، ومتطلبات التعامل بشراسة مع الواقع اليومي، هذا ما تهتم المخرجة بإبرازه في هذا الفيلم الأنثوي الذي يعبر ببراعة عن حالة امرأة وحيدة فـي مجتمـع ذكـوري. ورغـم قدراتها الكبيـرة علـى التعامـل مع الأشـغال والأعمال المختلفة، وتحمل مشاق العمل، إلا أنهـا تواجـه الكثير مـن المعوقات، تفقد هذا العمل لتبحث عن غيره، وتظل تنتقل من مـكان إلى آخر مثـل النحلة، لا تهدأ قط. وعندما تفقد شـقيقها الذي تتبناه أسـرة أخرى تكافح لكي تنتشله وتسـتعيده. وهـي تتحـدى بصلابـة المشرفة الاجتماعية عندما تخبرها بأنها غيـر صالحـة لتربية شـقيقها الصغير بدعـوى أنها "لا تملك شـيئا" فتجيبها "بل عندي كل شيء"!

يتميـز "ابنة لـص" بإيقاع مضبوط بدقة الساعة السويسـرية فليست هناك لقطة زائدة يمكن اسـتبعادها من الفيلم، ولا يوجد مشـهد مختل الإيقاع يسـبب ارتبـاكا لنا كمشـاهدين، رغـم أن هناك الكثيـر مـن الغمـوض في تفسـير هذا الوضع المرهق الذي تعيشـه الشخصية الرئيسـية سـارة، فنحن لا نعرف شيئا عن ماضيها، ولا من أين جاءت؟ وما سر تلك النظرة الحزينة الثابتة على وجهها التي تلخص كل بـؤس العالم؟ ولكننا لا نعـرف أيضا إلى أين تسـير؟ وما الذي سـيحدث لها؟ فكل هذا ليـس مهما، لأن كاتبة الفيلم ومخرجتـه تفضل أن تبقي القوس مفتوحا ولا تغلق الدائرة.

«ميندناو»

القاعـدة الذهبية تقـول إن الأفلام لا تصنع بالنوايا الحسنة، فما بالك إن أراد مخرج مثل الفلبينـي بريانتي ميندوزا، أن يصنع فيلما دعائيا دون أن يخفي هذا الطابع الدعائي، لكي يقول لنا ببسـاطة إن فـي الفلبين حرية وتسـامحا وقبولا للآخـر المختلـف دينيـا، وإن الجميـع يشتركون معا في مكافحة الإرهاب الذي تمارسه الجماعات الإسـلامية المتطرفة مثـل جماعة أبوسـياف المعروفـة، وإن المسلمين الفلبينيين يدفعون ثمنا باهظا أيضا لمثل هذا التطرف.

قبل ثلاث سـنوات قدم لنـا ميندوزا فيلما بديعا هو "الأم روزا" الذي شـارك في مسـابقة مهرجـان كان، وكان ينهج فيه نهـج الواقعية الجديـدة، من خلال قصة امرأة فقيرة تتحايل من أجل تدبير تكاليف الحياة الشـاقة التي تعيشها مع زوجها، لكنها تجد نفسـها في السجن. وكان مـا يميز الفيلم لغته السـينمائية، صـوره بالأبيـض والأسـود، الكاميـرا المحمولـة المتحركة في معظم مشـاهده، التصوير في الزمـن الطبيعي للأحداث. وقد اقتنص الفيلـم جائزة أفضل ممثلة في مهرجان كان في تلك السنة.

> لا أعرف ما الذي يقصده ميندوزا من خلال استعراض تقاليد الموت عند المسلمين بالتفصيل في مشاهد طويلة

المرأة - البطلة

وفي فيلمه الجديد الذي يشـارك في مسـابقة مهرجان القاهرة السـينمائي الـ41، وهو فيلـم "ميندناو" Mindanao، يعود ميندوزا إلى موضوع بطلته أيضا امرأة فقيرة تدعى شـيماء، ولكنها أكثر شـبابا مـن بطلـة "الأم روزا"، والأهـم أنها مسـلمة ترتدي الملابـس التقليدية مـع حجاب الـرأس، وتـؤدي الصلوات أمـام الكاميـرا، وترعـى ابنتهـا ذات الأربع سـنوات، تأخذها إلى دار الرعاية الاجتماعية حيث تلعـب مع الأطفال من المسلمين وغير المسـلمين في ود ووئام. وعندمـا تريد شـراء النـوع الذي تحبه ابنتهـا من الأيس كريم، لا تجد معها من النقـود ما يكفي فتصـر البائعة على أن تعطيها السلعة المطلوبة على أن تتحمل هي ثمنها بعد أن تعلم أن ابنتها مريضة.

المشـكلة أن الطفلة مريضة بسرطان الدم أو اللوكيميا، وقد انتشـر السرطان ووصـل إلـى المـخ وأصبحـت حالتها حرجة، وربما تكون في الأيام الأخيرة من حياتهـا، وهذا ما يقوله الطبيب للأم في المستشـفى. أما الأب-الزوج فهو جندي في الجيش الفلبيني، ضمن وحدة خاصة لمكافحة الإرهابيين الذين يشنون هجمات شرسـة ضد القـوات الحكومية. وهو أيضا مسلم ملتزم بالصلاة، لكنه يرتبط برفاقـه من غير المسـلمين فـي الوحدة العسكرية، بصداقة وحب وتعاون مثالي.

إننـا إذن، أمـام الجنـة الموعـودة، أي عالم مثالي لا يشـوبه شـائبة سوى الهجمـات الهمجية التي يشـنها أعداء الحضارة الإنسـانية، وهو ما سيتسبب في إصابـة الأب الذي رغم حبـه الكبير لابنتـه وزوجتـه، إلا أن إخلاصه للوطن يجعلـه يفضل الالتـزام بالمشـاركة مع وحدته العسـكرية بينما ابنته الصغيرة ترقد في المستشفى بين الحياة والموت.

ميـندوزا يقضـي وقتـا طويـلا في التمهيـد للموضوع، ثم وقتـا أطول في تصوير ملامح شـخصية الأم وعلاقاتها بمحيطها، مركزا على التزامها بشـعائر الإسـلام، واحترام الجميع لها. أي يركز على فكرة أن فـي الفلبين لا توجد تفرقة أوتعصـب أو اضطهـاد للمسـلمين بل علـى العكس فالميليشـيات الإسـلامية المسـلحة التـي تتـردد نداءاتهـا على شـريط الصوت "الله أكبر" كلما انتقلنا إلى مشـاهد المعارك، هي التي تفسد هذا الجـو الـودي والمجتمع المسـالم. هذه المشـاهد تحديدا لدينا منهـا الكثير في النصف الثاني من الفيلم، ولكن من خلال أسـلوب يتناقـض تماما مع الأسـلوب السائد في النصف الأول من الفيلم، ففي هذه المشاهد يبدو ميندوزا وقد جنح إلى اتجـاه الفيلم الحربـي، وبعد ذلك ينتقل إلى الميلودراما التي تضغط على الجروح بقسـوة، تريـد أن تبتـز منـك الدموع، عـن طريـق المبالغـة فـي تصويـر تلك "الحالـة" مـن العنـف والقتـال والاشـتباكات، في تواز مع المصير الذي تنتهي إليه الابنة.

لا أعرف مـا الذي يقصـده ميندوزا من خلال اسـتعراض تقاليـد الموت عند المسـلمين بالتفصيل في مشاهد طويلة: غسـل الجثة، لف الجثة بالكفـن، الدفن في مقبرة محفورة في التربة قرب ساحل البحر، سـد منافـذ المقبرة بالأخشـاب والتـراب.. إلـخ. صحيـح أنـه يريد أن نشعر بالاحترام للتقاليد الإسلامية، لكن تفريغها بعيدا عن مسـار الفيلم يجعلها مرد مشاهد "إكزوتية" فولكلورية منعزلة عن السياق العام للفيلم.

فـي محاولـة للتغلـب علـى رتابة الموضوع وجانبه الدعائي الواضح حتى كثيرا ما بدا كما لو كان تمجيدا لما يقوم به الجيش الفلبيني، يسـتخدم ميندوزا التحريك أو الرسـوم المتحركة في بداية الفيلـم، وفـي بعـض أجزائـه، كما في نهايته. وهي رسوم تصاحب القصة التي ترويها الأم شيماء لابنتها وهي أسطورة الشقيقين راجح وسليمان اللذين يقاتلان ضـد حيواني التنين: جنتـو وبولا. لكن المشكلة أن الصلة بين الأسطورة وأحداث الفيلم بدت واهنة وغير مقنعة، بل وكان يمكـن أن يـروي ميـندوزا قصـة فيلمه دون العـودة إلى تلك الأسـطورة ودون استخدام التحريك أصلا.

براعة الأداء

الجانب المشرق في الفيلم والذي يثير الإعجاب هو أداء الممثلة الجميلة جودي آن سـانتوس في دور الأم، شيماء، التي تحمل الفيلم بأسـره وحدها، ومن دونها لـم يكن الفيلم ليوجد. فقد أدت برسـوخ فـي جميع المشـاهد التي ظهـرت فيها، وصمدت في لقطات الكلوز أب (القريبة) للوجه، وعبرت برقة وشفافية مدهشتين، بعينيهـا الحزينتين عـن كل حزن العالم الذي تشعر به كأم تلهث طوال الوقت من أجل إنقاذ ابنتها الوحيدة.

يبقى أن أذكر أن ميندناو هي جزيرة كبيرة نسـبيا تقـع في جنـوب الفلبين تتميـز بمناظرهـا الطبيعيـة الخلابة. ويوجـد فيها أكثر من ثلاثين أقلية إثنية أو عرقية، كما يتمتع المسـلمون في قطع منها بالحكم الذاتي. ولا شـك أن اختيار هذه الجزيـرة لتصويـر الفيلم وإطلاق اسـمها عليه هو اختيـار مقصود تماما لكي يمنـح للمتفرج داخـل الفلبين هذا المعنى أي معنى التسـامح وقبول الآخر وضـرورة الاشـتراك معـا فـي مقاومة العنف والإرهاب.

المخرجة بيلين فونيس:
فيلم أول بديع بإيقاع مضبوط ينتمي إلى عالم السينما الواقعية.

المخرج بريانتي ميندوزا:
فيلم بطلته امرأة مسلمة محجبة وتؤدي الصلوات أمام الكاميرا.

وجديـر بالذكر أن المخـرج بريانتي ميندوزا (59 سـنة) كان قد أخرج المؤتمر الذي أعلن فيه الرئيس الفلبيني رودريغو ديوترت "حالة الأمة" State of the Nation وحضـره ثلاثة من الرؤسـاء الفلبينيين السابقين عام 2016، ثم عاد فأخرج المؤتمر الثاني للرئيس في 2017 وصور الخطاب الذي ألقـاه لعرض الخطـوط العريضة لسياسـة الدولـة علـى غـرار "خطاب سياسات الاتحاد" في الولايات المتحدة.

دور الأم هو أساس فيلم «ميندناو»

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

سياحة الزفاف استثمار يستهوي الدول العربية

أماكن طبيعية ومواقع أثرية لتوثيق أعراس بسحر ألف ليلة وليلة

تتنوع المشاريع من شهر العسل إلى سياحة الزفاف في أطار تنشيط السياحة في مختلف دول العالم، وتتجه الدول العربية إلى الاستثمار في ترتيب حفلات الزفاف على طريقة ألف ليلة وليلة وإقامة العرسان وضيوفهم في أفخم الفنادق والمنتجعات وتوثيق صور عطلهم في أماكن طبيعية أثرية جذابة.

حفلات أسطورية انتشرت في أوروبا وآسيا

دبي - على غير عادة قضاء شهر العسل في الخارج، يفضّل الكثير من المقبلين على الزواج إقامة حفل زفافهم في أماكن ذات طابع مميز، كالأماكن الأثرية والتاريخية والمدن المشهورة والمتميزة خارج دولهم.

وانتشر هذا النوع من السياحة في معظم البلدان ذات الطبيعة الخلابة والمواقع الأثرية المختلفة كباريس وإسبانيا وإيطاليا التي تعرف بزواج المشاهير فيها، ودول أوروبا الشرقية ودول آسيوية، حيث يقوم العروسان بدعوة ذويهما وأصدقائهما لمشاركتهما في حفل زفافهما في البلد أو المدينة الذي وقع اختيار العروسين عليه.

ومازال هذا النوع من السياحة في الوطن العربي يتقدم ببطء، رغم أنه يعود على الوجهة المختارة من العروسين بمردود مادي كبير، إذ تعد هذه الحفلات فرصة مربحة ومهمة من حيث الميزانية العالية اللازمة لتجهيزها وإقامتها، بالإضافة إلى الأعداد الكبيرة من المدعوين الذين سيقيمون لعدة أيام، وما يتبع ذلك من زيارتهم لبعض المناطق السياحية والأسواق التجارية داخل البلد.

قالت دانييل كورتيس، مديرة معرض سوق السفر العربي في الشرق الأوسط، "تلعب حفلات الزفاف التي تقام في الخارج الآن دورا رئيسيا في النمو الشامل الذي تشهده صناعة الضيافة على مستوى العالم، كما تؤثر بشكل إيجابي على نمو الاقتصاد المحلي، حيث يسعى الأزواج إلى الحصول على تجربة فريدة وشخصية خارج دولهم".

وكشف البحث الذي أجرته كوليرز إنترناشيونال الشريك الرسمي للأبحاث لمعرض سوق السفر العربي الذي سيقام في شهر أبريل المقبل في دبي، أن حجم قطاع الوجهات المفضلة لحفلات الزفاف يتجاوز 90 مليار دولار أميركي عالميا، مع الإشارة إلى أن نحو 25 بالمئة من حفلات الزفاف تجري في الخارج، أي ما يصل إلى 340 ألف حفلة زفاف كل عام، لكن على مستوى الشرق الأوسط، يبلغ حجم سوق حفلات الزفاف أكثر من 4.5 مليار دولار فقط، وهو ما يشكل نحو 5 بالمئة من السوق العالمي لحفلات الزفاف.

وتحتل الهند السوق الأول في سياحة حفلات الزفاف، حيث تبلغ قيمة سوق حفلات الزفاف الهندي 50 مليارا في العام، ويقيم أثرياؤها ما يقرب من 10 آلاف حفل زفاف خارج الهند، وبعض العائلات تنفق من نصف مليون إلى 5 ملايين يورو، وقد تصل الأرقام إلى 70 مليون يورو وأكثر على حفل الزفاف الواحد، فقد أقيم في تركيا 15 حفل زفاف لهنود في عام 2019، بلغت تكلفتهم حوالي 100 مليون دولار، بحسب تقارير عالمية.

وتعدّ دولة الإمارات الوجهة الأكثر تفضيلا لإقامة هذا النوع من الحفلات نظرا إلى التسهيلات المتعلقة بالحصول على التأشيرة وسهولة السفر إليها والمناخ المناسب على مدار العام ووجود الشواطئ البكر الساحرة، فضلاً عن الصحراء والسلاسل الجبلية ذات البيئة الهادئة والمناظر الخلابة، حيث يمكن للعرسان أن يستمتعوا بألطف الأوقات والاحتفاظ بذكريات جميلة في صور بين الكثبان الرملية والمنتجعات الفاخرة.

وقالت دانييل كورتيس، "تشكل سياحة حفلات الزفاف واحدة من أربعة اتجاهات رئيسية سترسم ملامح قطاع الضيافة في الشرق الأوسط، كما أنها ستؤثر على صناعة السياحة والسفر العالمي وسلوك الأفراد والمستهلكين، بالتزامن مع حلول عام 2020 والأعوام التي تليه".

وتحتوي منطقة الشرق الأوسط على ما يحتاجه العرسان من أماكن خلابة وأخرى أثرية لا مثيل لها في دول أخرى.

ووصلت سياحة الزفاف اليوم إلى أوج انتشارها، ولا يبدو أن رواجها سيتوقف قريباً، خاصة بعد إقامة بعض الدول لمؤتمرات عالمية للترويج لهذه السياحة.

وتوجهت وزارة السياحة في الأردن في الآونة الأخيرة للاهتمام بسياحة الزفاف والترويج للمنتج السياحي الأردني، وبعض المناطق السياحية التي تتمتع بمناخ وملاذ شرق أوسطي مميز، من خلال استهداف مكاتب السياحة الهندية المتخصصة بالترويج لحفلات الزفاف خارج الهند.

وتضرب المملكة موعدا في شهر ديسمبر من العام الحالي مع سياحة الزفاف من خلال إقامة حفل عرس نجل أحد رجال الأعمال الهنود الذي وقع اختياره على منطقة البحر الميت، وحجز جميع الغرف في أحد الفنادق لـ700 شخص من أهله وأصدقائه لمدة أربعة أيام، بالإضافة إلى الجولات السياحية لبعض المناطق السياحية والأسواق التجارية التي سيقومون بها خلال فترة إقامتهم.

ويحتضن الأردن عددا من المواقع التاريخية والحضارية المتنوعة التي توفر مكانا مناسبا لإقامة حفلات زفاف أسطورية، كمدينة البترا التي تعد من عجائب الدنيا السبعة، ومدينة جرش التي تضم مواقع مثل شارع الأعمدة وقوس هادريان والمسارح والمعابد والكنائس الأثرية، والمدرج الروماني في عمان وسبيل الحوريات، وغيرها من المواقع الأثرية في عجلون وأم قيس ومأدبا ووادي رم.

وتبذل وزارة السياحة في البحرين جهودا في الترويج لمكانة المملكة كوجهة رائدة لاستضافة الأفراح وحفلات الزفاف ضمن مشروع "فرحتكم في البحرين"، وقال مستشار هيئة السياحة والمعارض علي فولاذ، إن قائمة طويلة من الأفراح الهندية ستقام حتى نهاية العام الحالي، مشيرًا إلى أن أعداد تلك الأعراس يرتفع عاما بعد عام، بدءا من أبريل 2017. وقت أول حفل زفاف هندي.

ولفت فولاذ إلى أن بعض تلك الأعراس تشرف عليها هيئة السياحة بشكل مباشر، وبعضها تتواصل العائلات بنفسها مع الفنادق البحرينية.

وخلال أبريل الماضي استضافت البحرين حفلي زفاف لعائلات هندية، ومنها عائلتا أغراوال وسنغ أوبال القادمتان من مدينة دلهي الهندية الشهيرة، وعائلتا جتربوج موالجند باتيا وجتربوج كومار باتيا. حيث استقطب الحفلان أكثر من 700 ضيف وصلوا إلى البحرين.

وعادة ما تستمر تلك الحفلات الهندية على مدى 3-4 أيام متواصلة، إذ يخصص اليوم الأول لحفل عشاء الاستقبال لضيوف الزفاف، واليوم التالي لإقامة مراسم الحناء الهندية التقليدية، أما اليوم الثالث فيتضمن حفلة ما قبل الزفاف، ويشتمل اليوم الأخير على حفل الزفاف الكبير.

وقد تحمل تلك الأعراس صبغة تراثية بحرينية لتتضمن أنغام العود البحرينية الأصيلة وأسواق شعبية يشارك فيها أبرز الحرفيين البحرينيين، الذين قاموا بعرض أبرز منتجاتهم وأعمالهم، بالإضافة إلى مشاركة الفرق الشعبية لأداء أحد أشهر الفنون البحرينية التراثية من الفلكلور الشعبي "فن العرضة" وصعود العريس على أحد الخيول العربية.

وتؤكد هيئة البحرين للسياحة، أنها تعمل على العديد من المشاريع ضمن استراتيجيتها الرامية إلى الترويج لمملكة البحرين كوجهة سياحية، ومن ضمنها أن تكون البحرين مقصداً للزواج في المنطقة، إذ لا يقتصر فقط على الفنادق ومنظمي الأعراس ولكن هناك أكثر من 31 شريكا يستفيدون من هذا المشروع.

ولا تقتصر مساعي الهيئة على التسويق لإقامة حفلات زفاف الهنود بل تركز على السوق الخليجي، وخاصة المملكة العربية السعودية، حيث تعمل الهيئة على خطة إعلامية من بينها أفلام تسويقية لتصبح البحرين وجهة للزفاف.

كما تخطط الهيئة لإضافة العديد من الأفكار لإقامة حفلات الزفاف من بينها المعبد الهندوسي في السوق القديم الذي يتم العمل على تطويره، ومتوقع أن يستقطب الجالية الهندية في دول الخليج، فضلا عن إقامة حفلات الزفاف على شاطئ البحر.

> **تحتل الهند السوق الأول في سياحة حفلات الزفاف، حيث تبلغ قيمة سوق حفلات الزفاف الهندي 50 مليارا في العام**

وفي شهر أغسطس الماضي شهد أحد شواطئ شرم الشيخ، زفافا غير تقليدي لعروسين من أوكرانيا، هما جولي ولي لي، اللذين جاءا إلى مصر لإتمام زواجهما بطريقتهما الخاصة.

وأكد العروسان، أن حلم حياتهما كان الزواج في شرم الشيخ التي سمعا عنها حكايات رائعة من الأصدقاء والأقرباء، فقررا أن تكون مدينة السلام بداية لحياتهما الزوجية.

أماكن سياحية

«كمبانو بوليس» قرية أوروبية في الأرجنتين

بوينس آيرس - تتيح بلدة كمبانو بوليس الأرجنتينية، فرصة لزوارها للسفر عبر الزمن، واكتشاف آثارها الشبيهة بتلك الأوروبية من القرون الوسطى.

وتقع البلدة حوالي 40 كلم عن بوينس آيرس، ويعود تاريخ إنشائها إلى سبعينات القرن الماضي.

وتحتوي القرية، التي أنشأها الملياردير الأرجنتيني الراحل، أنطونيو كامبانا، على الكثير من الحدائق، والقصور، والبنايات، والأزقة الضيقة، المصممة على الطراز المعماري من العصور الوسطى.

وتأثر كامبانا، في حياته كثيرا، بالمهندس المعماري الإسباني، أنطوني غاودي

وتستقبل كمبانو بوليس، التي باتت رمزا سياحيا مميزا في المنطقة، أعدادا كبيرة من السياح من مختلف مناطق العالم، كما ينتظم فيها العديد من الفعاليات الاجتماعية المهمة، وغيرها.

غالواي الأيرلندية تقيم متحفا لتاريخ الأطلنطي

برلين - فيما تستعد مدينة غالواي الساحلية الواقعة بجمهورية أيرلندا لأن تصبح عاصمة الثقافة الأوروبية لعام 2020، تجرى التجهيزات أيضا لإقامة متحف جديد في المدينة هو متحف غالواي الأطلنطي.

سوف يطلع الزوار على أثر المحيط الأطلنطي على المدينة التجارية وسكانها المحليين الذين أحيانا ما يقال إنهم ذوي طلة إسبانية جراء وصول الكثير من البحارة من الأسطول الإسباني إلى الساحل الغربي الصخري لأيرلندا في القرن السادس عشر. وتقع غالواي الشهيرة بأسماكها ورقائق البطاطس وموسيقاها، في أقصى الطرف الغربي من أوروبا ولكنها أصبحت مكانا مركزيا في الحياة الثقافية لأيرلندا.

وتعدّ المدينة معقلا للموسيقى الأيرلندية التقليدية، وهناك موسيقيون في الشوارع في كل زاوية وهم موجودون في الحانات الدافئة الشهيرة بعروضها الموسيقية.

ثوران بركان ينعش السياحة في آيسلندا

ريكيافيك - الصور التي تنتشر على وسائل التواصل الاجتماعي تجعل آيسلندا تبدو وكأنها ديزني لاند من العجائب الطبيعية، وتعجّ بينابيع مياه ساخنة سحرية وبراكين كبيرة مثيرة للدهشة والمشاعر وأنهار جليدية.

ويرجع جزئيا ذيوع شهرة آيسلندا في السنوات القليلة إلى ثوران بركان كبير في قمة جبل يوغا فجالاغجوكول في عام 2010 والذي أعقبة انتشار سحب الرماد التي تسببت في شل حركة النقل الجوي الدولي لعدة أسابيع، مما أدى إلى انتشار اسم الجزيرة الواقعة في شمال المحيط الأطلسي في جميع أنحاء العالم.

وأدى ذلك آنذاك إلى انفجار ثانٍ في أعداد الزائرين، وقبل ذلك، لم يكنْ يستطيع معظم الناس من تحديد موقع آيسلندا في خارطة العالم. وبعد ذلك، بدا أنهم يدركون أن رحلة من أوروبا أو الأميركتين إلى آيسلندا لا تستغرق وقتا طويلا.

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

متى يغمر الواقع المعزز حياتنا بالتفاصيل الافتراضية؟

عقبات تكنولوجية تعرقل منافسة النظارات الموعودة للهواتف الذكية في وقت قريب

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

تتقاطع التكهنات والتحليلات بشأن موعد غزو نظارات الواقع المعزز، التي ستغمر حياتنا بالتفاصيل الافتراضية وتجعلنا نرى العالم بعين جديدة، والتي يرى كثيرون أنها ستكون القفزة التكنولوجية المقبلة، التي قد تهمش دور الهواتف الذكية بشكلها الحالي.

وتتجه أنظار الكثيرين إلى ما ستفعله شركة أبل، التي أثبتت منذ افتتاحها لعصر الهواتف الذكية قبل 12 عاما، أنها بوصلة إيقاع التحولات في تكنولوجيا الاتصالات، حيث أنها لم تندفع إلى أي تقليعة جديدة إلا بعد أن تصبح ممكنة الانتشار على نطاق واسع.

لذلك فإن الخطوات المتحفظة لدخول أبل إلى عالم نظارات الواقع المعزز، فيها ما يشير إلى أن الهواتف الذكية ستبقى على عرش الأجهزة الشخصية الذكية لعدة سنوات، وأن تلك النظارات لن تقتحم حياتنا بقوة في المستقبل القريب رغم الإعلانات الاستعراضية وطرح نسخ أولية من قبل بعض الشركات المنافسة.

وكانت أبل قد نأت بنفسها عن السباق المحموم لطرح هواتف ذكية تدعم الجيل الخامس، وتجاهلت تلك التقنية في هواتف آيفون 11 الجديدة لأن تلك التكنولوجيا لا يزال أمامها عامان على الأقل لتبدأ بالانتشار على نطاق عملي.

خطوات أبل المتحفظة

تشير الرسائل الصادرة عن أبل إلى أن المستهلكين سوف يتعين عليهم الانتظار حتى عام 2023 للحصول على نظارات أبل الذكية، التي طال انتظارها بالفعل، بعد أن جرى الحديث عنها منذ سنوات.

وتؤكد تسريبات موقع أخبار التكنولوجيا ذي انفورميشن (The Information) أن المسؤولين التنفيذيين في أبل أخبروا موظفي الشركة مؤخرا أن نظارة أولية متعلقة بتلك التكنولوجيا يمكن إطلاقها في عام 2022.

وذكرت التسريبات أن المسؤولين قالوا إن من المقرر أن تصل نظارات الواقع المعزز "الحقيقية" بعد سنة من ذلك أي في عام 2023. ولم تذهب أبل إلى نفي تلك التسريبات واكتفت برفض التعليق، لكن تم تأكيد التقرير من قِبل شخص مطلع على خطط الشركة.

قبل ذلك، كان الحديث يجري عن إمكانية إطلاق نظارة أبل للواقع المعزز في بدايات العام المقبل، لكن الجدول الزمني المطول يعكس العديد من التحديات الفنية، التي لم يتم حلها في التصميم والمكونات المطلوبة لجعل نظارات الواقع المعزز تحدث وقعا حقيقيا وليس مجرد تقليعة استعراضية عابرة.

وكان تيم كوك الرئيس التنفيذي لشركة أبل قد أكد مرارا أن نظارات الواقع المعزز فكرة عظيمة، لكنها تحتاج لبعض الوقت لتصبح مثل الهاتف الذكي أي ألا تكون لمجموعة سكانية معينة بل للجميع.

نماذج تجريبية أولية

ولدت جميع النظارات المبكرة مباشرة من رحم الهواتف الذكية. وقد استخدمت شركة أوكولوس في.آر قبل أن تشتريها شركة فيسبوك شاشات الهاتف الذكي لعرض العالم الافتراضي في نظارتها.

كما استخدمت شركات أخرى مثل سامسونغ ذات الوسيلة أي وضع الهاتف الذكي على النظارة لدخول العالم الافتراضي.

هل حان موعد الدخول إلى عهد تكنولوجي جديد؟

أما شركة سناب تشات فلم تقدم في نظارتها المزودة بكاميرات، والتي طرحت جيلها الثالث، سوى عدسات متغيرة ثانية ومستشعرات صور تم تقليصها لتناسب أجهزة الهواتف الذكية.

وتبدو جميع المغامرات خطوات استكشافية أولية وبدائية للانتقال الفعلي لمزج الواقع المعزز بتفاصيل أحيانا بشكل عملي وعلى نطاق واسع لتحقيق قفزة ودخول عهد تكنولوجي جديد يخلف المرحلة التي يحتل الهاتف الذكي عرشها حتى الآن.

فالهواتف الذكية كانت قفزة كبيرة، حين أصبحت أجهزة كمبيوتر متطورة محمولة، لكن يبدو أن نقل كل تلك الإمكانات إلى نظارة يمكن ارتداؤها وتضم إضافات نوعية كبيرة، لا يزال يحتاج لتطورات تكنولوجية كبيرة.

قد يرتبط ذلك بمسار انتشار ورسوخ الجيل الخامس للاتصالات، الذي من المتوقع أن يحدث بعد عامين أو ثلاثة أعوام، لأن الواقع المعزز يحتاج كمية هائلة من البيانات عن كل شيء حولنا.

كما أن نظارات الواقع المعزز تحتاج دقة هائلة في تحديد زاوية النظر تصل إلى الدقة المطلقة، من أجل عرض بيانات عن المشهد الذي ننظر إليه، وهو ما يمكن أن يوفره الجيل الخامس بعد نضوجه. أما الجيل الرابع فإنه بعيد جدا عن الدقة العالية في تحديد المواقع ناهيك عن زاوية النظر.

ولذلك فإن نظارات الواقع المعزز الحقيقية، التي تصل إلى جعل مرتديها يعتقدون أن الصورة الرمزية المجسمة أمامهم موجودة بالفعل، لا تزال تتطلب الكثير لكي تصبح نقلة نوعية كبرى تزيح الهواتف الذكية عن عرش الأجهزة الإلكترونية.

ويعني ذلك أنه يجب تطوير العديد من المكونات الحيوية وعمليات التصنيع الخاصة بها من الصفر، دون الاستفادة مما تم إنجازه في الهواتف الذكية. وذلك قبل أن يبدأ اختبار ما إذا كان المستهلكون يريدون هذه الأشياء ويقبلون على شرائها لتحقيق الجدوى الاقتصادية من الاستثمار في إنتاجها.

وقال بن باجارين، المحلل في كريتيف ستراتيجيز إن "الهواتف الذكية كانت أجهزة كمبيوتر متطورة بشكل أساسي، أما الانتقال إلى ارتداء شيء ما على الوجه، فإن ذلك أمر جديد تماما".

نظارة مايكروسوفت الباهظة

بعيدا عن حسابات أبل المتحفظة، دخلت مايكروسوفت في المغامرة وبدأت الأسبوع الماضي تسليم نظارة هولولينز 2 للزبائن في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وأيرلندا ونيوزيلندا وأستراليا.

لكن السعر المرتفع للنظارة، وهي الجيل الثاني من النسخة التي طرحت في عام 2016 والبالغ 3500 دولار، يجعلها بعيدة عن فرص الانتشار بين المستخدمين الأفراد.

وأعادت مايكروسوفت تصميم النظارة الجديدة لتتضمن زيادة مجال الرؤية بشكل كبير، من 34 درجة إلى 52 درجة قطريا وأدوات تحكم أكثر تعقيدا عبر الإيماءات، إضافة إلى توزيع وزنها بشكل مريح.

وتشير التغييرات والسعر الباهظ إلى أن مايكروسوفت تستهدف الشركات بهذه النظارة، وليس المستخدمين العاديين.

وتشمل الاستخدامات الأكثر شيوعا للنظارة المساعدة عن بعد، مثل مساعدة عامل ميداني في إصلاح معدات بمساعدة خبير بعيد، وتصور البيئات الثلاثية الأبعاد المعقدة، مثل التحقق من مدى توافق نموذج افتراضي مع مكان تنفيذه، إلى جانب تدريب الموظفين.

وتستخدم النظارة تتبع اليد والعين، ويمكن للمشترين دفع رسوم شهرية إضافية لبرامج المساعدة عن بعد من مايكروسوفت، والتي تم تصميمها لاستكشاف الأخطاء وإصلاحها مباشرة.

تحديات تكنولوجية

تتطلع جميع الشركات المتسابقة نحو انطلاقة جديدة تحقق أرباحا كبيرة، بعد تشبع سوق الهواتف الذكية وكثرة المتنافسين، الذين قلصوا هامش أرباحه بشكل كبير.

وتبدو جميع النظارات المطروحة مجرد خطوات أولية، لكنها تتجه بثبات نحو انقلاب تكنولوجي هائل يمكن أن يرسخ أقدامه بعد نحو 3 أعوام، استنادا إلى حسابات أبل الأكثر رصانة وتحفظا من بقية منافسيها مثل مايكروسوفت وغوغل وفيسبوك.

ويكمن التحدي في الأنظمة البصرية لتحقيق النقلة النوعية المنتظرة. هناك عدة طرق لإسقاط صور شبه شفافة على العدسات أو المرايا داخل نظارات الواقع المعزز، لكن لم يبرز أي من تلك الطرق حتى الآن باعتباره الصيغة الفائزة.

حتى الآن لا تقدم الكثير من النظارات الرائدة سوى مجال رؤية ضيق فقط، مما يعني أن الصور الرقمية يمكن أن تكون مقطوعة حول الحواف أو محاصرة داخل صندوق غير مرئي.

ليس هناك مجال لتوسيع الرؤية اليوم إلا داخل نظارات كبيرة جدا تحجب رؤية العالم المحيط بنا، أي أنها لن تمزج حياتنا بالواقع المعزز. ويعزى ذلك جزئيا إلى حجم الأنظمة الضوئية نفسها، التي تحتاج لانقلابات تكنولوجية كبيرة للوصول إلى النظارات التي رسمها لنا الخيال العلمي حتى الآن.

كما تحتاج لتطوير البطاريات اللازمة لتشغيلها، حيث سوف يتطلب مضاعفة ارتفاع وعرض مجال الرؤية أربعة أضعاف الطاقة لأن جعل الصورة الرقمية أكثر إشراقا يضع ضغطا إضافيا على البطاريات لتمكين المستخدم من رؤية الصورة في ضوء النهار.

ويقف ذلك خلف تصميم نظارات الرأس الحالية، مثل ماجيك ليب ومايكروسوفت هولولينز، للاستخدام في داخل الغرف لأن رؤية الصور ستكون صعبة في ضوء الشمس الساطع.

ويمكن لزيادة الطاقة أن تكون لها تداعيات غير مريحة مثل ارتفاع درجة حرارة النظارة بشكل كبير.

كما تواجه الشركات مشكلة البحث عن معالجات متخصصة بدل وحدات المعالجة المركزية للأغراض العامة. ويحاول مصنعو الرقاقات إنتاج شرائح متخصصة ذات أبنية مختلفة مصممة حصرا للوظائف الرئيسية في هذه النظارات، وتكون قادرة على استشعار حركة الرأس وتشغيل خوارزميات رؤية يمكنها التعرف على الكائنات.

وينطوي ذلك على تكاليف استثمارية مخيفة لبناء هذا النوع الجديد من السيليكون، وهو ما لا يقدر عليه سوى الشركات الكبرى، التي لا يمكنها الوقوف متفرجة أمام حتمية هذه القفزة التكنولوجية المقبلة.

ومع ذلك يبقى أفق تلك النظارات غامضا بانتظار الحلول التقنية للعقبات التي لا تزال قائمة. والتي قد تحمل انعطافات ثورية ليست في حساباتنا الحالية.

تيم كوك الرئيس

نظارات الواقع المعزز فكرة عظيمة، لكنها تحتاج لبعض الوقت لتصبح مثل الهاتف الذكي أي ألا تكون لمجموعة سكانية معينة بل للجميع

نظارات الواقع المعزز تحتاج كمية هائلة من البيانات عن كل شيء حولنا وستنتظر لعامين أو ثلاثة لحين رسوخ وانتشار الجيل الخامس للاتصالات

نماذج استكشافية بدائية للانتقال الفعلي لمزج الواقع المعزز بتفاصيل حياتنا بشكل عملي وعلى نطاق واسع ودخول عهد تكنولوجي جديد يخلف المرحلة التي يحتل الهاتف الذكي عرشها حتى الآن

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

متلازمة فرط التدريب تسبب الانخفاض المزمن في الأداء

الأرق وآلام العضلات من أشهر أعراض هوس التمرن

تحدثت الكثير من الدراسات المتخصصة في مجال اللياقة والطب الرياضي بإطناب عن فوائد النشاط والتمارين للبدن والعقل والنفس. وفي الوقت الذي تحذر فيه الهيئات الصحية حول العالم من الخمول وقلة الحركة يشدد الأخصائيون على مخاطر الإفراط في التدريبات التي من شأنها أن تقلب الموازين رأسا على عقب.

باريس - يعرف مدربو اللياقة متلازمة التدريب المفرط بأنها الزيادة المفرطة في التدريب التي ينتج عنها انخفاض مزمن في الأداء الرياضي وعدم القدرة على أداء التدريبات. وقد تتسبب في حدوث بعض المضاعفات التي ربما تتطلب العناية الطبية.

يقول أخصائي العلاج الطبيعي، بان شاتو في كتابه "متلازمة فرط التدريب: الوقاية والعلاج"، "إذا كنت تشعر بالتعب والإرهاق، فقد تكون تعاني من متلازمة فرط التدريب التي تبدأ عادة بألم في العضلات وشعور بالتعب. ثم تتطور الحالة بسرعة وقد تتسبب في حدوث إصابات وجروح. يحدث التدريب المفرط عندما تصبح شدة التمرين وحجمه أكثر مما يمكن للجسم أن يتعافى منه بشكل صحيح". وأضاف أنه من الأفضل دائما منع الوصول إلى هذه المتلازمة بدلا من محاولة التعافي منها. وأردف أن متلازمة فرط التدريب خطرة وتحد بشدة من قدرة المتدرب على التمرن.

ولتفادي الإصابة بهوس التمرن ومتلازمة فرط التدريب، يوصي تقرير نشره موقع "نو بوسي" الفرنسي بتفادي تمديد التدريبات لفترات زمنية طويلة لأن في ذلك استنزافا وإجهادا لقدرة الجسم على التحمل.

قال الدراج الإسباني المعتزل، ميغيل إندورين، "تكمن قوتي في أنني أكثر توازنا وأكثر هدوءا من معظم راكبي الدراجات". ويذكر أنه حصل على الميدالية الذهبية في دورة الألعاب الأولمبية الصيفية سنة 1996، وعلى الميدالية الذهبية في بطولة العالم للدراجات الهوائية على الطريق سنة 1995، كما فاز بسباق طواف فرنسا خمس مرات، وبطواف إيطاليا مرتين.

متلازمة فرط التدريب

توفر لنا ممارسة الرياضة بانتظام فوائد لا حصر لها. ومع ذلك، يوصي المدربون بالحرص على عدم المبالغة فيها. من الناحية النفسية، تساعدنا الرياضة في الحد من الاكتئاب والقلق، وتسهّل التعامل مع جرعات التوتر اليومية، وتزيد من احترامنا لأنفسنا، وتحسّن علاقاتنا الاجتماعية. أما على الجانب المادي، فتساعدنا الرياضة في مواجهة السمنة واضطرابات القلب والأوعية الدموية.

المشكلة تكمن في قضاء حصص طويلة من التدريبات، فعندما نزيد من حدة التمارين ونقلل وقت الاستراحة بين الحصص، لا يضر ذلك بأدائنا الرياضي فحسب، بل يمتد أيضا لينعكس سلبيا على صحتنا.

يمكن أن يتجاوز الجسم حدود تحمله القصوى. يتسم هذا "الاحتراق" بأعراض معينة مثل التعب البدني أو العقلي أو تقلب المزاج أو اللامبالاة أو اضطرابات النوم. ويمكن أن تصبح هذه الحالة مزمنة، مما يؤدي إلى ما يسمى بمتلازمة الإفراط في التدريب.

يتجاوز الجسم حدوده إلى درجة أنه لا يستطيع التعافي من الجهود المبذولة خلال كل جلسة تدريب. ويمكن أن يتسبب هذا الانخفاض في الأداء الرياضي في وقوع الفرد في دوامة سلبية حيث سيرى أن انخفاض القدرة البدنية يرجع إلى قلة ممارسة الرياضة مما سيدفعه إلى الزيادة من حدة تمارينه. وتتفاقم آثار ذلك شيئا فشيئا.

تتجلى متلازمة فرط التدريب في التغيرات الفسيولوجية والنفسية وكل الأعراض التي تعكس سوء تكيف الجسم مع ما يجري. عامة، يعاني المصاب من أعراض مثل التعب والأرق وفقدان الشهية وفقدان الوزن بنسق غير صحي والصداع وآلام العضلات والالتهابات المتكررة واضطرابات الجهاز الهضمي وحتى انقطاع الحيض وهشاشة العظام. وبالإضافة إلى ذلك، سيزداد معدل ضربات القلب وضغط الدم مما سيرفع من نسبة استهلاك الأوكسجين داخل الجسم.

من الناحية النفسية، قد يعاني الفرد من الاكتئاب والتوتر واللامبالاة والإرهاق الذهني وقلة التركيز وعدم القدرة على تحقيق الاستقرار العاطفي والنظرة السلبية للذات.

كما تتجلى التغييرات في الأداء في انخفاض ملحوظ في القوة والقدرة على التحمل والسرعة والتوازن. وعادة ما تدفع هذه الأعراض الشخص المصاب بهذه المتلازمة إلى ارتكاب المزيد من الأخطاء. نتيجة لذلك، يصبح تحقيق الأهداف التي حددها لنفسه أكثر صعوبة.

نقلا عن موقع دويتشه فيله الألماني، يقول سابرينا جو، وهو مدرب رياضي، إن متلازمة الإفراط في التدريب تعتبر من أخطر الأشياء التي يمكن أن تؤدي إلى أمراض كثيرة مثل الاكتئاب والإجهاد والأرق وضعف المناعة. ويضيف أن "أول علامة على الإفراط في التدريب هي عندما يبدأ أداء الشخص في التمارين ينخفض مما تترتب عليه أعراض أخرى مثل اضطرابات النوم، وعدم وجود الحافز والمزاج المتقلب".

ويضيف جو بارك، جراح عظام بجامعة فيرجينيا، أن متلازمة الإفراط في التدريب تحدث في الغالب للرياضيين من النخبة. ولكن يمكن أيضا أن يصاب بها الرياضيون الهواة، مثل العدائين لمسافات طويلة. وربما يؤدي فرط التدريب إلى الإصابة بتمزق الأربطة والتواء الكاحل أو القدم وربما شعور بألم شديد في أجزاء متفرقة من الجسم. ويضيف بارك أن الألم الناتج عن التمارين الطبيعية يختلف عن ذلك الناتج من فرط التدريب ويجب التفرقة بينهما. فالألم الطبيعي يزول بعد ما يقرب من 10 أيام، أما إذا استمر فيجب استشارة الطبيب لتقييم حجم الإصابة.

كما أن ممارسة الرياضة الزائدة قد تتسبب في إصابة الجسم بالجفاف حيث يفرز الجسم العرق لتنظيم درجة حرارة الجسم، وزيادة فقدان الجسم للسوائل تتطلب زيادة كميات الاستهلاك اليومي لتعويض ما فقده. كما يتسبب الإفراط في التمارين في إفراز الجسم لهرمون الكورتيزول أو ما يعرف بهرمون الإجهاد مما يجعل الجسم عرضة للأمراض نتيجة إضعاف جهاز المناعة.

وبالنسبة إلى الرياضيات الإناث، يمكن أن يكون غياب فترات الحيض أيضا علامة على فرط ممارسة الرياضة. وعلى الرغم من أن معظم الإناث يعتبرن ذلك مريحا إلا أنه في حقيقة الأمر يسبب مشكلة في الهرمونات الأمر الذي تترتب عليه مشاكل صحية أخرى.

واتفق الخبراء على أن زيادة التدريبات تدريجيا هي إحدى الطرق لتجنب أعراض الإفراط في التمرين. كما نصحوا بعدم تكثيف التمارين لتعويض الأيام التي لم يتمكن فيها المتدرب من ممارسة الرياضة.

المتلازمة والاندفاعية

هوس التدريب يتسبب في ضغط الكثيرين على أجسامهم بدرجة تتجاوز حدود تحملها. وتصبح للرياضة بذلك آثار سلبية.

وقد وجدت دراسة حديثة أن التدريب المفرط يؤدي إلى زيادة في الاندفاع. ويمكن أن تكون لذلك عواقب سلبية على السلوك والصحة.

تعد الاندفاعية سمة سلبية تؤدي إلى التصرف بسرعة وبطريقة غير متوقعة وغير متناسبة مع المحفزات الداخلية أو الخارجية. لذلك، يتصرف الشخص دون تفكير ودون دراسة العواقب.

لقد نشرت مجموعة أبحاث فرنسية دراسة حول عواقب التدريب المفرط وتأثيره على الاندفاع، وعن كيفية تأثير النشاط البدني المبالغ فيه على التحكم المعرفي.

لذلك، قسّم الباحثون المشاركين في الدراسة إلى مجموعتين تدربت إحداهما أكثر من الأخرى. بمعنى آخر، شهدت مجموعة زيادة في فترة التدريب بنسبة 40 بالمئة لكل جلسة لمدة ثلاثة أسابيع، والتزمت الأخرى بفترة تدريب عادية خلال نفس الفترة. وبعد أسابيع، عُرض المشاركون على لجنة لتقييمهم. وقسّمت هذه الجلسة على النحو التالي:

خلال 50 دقيقة، كان على المشاركين الاختيار بين أمرين: كانت نتائج الأولى فورية وامتدت آثار الثانية على فترة أطول.

جلسة لقيادة الدراجات بأقصى سرعة ممكنة لمدة 45 دقيقة لإظهار آثار الإفراط في التدريب والإرهاق.

50 دقيقة لاتخاذ القرارات مثل المرة الأولى.

وشملت الجلسات التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي. وبهذه الطريقة، دقق الباحثون في استجابة القشرة الدماغية للوضعيات التي عرضت أمام المشاركين.

وركز الباحثون على نشاط القشرة الدماغية المسؤولة عن الاندفاع، وسجلوا نتائج القرارات حسب تأثيراتها الزمنية. وتم تضمين المهام المعرفية لتحفيز هذه المنطقة في الدماغ.

ومن خلال مقارنة نشاط الدماغ بعد 45 دقيقة من التمارين الحادة مع نشاطه خلال الفترة الأولى من الجلسة، وجد الباحثون انخفاضا في نشاط القشرة أثناء اتخاذ القرار. يعني هذا تأثير التدريب الزائد سلبا على اتخاذ القرارات.

تعدّ هذه النتائج مهمة لعدة أسباب. من ناحية، يساعدنا التريث لاتخاذ القرار الأنسب عوضا عن الاندفاع في كل وضع يمكن أن يواجهه الفرد. في الرياضة، سيؤدي التحكم المعرفي الأقل إلى إحساس أكبر بالأمان، مما سيؤدي إلى تجاوز حدود الجسم. بهذه الطريقة، قد تؤدي مواصلة التدريب وتجاهل الحاجة إلى الراحة إلى المزيد من الإصابات والسلوكيات المحفوفة بالمخاطر.

من ناحية أخرى، قد تؤدي هذه الرغبة في تحقيق الأفضل في أقل فترة ممكنة إلى الوقوع في فخ المنشطات ذات العواقب المباشرة على الصحة البدنية والنفسية. كما يمكن أن تهدم مسيرة الرياضيين المهنية حيث يعاقب كل من يثبت تعاطيه لهذه المواد لزيادتها في فرص نجاح الفرد الذي يستهلكها.

كما هو الحال مع معظم الأنشطة، يخلّف الإجهاد المتراكم الناتج عن التدريب المفرط عواقب سلبية على المدى القصير والطويل. ويجب تعزيز عادات نمط الحياة الصحية دون المبالغة فيها.

قال الرياضي الأميركي كارل لويس "إذا لم تكن واثقا بنفسك، فستجد طريقة للفشل كل مرة". ويذكر أنه تربّع على عرش ألعاب القوى من سنة 1979 عندما حقق أول تصنيف عالمي له إلى سنة 1996 حيث فاز بالميدالية الذهبية في الألعاب الأولمبية الصيفية.

وعرض التقرير الفرنسي مجموعة من الحلول التي يمكن القيام بها في حال الشعور بالإصابة بمتلازمة فرط التدريب.

في هذه المرحلة، يكمن أهم شيء في اكتشاف حدوث هذه المتلازمة في أسرع وقت ممكن. وبمجرد الشعور ببوادر أو علامات تنذر بدنو هذا الخطر، يجب ضبط عدة عوامل: فترة التدريب وحدته وفترة الراحة بعد كل جلسة.

من ناحية أخرى، يوصي المدربون بالتركيز على زيادة الفترة التي يقضيها الرياضي في التمارين المتنوعة والمسلية والاسترخاء. بالإضافة إلى ذلك، يجب على المتدرب أن يعمل على تحسين الدوافع التي تقوده إلى التدريب وعلى ثقته بنفسه.

قال السباح الأميركي مايكل فيلبس "لا يمكننا وضع قيود على أي شيء. كلما كنت تحلم أكثر، كلما ذهبت أبعد". ويعدّ فيلبس صاحب الرقم القياسي في عدد الميداليات الذهبية الأولمبية حيث حصل على 28 ميدالية منها 23 ذهبية وثلاث فضيات وبرونزيتان.

أخيرا، يجب وضع خطة يمكن من خلالها تنظيم الأعراض العاطفية المرتبطة بالمتلازمة، واستعادة أنماط الحياة الصحية بطريقة تكون فيها الراحة والوجبات الصحية من الأولويات

متلازمة فرط التدريب تضعف القدرة على التحمل

الاحتراق النفسي

أفادت دراسة سابقة أجرها خبراء مستشفى "بيتي سالبتريير" في العاصمة الفرنسية بأن التمارين الرياضية الكثيرة تشبه تأثير الاحتراق النفسي وتؤدي إلى إجهاد الدماغ.

وبينت الدراسة أن تجاوز الرياضيين قدرتهم وطاقتهم القصوى في ممارسة التمارين الرياضية لمدة ثلاثة أسابيع أدى إلى شعورهم بالإجهاد البدني وتعثر نشاط دماغهم.

كما أثبتت دراسة أخرى، أجراها باحثون من جامعة توركو في فنلندا، أن التمارين الرياضية المكثفة تساعد على زيادة إطلاق هرمون الإندروفين، والتأثير سلبا على الحالة المزاجية للإنسان.

وأجريت الدراسة على 22 من الذكور الأصحاء الذين تتراوح أعمارهم بين 21 و36 عاما قاموا على يومين منفصلين إما بتمارين رياضية معتدلة وإما بتمارين مكثفة.

ووجد الباحثون أن التمارين الرياضية المكثفة والعنيفة ارتبطت بزيادة مستوى المشاعر السلبية عند المشاركين، بسبب زيادة نشاط مناطق الدماغ المرتبطة بالشعور بالألم، بينما زادت المشاعر المرتبطة بالمتعة بعد التمارين المعتدلة.

> ممارسة الرياضة في الجيم أكثر من ثلاث ساعات يوميا مرتبطة بتأثير سيء على الصحة الذهنية أكثر من عدم ممارستها بالمرة

وخلصت الدراسة التي أجرتها كل من جامعتي بيل وأوكسفورد، ونُشرت في مجلة لانسيت للطب النفسي، إلى أن الأشخاص الذين يمارسون التمارين أقروا بأنهم يعانون من اعتلال صحتهم النفسية أقل بيوم ونصف اليوم، مقارنة بالأشخاص الذين لا يمارسون أي تمارين.

وفي حين يبدو أن جميع أنواع الأنشطة تحسن من الصحة النفسية، وُجد أن أكثر هذه النشاطات تأثيرا هي الرياضات الجماعية، وقيادة الدراجة، والتمارين الهوائية، والذهاب إلى النادي الرياضي، وفقا لأكبر دراسة قائمة على الملاحظة أُجريت حتى الآن.

وتوصل الباحثون إلى نتائجهم عن طريق تحليل بيانات 1.2 مليون شخص بالغ موزعين على الولايات الأميركية جميعها، وهم الأشخاص الذين أكملوا استبيان نظام مراقبة عامل الخطر السلوكي في أعوام 2011، و2013، و2015.

أخذت البيانات الخصائص السكانية بعين الاعتبار، بالإضافة إلى معلومات حول الصحة الجسدية، والصحة النفسية، والسلوكيات الصحية للمشتركين. ولكن، عدا الاكتئاب، لم يشمل الاستبيان معلومات عن اضطرابات الصحة النفسية.

طُلب من المشاركين تقدير عدد الأيام التي سيعطونها تقييما "غير جيد" بالنسبة إلى الصحة النفسية، استنادا إلى التوتر والاكتئاب والمشكلات العاطفية، وذلك أثناء الـ30 يوما الماضية. وقد سُئلوا كذلك عن عدد مرات ممارستهم للتمارين أثناء الـ30 يوما التي مضت، خارج نطاق عملهم المعتاد، بالإضافة إلى عدد ومدة مرات ممارستهم التمارين في الأسبوع أو الشهر، حسب الصحيفة البريطانية.

أخذ الباحثون بعين الاعتبار العمر والعرق والجنس والحالة الاجتماعية والدخل والمستوى التعليمي والحالة الوظيفية ومؤشر كتلة الجسم (نسبة وزن الجسم إلى طوله) والصحة الجسدية التي أبلغ عنها المشاركون بأنفسهم والتشخيص بالاكتئاب السابق.

وخلصت الدراسة إلى أن ممارسة التمارين لـ45 دقيقة في اليوم، من ثلاث إلى خمس مرات أسبوعيا، هو عدد الساعات الأمثل لممارسة التمارين من أجل الحصول على أفضل الفوائد للصحة النفسية. وقد وجدوا أن الشخص العادي عانى من اعتلال في الصحة النفسية لـ3.4 يوم كل شهر.

ومع ذلك، وبالمقارنة مع الأشخاص الذين أفادوا بعدم ممارسة أي تمارين، فالأشخاص الذين مارسوا التمارين أبلغوا عن تعرضهم لأيام أقل من سوء الصحة النفسية بمعدل 1.5 يوم كل شهر، بانخفاض بلغ نسبة 43.2 بالمئة.

وعلى الرغم من أن بعض الأنشطة اتضح أن لها تأثيرا إيجابيا أفضل من غيرها، فإن إكمال الأعمال المنزلية كان مرتبطا بانخفاض في الأيام ذات الصحة النفسية السيئة بحوالي 10 بالمئة.

> بان شاتو «إذا كنت تشعر بالإرهاق، فقد تكون تعاني من متلازمة فرط التدريب التي تبدأ عادة بالتعب وبألم في العضلات»

ولا تزال ممارسة التمارين لأكثر من 90 دقيقة في اليوم ترتبط ارتباطا وثيقا بانخفاض عدد الأيام التي تتأثر فيها الصحة النفسية أكثر من الأيام التي لا يمارس فيها الشخص التمارين على الإطلاق. لكن الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية أكثر من ثلاث ساعات يوميا كان مرتبطا بتأثير سيء على الصحة الذهنية أكثر من عدم ممارسة الرياضة بالمرة.

ويقترح المؤلفون أنه ربما يكون لدى الأشخاص الذين يمارسون قدرا هائلا من التمارين هاجس، يمكن أن يجعلهم أكثر عرضة لخطر أكبر يتمثل في اعتلال الصحة النفسية.

ويتابع الدكتور آدم شيكرود، أستاذ الطب النفسي المساعد بجامعة يال، وكبير العلماء في سبرينغ هيلث بالولايات المتحدة الأميركية، "اعتقد الناس سابقا أنه كلما مارسوا تمارين أكثر، كانت صحتهم النفسية أفضل، لكن تقترح دراستنا أن ذلك ليس صحيحا. فممارسة التمارين أكثر من 23 مرة في الشهر، أو ممارسة جلسات تمرين أكثر من 90 دقيقة يرتبط بصحة ذهنية أسوأ".

العلوم المبسطة في قوالب فنية تجتذب الشباب

نجوم جمهرة العلوم يرفضون اتهامهم بتسطيح المادة العلمية

استطاعت مجموعة من الشبان العرب، في دوائر منفصلة، تغيير النمط السائد عن تعقيد العلوم وعزلتها بإبداعات قدمت المادة العلمية في قوالب بسيطة، ووظفوا الإمكانيات التكنولوجية حتى بات للمادة العلمية جمهور عريض ينتظر حلقاتها بشغف، ويدخل في نقاشات حول العلم.

رحاب عليوة
كاتبة مصرية

انجذب الشباب على نحو لافت إلى العلوم بالمصادفة خلال الأعوام الماضية، فالعلوم لم تكن هدفاً مستقبليا لغالبية الشبان تماشيا مع الصورة النمطية السائدة حول تعقيدها وعزلتها عن العامة واقتصارها على المتخصصين، بينما يحسب الفضل في خلق جمهور عريض يُقدر بالملايين، وفق مشاهدات مقاطع علمية في غضون ساعات قليلة من بثها، إلى شبان أمثال هاشم الغيلي وأحمد الغندور وإيمان الإمام، ممن يصنفون كـ"متواصلين علميين".

ويقدم الثلاثة مادة علمية بتكتيكات مختلفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، في مقاطع فيديو تتراوح مدتها من دقيقة إلى نحو النصف ساعة أحياناً، وتعتمد في الأساس على تبسيط المادة العلمية وتقديمها في قوالب فنية أو بشكل جاد، لكنه جذاب.

وبفضل تلك الإسهامات، اكتشف جمهور مواقع التواصل الاجتماعي توظيفات جديدة لهذه المنصات التي غلبت عليها الأنماط الترفيهية والاجتماعية، واتهمت بإهدار الوقت دون فائدة، وأصبح لمتابعي تلك البرامج دفاعات جديدة عن المنصات الأقرب إلى جيلهم، فدونها ما كانت "الجينات والفضاء والنظريات الفلسفية" مادة لأحاديث في غرف المحادثات والمقاهي.

يتوجه كل من أحمد الغندور وإيمان الإمام إلى الجمهور العربي بطرق مختلفة عن هاشم الغيلي الذي استطاع خلق نموذج مغاير كشاب انتقل من دولة تعاني الحرب مثل اليمن إلى مجتمع علمي متقدم مثل ألمانيا ليبرز ويحتل المرتبة الرابعة من حيث عدد المتابعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، والمرتبة الأولى هناك في المحتوى العلمي.

الغيلي شاب يمني، تلقى دراسته الجامعية في باكستان في مجال التكنولوجيا الحيوية، وأكمل الدراسات العليا في ألمانيا في مجال الهندسة الجينية. ويقول لـ"العرب"، إنه بدأ ببث مقاطع فيديو باللغة الانكليزية في العام 2015 عن الغوص في آيسلندا، وهي منطقة تستطع فيها أن تلمس قارتين في آن، ليحقق المقطع 8 مليون مشاهدة.

مجال مغر

الغيلي نموذج مغاير للشباب اليمني

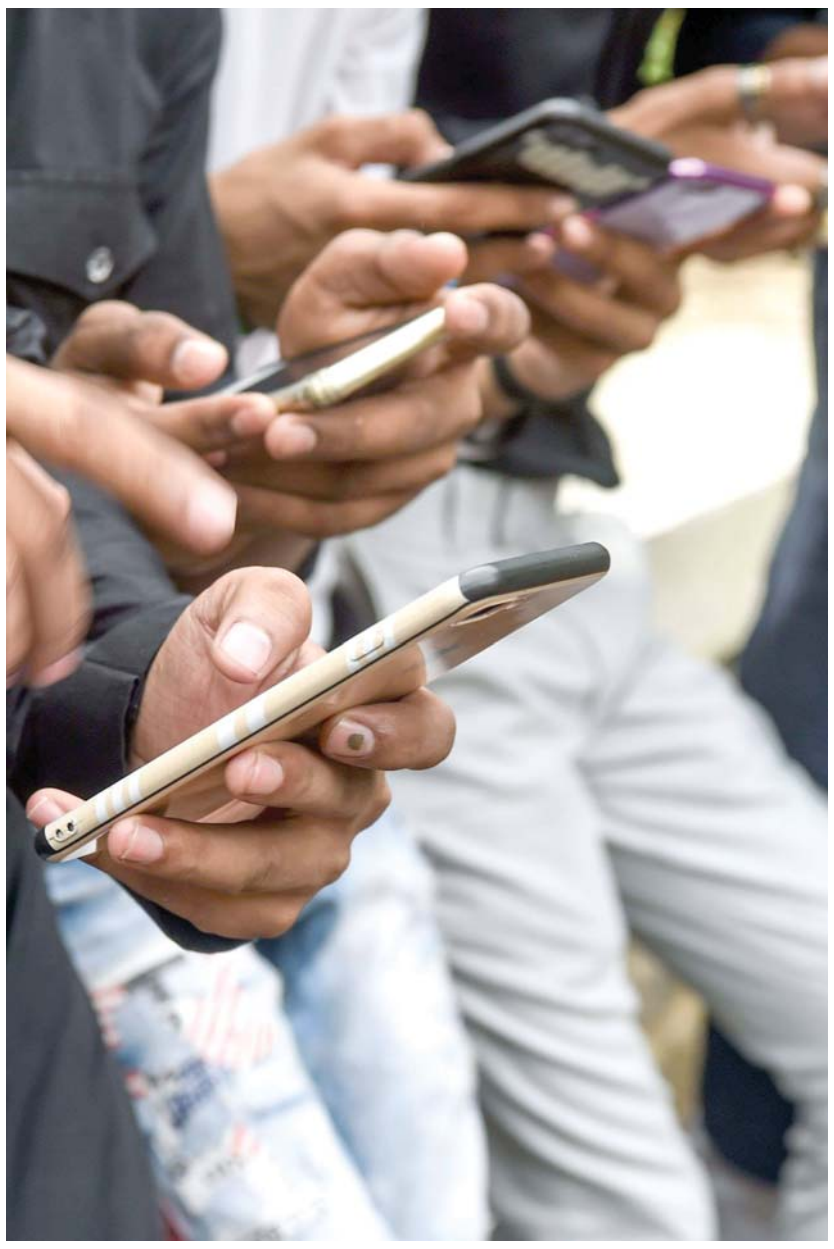

سحر الفيديوهات

قوالب جادة للعلم

حققت مقاطع الغيلي حتى الآن نحو 13 مليار مشاهدة، وتجاوز عدد متابعيه على موقع فيسبوك 32 مليون متابع، ويحتل العرب المرتبة السادسة بينهم، فيما يتقدمهم الأميركيون.

وأكد الشاب اليمني المقيم في ألمانيا لـ"العرب"، خلال زيارة للقاهرة للحديث حول تجربته في جمهرة العلوم والتحديات التي تواجه المجتمعات العربية، أن المادة التي يقدمها تعد الأكثر محافظة على طابعها العلمي وهي تعتمد قوالب جادة، ولا يظهر فيها عكس "الدحيح" و"الاسبتالية"، ما يجعله أقرب إلى الأفلام الوثائقية التي تقدّمها القنوات العلمية، لكنها أكثر جذباً لبساطتها وقصر مدتها.

وكشفت دعاء الدسوقي (29 عاماً) أنها قبل شهور تابعت بالمصادفة عبر مقطع شاركته إحدى صديقاتها؛ فيديو لـ"الدحيح" يتحدث عن العلاقات العاطفية السامة، وتقول "جذبني العنوان وشاهدت المادة ووجدتها تفسر بشكل منطقي بعض التصرفات التي عادة ما تثير تساؤلاتي وزميلاتي في أنماطنا السلوكية ولا نجد تفسيرا لها".

وذكرت لـ"العرب" أنها شاركت الفيديو مع زملائها، واسترجعت الحلقات السابقة فانبهرت بالمادة المقدمة وأصبحت من جمهورها، ولا تعلم هل تتابعها كمادة ترفيهية لتضحك أم لتستفيد من معلوماتها، فالشيق أنها تقدم الاثنين في وجبة واحدة.

وأوضح الغيلي، أن الوصول بالمادة العلمية إلى عدد أكبر من المتابعين توجه عالمي يرتبط بأسلوب عرض المعلومة، فكلما كانت مبسطة وجذابة بصريا استطاعت أن تصل لعدد أكبر من المتابعين.

ويتسم العلم بالتغير الدائم والتعقيد، غير أن الغيلي يؤكد أن مادته لا تنال من عمقه وتعقيده، وتتناسب مع طبيعة العلوم المتغيرة، بحيث يستطيع خلالها إطلاع المشاهد غير المتخصص على تلك التغييرات ووضعه في إطار الصورة.

ولفت الشاب اليمني، إلى تطور لافت تشهده التجمعات العلمية التقليدية بين أوساط العلماء، ممن باتوا أكثر حرصاً على تسويق موادهم، موضحا "يتواصل معي عدد من العلماء ليطلعوني على آخر أبحاثهم ويقترحون عمل فيديو حولها".

وتعكس إشارة الغيلي إلى التغيير المتبادل في وجهة النظر حول العلوم، حيث بات العلماء أكثر ثقة في قدرة الجمهور على استيعاب أبحاثهم المعقدة حال تبسيطها عبر وسطاء، وكذلك أضحى الجمهور أكثر شغفاً بتلك المواد.

ولا يقف التأثير عند حدود المتابعة، بل تنجح المقاطع التي تبث في تحقيق تغيرات في المعتقدات والأفعال، مثلاً حلقته حول "الأمصال واللقاحات".

وتسود المجتمعات الغربية تخوفات ومعتقدات خاطئة عن المصل واللقاح بصورة تتجاوز حتى المجتمعات العربية، ما دفعه لعمل مقطع عن طبيعتها وطريقة عملها وتتبعه تعليقات كثيرة تتحدث عن تغير وجهة نظرهم عقب المشاهدة.

ولا تعكس كل الرسائل التي تصل تعليقات إيجابية، إذ يتعرض للتهديدات والعنصرية أحياناً، منها ما ربطه بالإرهاب لمجرد كونه عربيا، حيث قالت إحدى الرسائل "وماذا بعد ذلك تهتف الله أكبر وتفجر أي شيء".

وتعد الشريحة الأكبر من المتابعين من الشباب، لكن الأمر لا يخلو من وجود أطفال بين المشاهدين، وما يمكن أن يحدثه ذلك من تغييرات في قراراتهم الدراسية والتخصصية وربطهم بالعلوم، كما تفيد بعض المقاطع في شرح مقرر دراسي ما فيستوعبه الطلاب على نحو أفضل، مثل المقطع الخاص بالخلية الجذعية.

وينظر الغيلي إلى الإنجاز الذي حققه بتواضع، قائلاً "هي مجموعة من المعايير يستطيع من يتابعها أن يحقق محتوى ناجحا يحظى بالمشاهدة في أي مجال كان، وحددها تحت اسم 'معايير الفيديو الممتاز' وهي: اختيار الموضوع بعناية، مدة الفيديو مناسبة لاستيعاب المستوى المعين للتركيز الذي يمكن أن يبذله الشخص على مواقع ترفيهية بالأساس مثل الفيسبوك، والموسيقى المختارة، والصور والفيديوهات المستخدمة".

واعتمدت مقاطع الغيلي خلال الأعوام الماضية على لقطات تصويرية موجودة بالأساس على مواقع معيّنة باشتراكات سنوية، بحيث يصبح عمله وفريقه المكوّن من 4 أشخاص، يتمثل في اختيار الموضوع وكتابة المادة وتوظيف المقاطع الملائمة والموسيقى، ودمج كل ذلك، ثم نشر الفيديو، علماً بأنه ينشر مقطعين في اليوم الواحد حول مواضيع مختلفة.

ويسعى الشاب اليمني إلى تغيير نمطه خلال الفترة القادمة، حيث تعلم تصميم "الرسوم المتحركة" (أنيميشن) لتوظيف مقاطع ذات بصمات خاصة، كما سيظهر في المحتوى بنفسه، بعدما كان في الكواليس.

بساطة أم تفاهة

تتضمن الخطط القريبة لهاشم الغيلي التوجه أكثر نحو المجتمعات العربية، عبر ترجمة المحتوى، في خطوة مليئة بالتحديات، فلن ينتقي مواضيع بعينها ويتجنب الأخرى خوفاً من الرفض المجتمعي لها، بل ينوي أن يخوض القضية بشكل كامل.

وهو سيترجم كل المحتوى، وما لا يتفق مع آراء وتوجهات مجتمع ما فليرفضه، وإن كانت الأمور لا تجري بتلك البساطة، فبعض المواضيع مجرد إثارتها قد تتبعه اتهامات بالكفر والإلحاد.

وكان اليوتيوبر أحمد الغندور مقدّم برنامج "الدحيح"، تعرض إلى حملة هجوم شديدة من الإسلاميين في يوليو الماضي، إثر تناول نظرية التطور في إحدى حلقات برنامجه، واتهم إثرها بنشر الإلحاد.

ويتوقع الغيلي أن تستغرق المجتمعات العربية وقتاً أطول للتحوّل إلى مجتمعات علمية، فالمحتوى المبسط يحدث تأثيراً لكنه بطيء جداً عربياً في ظل المعتقدات المتأصلة والعادات والتقاليد، فضلاً عن تساؤل هل يفكر ويدقق المتلقي أم يأخذ المقطع كترفيه وليس للتعلم، "ولو استفاد شخص واحد من المحتوى الذي أقدمه فأعتبره انتصارا، فقد يقود هذا الشخص الكثير من بعده".

ومن المنتظر أن تستفيد المجتمعات العربية ببطء مما يتابعه الشباب من مادة علمية مبسطة عبر تلك النوعية من البرامج، هي إشكالية جديدة. ويرى مهاجمو ذلك المضمون، وبعضهم من دارسي المواد العلمية وداخل الأوساط الأكاديمية، أن المحتوى المقدم "تهزيل وليس تبسيطا للعلوم واختزالا واضحا".

ويذهب هؤلاء إلى أن المضمون المقدّم لم ينل فقط من رصانة العلوم وتقديمها في قالب راسخ، لكنه منح العقل معلومات سريعة يأخذها المتلقي كمسلّمات ويبني عليها آراءه ومعتقداته، ويشيرون إلى طبيعة المتلقي "العرضي" أو "مشاهد الصدفة" الذي لم يقصد بالأساس مشاهدة مادة علمية، وغير متوقع أن تستثيره معلومة ما للبحث في خلفياتها والآراء المؤيدة والمعارضة، ويصبح لدينا جيل من الشباب يظن أنه علمي لمصادفة معلومات ما وتصديقها.

وسُئلت الطبيبة ومقدمة برنامج "الاسبتالية" إيمان الإمام على هامش ندوة في معهد غوتة الشهر الماضي حول "الصحافة والعلوم" وكانت إحدى المتحدثات فيه حول تهزيل برامجهم للعلم من إحدى المتابعات، فردت قائلة "هذا اتهام باطل، بل على العكس تخليق مهتمين جدد، أنا أمنحك معلومة وأثير تفكيرك حول قضية علمية ما، وهذا يفترض أن يدفعك لتلقي المزيد والبحث إذا لقي الموضوع اهتمامك، فتلك البرامج لا تلغي الكتب والدراسات والطروحات، هي فقط تحاول تقديمها للعامة".

قبل الإمام، رد الغندور على تلك الاتهامات عبر منشور على صفحة "الدحيح" على فيسبوك، قائلا "ناس كثيرون يقولون إن برنامج الدحيح سطحي، وردي هو الموافقة على ذلك".

وفسر أنه يسير وفق مبدأ "أعطني معلومة سريعة عن الموضوع ربما نال إعجابي... تريد حديثا غير سطحي توجد مؤسسات أكاديمية ودراسات عليا في الجامعات ورسائل لنيل الدرجات العلمية المختلفة، ومحاضرات عبر منصات تعليمية رقمية وكتب متخصصة ومصادر أنشرها مع الفيديو وأدع المشاهدين بإلحاح لقراءتها".

جمهور عرضي

أشار الغندور، الذي درس علم الأحياء في الجامعة الأميركية بالقاهرة، إلى مشقة العمل الذي يقدمه، "من الصعب بل قد يصل إلى المستحيل عرض كافة النظريات والأسباب والأدلة والعوامل ووجهات النظر والنقد في مقطع مدته 6 أو 7 دقائق"، منبهاً إلى الصعوبة التي يلاقيها في تحضير تلك المادة وصياغتها في شكل يحافظ على انتباه المشاهد، "دقائق عرض الحلقة قشور بالنسبة إلى تحضيرها".

وبغض النظر عن جدلية حجم التأثير الذي يمكن أن يحدثه هؤلاء الشباب في مجتمع لم يتجاوز الأمية الألف بائية، وتنتشر في وجدانه الخرافة والأساطير، فإن خلق جمهور، ولو عرضيا، وبحيل الدراما والنكتة والمؤثرات البصرية، للعلوم تغيير لافت وإنجاز ولو استغرق 20 عاماً كي نجني ثماره، وفق تقدير الشاب الغيلي.

بات العلماء اليوم أكثر ثقة في قدرة الجمهور على استيعاب أبحاثهم المعقدة حال تبسيطها عبر وسطاء في فيديوهات جذابة، وكذلك أضحى الجمهور أكثر شغفاً بتلك المواد

وتحولت تلك البرامج إلى استثمارات بالنسبة للشباب، وجنت لأصحابها رأس مال كبير وحولتهم إلى نجوم مجتمع بجهود شخصية بسيطة استطاعت جذب الانتباه، قبل أن تنتقل إلى خانة الاحترافية.

لكن قد يحدث تضليل من تلك النوعية من البرامج جلباً للربح، بحيث يتم تقديم مادة إعلانية كمادة علمية، وهو ما يجب رفضه.

ولفت مدير تحرير جريدة الأهرام المصرية، فتحي محمود، لـ"العرب"، إلى توظيفات سياسية يمكن أن تتم عبر تلك المواد التي يقدمها الشباب، على الرغم من تحفيزه الشديد لها، وتأكيده على ضرورة التوجه إلى ذلك المضمار وليس التعامل معه وفق الرؤية الأمنية.

وأضاف، أن قناة الجزيرة أصدرت منصة تفاعلية قامت بإنتاج برامج للمحتوى المنتشر عبر الإنترنت ممن حازوا الانتباه، ومثّل المحتوى العلمي جزءا كبيرا من المادة، ضمن محتويات أخرى كثيرة غير موجهة، لكنها وسط ذلك تدس برنامجا أو اثنين موجهين لأغراض معينة.

وأكد أن ثمة حوالي 20 مليون شاب مصري تُعتبر منصات التواصل الاجتماعي هي وسائل الإعلام الحقيقة بالنسبة لهم، متوقعا أن تنقرض البرامج الحوارية (توك شو) مستقبلاً ليسود نمط مقاطع الفيديو القصيرة المنتجة عبر المنصات الإلكترونية.

المجتمعات العربية من المتوقع أن تستغرق وقتا أطول للتحول إلى مجتمعات علمية، فالمحتوى المبسط يحدث تأثيرا لكنه بطيء جداً في ظل المعتقدات والعادات والتقاليد

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

صحافيات عربيات يكشفن محاولات ثنيهن عن العمل

نساء يتبوأن مواقع صنع القرار في خوض غمار الرسالة الإعلامية

نجاح بعض الصحافيات في الوصول إلى مراكز صنع القرار في عملهن بصحف عريقة لا ينفي ما تواجهه المرأة في قطاع الإعلام من أشكال مختلفة من الترهيب والعراقيل والحواجز التي تهدد بإضعاف تقدمها في عملها، أو وجودها في مناطق النزاع والصراعات، أسوة بزملائها الصحافيين الرجال.

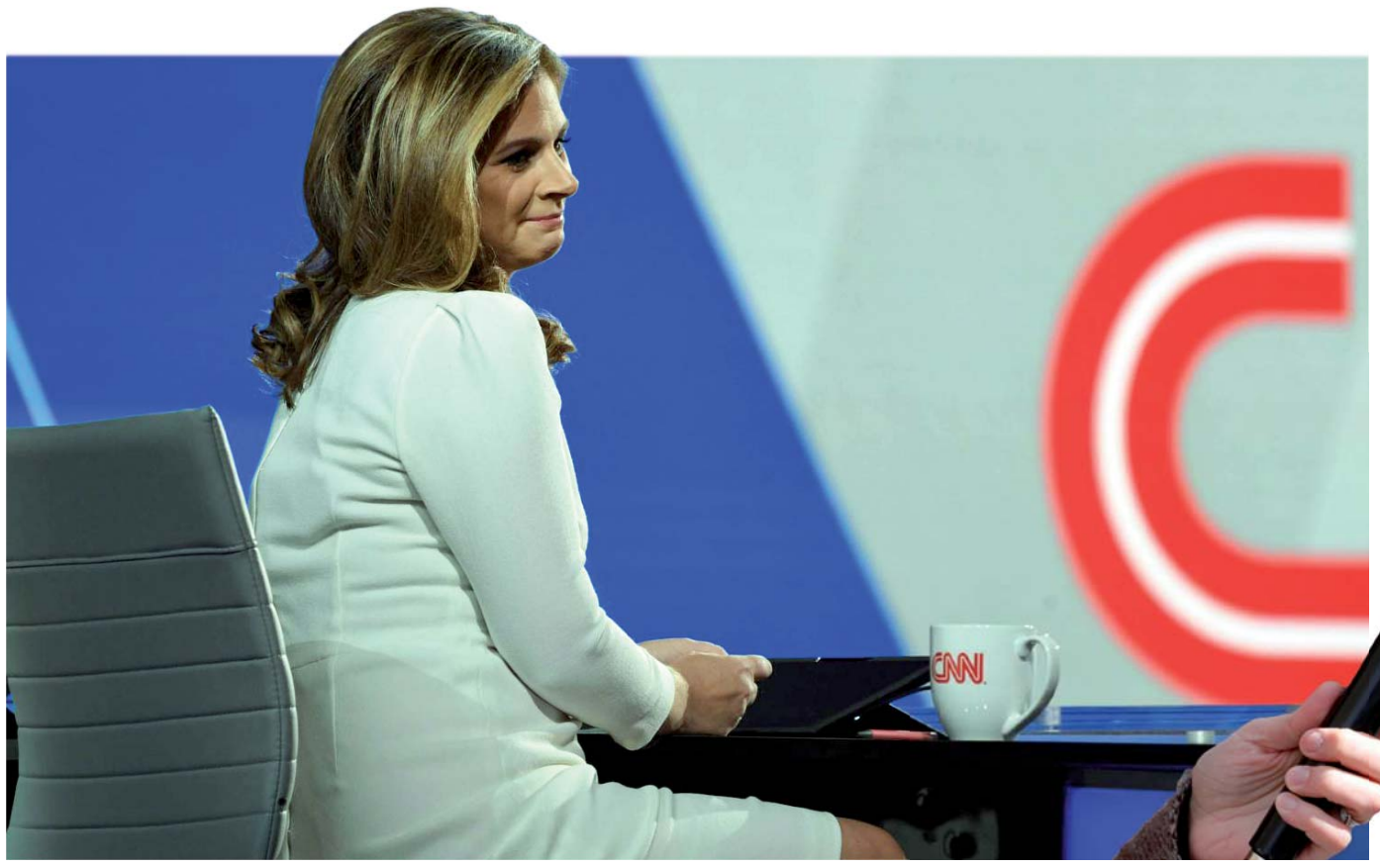

قدرة خفية على تحمل كل عقبات المهنة

لندن – أصبحت رولا خلف أول امرأة تتولى رئاسة "فايننشال تايمز" منذ بدء إصدار الصحيفة قبل 131 عاما، وبذلك ستنضم إلى كاثرين فاينر رئيسة تحرير صحيفة "الغارديان" لتكون ضمن قلة من النساء يتولين رئاسة تحرير صحف كبرى في بريطانيا، حيث كان هذا المجال يعتبر حكرا على الرجال.

وكانت خلف وهي لبنانية الأصل سعت خلال السنوات القليلة الماضية إلى زيادة عدد القراء من النساء وكذلك المحررات في أعرق صحيفة في العالم، والتي تضم أكثر من مليون قارئ مشترك في 2019 خصوصا عبر الإنترنت.

ومَثّل ترؤس سمية الجبرتي منذ خمس سنوات تحرير «سعودي جازيت» الناطقة باللغة الإنكليزية، حدثا كبيرا في بلد محافظ شغلت فيه النساء مناصب قيادية لكن رئاسة تحرير صحيفة يومية، كانت إنجازا جديدا بالنسبة للمرأة السعودية.

الجبرتي كانت استثناء حيث صنفت في عامي 2014 و2017 في قائمة أكثر مئة شخصية عربية تأثيرا في العالم من مجلة أريبيان بزنس.

واليوم خلف تحاول القطع مع الصورة النمطية للصحافية ليس من بوابة منصب رئيس التحرير فحسب، فقد سبق أن أكدت قدرة المرأة على مواجهة كل العقبات والعمل في قلب النزاعات، إذ عملت في الشرق الأوسط خلال ثورات "الربيع العربي"، في الوقت الذي ما زالت فيه مشاركة المرأة في القطاع الإعلامي محدودة، لاسيما في الدول العربية التي تعاني من أزمات وصراعات.

أزمة ثقة

بالرغم من حضور المرأة في قطاع الإعلام العربي، إلا أن وجودها مقترن بسلسلة من العقبات التي تحد من تقدمها في مجال العمل سواء أكانت بالصحف والمواقع الإلكترونية أم بالإذاعة والتلفزيون، كما أن نسبة مشاركتها في مراكز القرار الفعلي لا تزال متواضعة ولا تعكس الصورة الحقيقية التي تمثلها في هذا القطاع.

ويعد الحصول على منصب رئاسة التحرير أو العمل في مناطق النزاع أو تغطية المظاهرات والأحداث السياسية الكبرى، خطوة في طريق تحرير الصحافية من قيود فكرة هذا حكر على الرجال. حيث أظهر استطلاع للرأي أجري أغسطس الماضي على مستوى الاتحاد الأوروبي حول الأنماط الجندرية الأكثر شيوعا في جميع أنواع وسائل الإعلام، أن النساء أقل موثوقية من الرجال، وصورتهن نمطية (تركز على المنزل والأسرة) والأدوار الجنسية أو الأدوار المساعدة.

ووفقا لمنظمة "وان إيفرا"، فإن الإعلام يساهم في التأثير على المجتمع بشكل كبير، وبذلك عندما لا تتساوى النساء مع الرجال في الإعلام، تزيد مخاطر تعزيز الانحياز الجندري والصور النمطية على المستوى الاجتماعي. وإذا حصل ذلك، فلن يؤثر سلبيا على النساء فقط، بل على المجتمع ككل.

وأكدت عدة شهادات أن عمل المرأة في قسم الأخبار أو البرامج بالتلفزيون خاصة تحكمه عدة اعتبارات، إذ هناك من ينظر إلى الإعلامية على أنها فريسة سهلة وجسد جميل كان صكها للوصول إلى كرسي ذاك البرنامج أو تلك النشرة الإخبارية ومثل هذه الأفكار تجد صدى وجمهورا عريضا من المتابعين.

ومن هذا المنطلق لا يتم تقييم عمل المرأة وفق اجتهاداتها بل من منظور يركز على مدى جمالها وحرصها على المحافظة عليه كيفما كان سواء عن طريق عمليات التجميل أو التملق لأصحاب القنوات ورؤساء العمل من الرجال.

وخلصت دراسة أجريت من قبل قسم المتابعة الإعلامية في "بي. بي.سي" إلى أنه في دول متعددة شملت روسيا وإيطاليا وإيران وأوزبكستان وبريطانيا لم تكن الأخبار تهيمن عليها فقط أنباء عن رجال، ولكن الرجال كانوا عادة من يغطون الأخبار "الجادة" التي يمكنها أن تجلب الشهرة لمقدميها وكتّابها.

وغطى قسم المتابعة الإعلامية في "بي.بي.سي" في الدراسة المسحية أفغانستان وأذربيجان ومصر وإندونيسيا والهند وإيران وإيطاليا وكينيا والسعودية وبريطانيا وأزبكستان. ولوحظ في الكثير من الحالات، أن وسائل الإعلام تبرز مكانة الرجال أكثر من المرأة وتقدم ما يعطي شرعية لهيمنتهم المجتمعية على النساء.

هذه النتائج تتفق مع ما خلص إليه مشروع المتابعة الإعلامية الدولية، وهي منظمة غير حكومية كانت قد توصلت إلى أن النساء يمثلن 24 بالمئة فقط مما نسمع عنه في الأخبار على الرغم من أنهن يشكلن نصف عدد السكان.

كما يحظى الرجال بتمثيل أكبر بكثير من النساء في الصور التي تستخدمها المؤسسات الإخبارية الأميركية في القصص الإخبارية المنشورة على موقع فيسبوك، بحسب دراسة جديدة أعدّها مركز بيو للأبحاث.

وعزت الدراسة أسباب زيادة صور الرجال إلى أنّ هناك مواقف كثيرة يكتب عنها الرجال بشكل أكبر من النساء.

ووفقا لدراسة حول "تقييم واقع عمل الصحافيات في مؤسسات الإعلام الأردنية" صدرت في نهاية العام الماضي عن منظمة دعم الإعلام الدولي بالتعاون مع اللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة، في الأردن على سبيل المثال بلغت نسبة الصحافيات في وسائل الإعلام 23 بالمئة.

مواقف محرجة

أشارت الدراسة الأردنية إلى أن هذه النسبة من النساء العاملات بالقطاع الإعلامي على قلتها تعاني من معيقات متعددة ومتشابكة وتمييزية في مجال عملها، مؤكدة على أن 45 بالمئة منهن تعرضن للتحرش اللفظي أو الجسدي من قبل زملائهن ورؤسائهن أو من قبل مصادر معلوماتهن أو خلال عملهن الميداني.

يشكل التحرش الجنسي أبرز التجارب السيئة التي تقف أمام الكثير من الصحافيات والإعلاميات، وكانت المذيعة دارين الحلوي، مراسلة قناة "سكاي نيوز عربية"، تعرضت نوفمبر الماضي لموقف محرج حين قام أحد المتظاهرين بتقبيلها أمام عدسات الكاميرا أثناء نقلها لبث مباشر للتظاهرات في لبنان.

واستنكرت المراسلة عبر حسابها على تويتر ما حدث، حيث كتبت في تغريدة "توضيحا لما حدث معي خلال الرسالة المباشرة.. ولوضع الحد لكمية التنظير والتأويل للحادثة يخضع المراسل لضغوط كبيرة أثناء البث المباشر، وإن كانت ردة فعلي على القبلة فيها مراعاة للتغطية التي كنت أقدمها، فإنني أستنكر بشدة هذا الفعل المدان، وأرفض أن يتم تأويل ردة فعلي على أنها قبول به".

وهذه الحادثة ليست الأولى ولا الأخيرة، إذ فوجئت سارة ريفست، مراسلة نشرة أخبار محطة "ويف 3" المحلية في ولاية كنتاكي، سبتمبر الماضي، برد فعل غير متوقع من أحد المارة، أثناء تغطيتها لحدث موسيقي، حيث قام الشخص بمنحها قبلة سريعة وخاطفة على خدها.

وأكدت ريفست لاحقا في مقابلة تلفزيونية أن ما حدث معها لم يكن مضحكا، وقالت "لقد صدمت، فقد كنت أحاول تأدية وظيفتي ولم أستطع إيقافه، هذا الأمر أحرجني وجعلني أشعر بعدم الارتياح والضعف".

لكن إثبات ما يمكن أن تتعرض له الصحافية من تجارب سيئة أثناء أداء وظيفتها لا يعد أمرا سهلا، لاسيما إذا تعلقت المسألة بتعرض البعض منهن لأي شكل من أشكال التحرش الجنسي، فإنهن يفضلن الصمت.

تجاوز الصمت

لتجاوز كل أشكال الصمت دعت الصحافية اللبنانية-البريطانية زهرة هانكير 19 صحافية عربية وشرق أوسطية لتوضيح تجاربهن، وسرد قصصهن حول كيف يبدو الأمر عندما تختار طوعا الدخول في أكثر الصراعات خطورة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من أجل تقديم البعد الإنساني والثقافي للحروب التي تؤثر على الناس الذين يشاركونك الوطن والهوية.

الصحافيات ينحدرن من مصر وسوريا والمغرب واليمن والعراق ولبنان والسودان وليبيا ودول أخرى، وبعضهن يعملن أو عملن في مؤسسات إعلامية كبيرة مثل هيئة الإذاعة البريطانية "بي.بي.سي" و"نيويورك تايمز"، والبعض الآخر من المصورات المستقلات أو مديرات المواقع الصغيرة.

وقدمت هانكير في كتاب أصدرته باللغة الإنكليزية تحت عنوان "أور ومن أون ذا غراوند" (نساؤنا على الأرض)، هذه الشهادات المكتوبة بأقلام صحافيات تحدثن عن التحديات التي يواجهنها أثناء تأدية عملهن في بلدانهن، ويسردن استنكار المجتمع لاختياراتهن المهنية.

وقالت في تقديم الكتاب "يعمل في العالم العربي والشرق الأوسط عدد كبير من الصحافيات بلا كلل لصياغة روايات وتقارير دقيقة حول الأحداث المتغيرة في أوطانهن، وتواجههن خلال عملهن تحديات كبيرة ما بين التحرش الجنسي والتواجد في الخطوط الأمامية في مناطق الحروب والأزمات".

وكشفت الكاتبة عن الشجاعة والضغوط التي تؤثر على النساء ومن بينها إمكانية تعرضهن لمخاطر الوفاة والاغتصاب والتحرش والاحتجاز، عندما يغطين أحداث العنف.

وسردت الصحافيات كيف يتسللن إلى منازلهن وقد ملئت وجوههن بالكدمات من أثر الضرب، على أمل ألا يرى أحد أفراد أسرهنّ بقع الدم على ملابسهن. بالإضافة إلى أنهن يعانين من الإقصاء، والشعور بذنب النجاة، ونظرات المجتمع الذي يرفض فكرة الشعر المكشوف.

إنهن يتعرضن للإهانة والهجوم من الرجال.

وكانت المصورة الصحافية إيمان هلال تعرضت خلال اندلاع الثورة في مصر عام 2011، لضغط عائلي منعها من العمل، حيث رفضت والدتها السماح لها بالخروج من المنزل وأخفت المفتاح، خشية أن تتعرض للأذى.

ونجحت هلال في فك الحصار والخروج، لكن أسرتها أرسلتها في وقت لاحق إلى منزلها الريفي، بعيدا عن الحدث.

قضت الصحافية المصرية أربعة أيام في المنزل الريفي، شعرت خلالها أنها محتجزة، وخافت عند متابعتها للانتفاضة في ميدان التحرير عبر شاشة التلفزيون، من فقدان وظيفتها.

قدرة فريدة

رغم كمّ العراقيل تتمتع الصحافيات في العالم العربي بإمكانية وصول فريدة من نوعها إلى أماكن يعجز الرجال عن الوصول إليها، فهن يكسبن ثقة النساء الأخريات في مخيمات اللاجئين والعيادات والمساجد، وبالتالي هن قادرات على نقل الحقائق حول هذه الملفات للعامة، لكن كسر المعايير يكون مصحوبا بتحديات مستمرة.

وتعتبر الصحافيات المشاركات في الكتاب من بين أفضل المراسلات في المنطقة، وقد كتبن مقالاتهن بأسلوب بلاغي، بالإضافة إلى أنه تتم قراءة مقالات البعض منهن، مثل المراسلة الصحافية العراقية هانا علام، على نطاق واسع في الغرب، والبعض الآخر معروف عند القراء المحليين، فهن يقدمن تقارير من سوريا إلى السودان ومن الخليج إلى شمال أفريقيا.

ويوثق هذا الكتاب بصرف النظر عن انتشاره الجغرافي، مشاركة المرأة في تغطية النزاعات التي عادة ما تكون من اختصاص الرجال إعلاميا، ويأتي ذلك في وقت يتسم بأهمية خاصة، حيث يتم الاعتداء على الحقوق المتقاطعة للإعلام والنساء والمسلمين.

وقالت الكاتبة البيلاروسية سفيتلانا أليكسيفيتش "نحن جميعا 'أسرى' لمفاهيم الرجال عن الحرب، لكن النساء يروين قصصا مختلفة عن أشياء مختلفة. هؤلاء الصحافيات مطّلعات، ويجب عليهن التبديل بين الأمومة وتجنب القنابل.. تصبح القاعدة الصحافية المتمثلة في الاحتفاظ بالبعد عن المصادر مجردة، عندما يكونون هؤلاء زملاء الدراسة والأقارب والأحباء والمعلمين والجيران".

وكتبت المنتجة الإخبارية الليبية هبة شيباني التي شعرت أنها مضطرة لمغادرة بلدها الأم، لحماية ابنتها "أرى الآن كوني أصبحت أمّا هو إنجازي الأهم وأكبر مخاوفي".

كما تكافح النساء أيضا من أجل التوفيق بين لعب أدوار المواطن من الدرجة الثانية والدور المهني من الدرجة الأولى، حيث تشاجرت زينة رحيم، من سوريا، مع أسرتها بسبب عدم ارتدائها الحجاب. لكنها استسلمت في النهاية وغطت رأسها، وتمردت على "تلك الألوان المعتمة" بارتداء ملابس داخلية مبهجة ولونت حجابها بدبابيس ملونة.

وتساءلت رحيم "من كانت زينة؟ هل كانت زينة المرأة المطيعة والمتواضعة التي تطبخ في الأعياد في أوعية ضخمة لضيوفها؟ أم كانت زينة هي المرأة القوية والمتحررة التي تحدت المجتمع من حولها بعد أن أصبحت أول صحافية"؟

تمزقت الكثيرات منهن بين الشعور بالواجب والإرهاق، ويذهبن إلى حدود مؤلمة من أجل البقاء. سافر العديد منهن إلى الخارج، بما في ذلك ندى بكري مراسلة نيويورك تايمز، فبعد وفاة زوجها وزميلها أنتوني شديد في مهمة صحافية في سوريا، غادرت منزلها في بيروت وانتقلت على بعد آلاف الأميال من كل ما هو مألوف.

> الصحافيات في العالم العربي يتمتعن بإمكانية وصول فريدة من نوعها إلى أماكن يعجز الرجال عن الوصول إليها، فهن يكسبن ثقة النساء الأخريات في مخيمات اللاجئين والعيادات والمساجد، وبالتالي هن قادرات على نقل الحقائق حول هذه الملفات للعامة

وأكدت بكري "لا أستطيع حساب آخر ست سنوات من حياتي. لقد أجبرت نفسي على العزلة التي تملكتني لدرجة لا أستطيع الآن التحرر منها".

ويطارد النزوح كذلك مراسلة "بي. بي.سي" لينا سنجاب، التي فرت من دمشق إلى بيروت.

اتخذت سنجاب قرارا صعبا بعد تحمل العديد من الاعتقالات والتهديدات وإدراجها في قوائم سوداء وفرض حظر على سفرها لمدة عام. وتقلصت دائرتها الاجتماعية بعد سجن الأصدقاء وإطلاق النار على الأقارب.

وتجلس سنجاب الآن في شرفتها تراقب البحر، ولا تعرف أين تنتمي. تشعر أنها عاجزة، غير قادرة على حماية موطنها الحبيب ووقف تيار القتل هذا.

كما غادرت أسماء الغول غزة متجهة إلى فرنسا، وتكتب أن كونها صحافية في فلسطين، جعل منها مطلّقة وأما وحيدة وهي بعمر الـ35. قتلت الصواريخ الإسرائيلية تسعة من أفراد أسرتها.

وتقول الغول "في خضم الحرب، تقوم بكتابة التحقيقات وتكتب قصة تلو الأخرى، لكنك تفقد قصتك الخاصة وسط كل هذه التفجيرات".

لكن هنا، في هذا المجلد القيم، تستعيد الغول قصتها وحكاياتها.

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

روتين العناية بالبشرة يحميها من تأثيرات الشتاء

مختصون يقدّمون حلولا عملية لتجنب جفاف البشرة واحمرارها بسبب البرد

يؤذي موسم الشتاء البشرة بسبب البرودة والجفاف فتحمر أو تظهر عليها القشور والتشققات. ويرى خبراء التجميل أن اعتماد روتين صحي للعناية بالبشرة باختيار مستحضرات ومواد عناية مغذية قادرة على مواجهة البرد بفاعلية خلال فصل الشتاء، كفيل بتحويل موسم البرد إلى فرصة لتجديد معالجة البشرة.

باريس – يمر الجلد إلى حالة من الجفاف بمجرد انخفاض درجات الحرارة، يتأثر بالبرد والهواء الجاف وتعاني البشرة من التشقق والتقشير، ما يجعل إهمال العناية بها ومساعدتها على مقاومة الجفاف يزيد الوضع سوءا فتظهر الالتهابات الجلدية والخدوش، كما تتجمّد الدهون التي تشكل السطح الواقي للبشرة، ما يجعل الجلد يصبح أكثر خشونة ويمكن أن يتشقق ويتسبب في ظهور الحكة لذلك ينصح أطباء الجلد والمختصون في العناية بالبشرة بالمداومة على اتّباع روتين لترطيبها وحمايتها من تأثيرات موسم الشتاء.

■ مواد غذائية مرطّبة

تدعو العديد من العلاجات الرائجة حاليا إلى اعتماد مواد غذائية لتغذية البشرة، ويمكن الاستعانة بالكريمات المعدة من مستخلصات الخضر أو التي تحتوي على البيض أو الحبوب لكنها تظل غير كافية لحماية البشرة من تأثيرات البرد.

ويرى ليونيل دي بينيتي، أخصائي التجميل، أنه لتغذية خلايا الجلد، بالمعنى الدقيق للكلمة، من الضروري تزويد الجلد بالأحماض الأمينية في المقام الأول، فهي تتدخل في التفاعلات بين الخلايا ويجب توفيرها في شكل أحماض أمينية أو ببتيدات (سلاسل صغيرة من الأحماض الأمينية) وليس عن طريق البروتينات، لأن جزيئات البروتين كبيرة جدا بحيث لا يمكن للجلد أن يستفيد منها كما يلزم.

ويلفت دي بينيتي إلى مادة مغذية أخرى مثيرة للاهتمام لتعزيز الخلايا وهي فيتامين سي، مؤكدا ضرورة الانتباه عند اختيار الشكل الذي تكون عليه لأن تركيبتها غير مستقرة ويمكن أن تتأثر بوجود الماء أو الهواء. ويؤكد، بحسب مجلة الصحة الفرنسية، أنه يجب تقديم فيتامين سي للبشرة في شكل مسحوق للخلط قبل الاستعمال مباشرة.

■ الزبدة النباتية للمناطق الجافة

لا تحمي الثياب البشرة من الجفاف ولا تعني كثرتها عدم الإحساس بالبرد ولا تعزل الجلد عن تأثيرات الطقس، ويميل كثيرون إلى ارتداء الملابس الضيقة سواء السراويل أوالجوارب الطويلة، أوالسترات الداخلية، ولكنها لا تحمي الجلد بقدر ما تمنع الخلايا من التنفس وتسبب انقباضا في الأوعية، ما يضاعف الجفاف الذي يسببه البرد للجلد. وتصبح المناطق الأكثر تعرضا للاحتكاك مع الملابس مثل المرفقين والركبتين، جافة جدا، الأمر الذي يدفعنا إلى التفكير في تغيير مستحضرات ومواد الترطيب المستعملة.

ويعتبر الأخصائي في التجميل جيرار رادزينياك أن الزيوت والزبدة النباتية والتي تزداد صلابة مع البرد مثل زبدة الشيا أو زيت جوز الهند، مثيرة للاهتمام لأنها تتجمع على سطح الجلد وتشكّل حاجزا "صلبا" عازلا يعزز حاجز الدهون الطبيعي الذي تتراجع فعاليته بمفعول البرد، فتشكّل نوعا من الطبقة القرنية وهي نوع من المستحلب يتكوّن من مواد دهنية مختلفة. ولا ينصح بعدم استخدام هذه الزبدة أو الزيوت النقية فحسب، بل بالمستحلبات التي تربط بين أصول الدهون المختلفة أيضا.

■ كريم مقاوم للصدمات الحرارية

يعدّ مرور البرودة المفاجئ خارج حرارة التشقق عدوانيا جدا على البشرة، خاصة عندما تكون حساسة؛ فتتمدد الأوعية الدموية بسرعة، وينتج احمرار الخدين ونشعر بارتفاع درجة حرارة الجلد، وهو ما يمكن أن يزيد من الجفاف. وتشعرنا الرياح الباردة في الهواء الطلق بعدم الارتياح. وفي الأيام التي تقضي فيها الوقت في الخارج، وبين الداخل والخارج، فكّر في تغطية نفسك جيدا.

> يتم اختزال المكياج في دوره التجميلي في حين أنه يتمتع بنقاط قوة حقيقية لتوازن البشرة، ويعتمد ذلك على حسن اختيار كريم الأساس المناسب لفصل الشتاء

وتنصح الصيدلانية كلير تيرلير، باعتماد كريمات الترطيب الغنية بالمياه، مثل الجليسرين الذي يضم عشرة أضعاف وزنه من الماء، لذلك فهي مهمة للحفاظ على رطوبة البشرة، وأيضا لتهدئة التهيج والاحمرار وآثار الحرارة. ويمكن استخدام المنتجات التي تهدّئ الجلد وتقلل من التفاعل والالتهابات. وكلما كان المناخ أكثر برودة، أصبح الجلد أكثر جفافا. والحل الأمثل هو اختيار مواد غنية بالدهون.

وفي حال التعرض لنزلات البرد الشديدة، يمكن الزيادة في استخدام مرطبات البشرة وخاصة على الخدين والتي تمثل حاجز الجفاف إذا كان بالإمكان استخدام علاجات مهدئة في الصباح والمساء. ويتم تطبيق علاجات الحاجز في الصباح كطبقة نهائية. ويمكن إعادة تطبيقها في النهار، إذا كان الجلد مشدودا أو محمرا بشكل مفرط.

■ ماسك مريح ومقوّ

يطلق هذا الماسك تركيزات عالية من المكونات المغذية ويرطب البشرة بشكل سريع، مع فترة تطبيق ما بين عشر إلى ثلاثين دقيقة حسب التركيبة. ولكنه لا يحل محل روتين العناية اليومية، بل يكمّله. ففصل الشتاء يعني التعايش مع عدم الراحة المرتبطة بالجفاف والخطوط الدقيقة الناتجة عن جفاف الجلد الذي يسعى الكل إلى معالجته وتجنّبه.

وتوصي أخصائية التجميل صوفي ستروبيل باستخدام مادة السليلوز الحيوي للحصول على الترطيب العميق وهي الأفضل في ذلك فأليافها أرق بثلاثين إلى أربعين مرة من تلك المستخدمة في الأقنعة القطنية ويمكن أن يمتصها الجلد أكثر وهي تتعمق في خلايا الجلد إلى المليمتر. ومن ناحية أخرى، من الصعب دمج الدهون، وبالتالي فإن الأقنعة "الصلبة" تلبي الاحتياجات الجلدية الكثيفة للماء.

وفي فصل الشتاء، تتكيّف هذه الماسكات الدهنية تلقائيا مع البشرة الدهنية. أما من لديهم جلد جاف فعليهم اعتماد كريمات عناية عالية الدهون. وتعد أقنعة الكريمة التقليدية الأنسب للبشرة الجافة.

ترطيب البشرة ضروري

■ كريم أساس واق

غالبا ما يتم اختزال المكياج في دوره التجميلي في حين أنه يتمتع بنقاط قوة حقيقية لتوازن البشرة، ويعتمد ذلك على حسن اختيار كريم الأساس المناسب لفصل الشتاء والذي يختلف كليا عن المستخدم في الصيف. وفي فصل الشتاء، حتى أولئك الذين لا يحبذون المكياج لديهم منفعة في تطبيق كريم الأساس بقوام كريمي نسبيا. وتوفر تقنيات اليوم طبقة واقية وراحة دون الحاجة إلى سمك. يجب وضع كريم الأساس بعد كريم يومك مباشرة حتى يندمج الاثنان معا في انسجام.

ويؤكد الأخصائي في التجميل جيرار رادزينياك أنه رغم انتقاد الكثيرين لمادة السيليكون في كريم الأساس فإنها في فصل الشتاء تفرز "فيلما" (واقي حماية) رقيقا يحمي البشرة بفضل الزيوت الاصطناعية لكن مع تطبيقها دون زيادة لكي لا تسد المسام، وبذلك توفر حاجزا ضد التبخر والجفاف. كما يجب تشكيل العازل المثالي الذي يجب أن يحتوي أيضا على زيوت نباتية مطهرة تعزز الحاجز الجلدي الطبيعي.

■ مزيل ماكياج يناسب الشتاء

البرد والرياح والهواء الجاف بجانب تقلبات درجات الحرارة عوامل تهاجم حاجز الجلد وتضعفه لذلك يجب أن لا يضاف إليها مزيل الماكياج كعنصر مؤثر سلبا على البشرة. ومن الأفضل التخلي عن جيل التنظيف ذي الرغوة، والمياه غير الجيدة لأنها تترك أثرا غير مريح على البشرة. ويعد استخدام الحليب حلا مثاليا، لكن يجب الأخذ بعين الاعتبار عند اختيار نوعه بين الأكثر أو الأقل ثراء بالدهون وفقا لطبيعة البشرة. يمكن لأولئك الذين يحبون ملامسة الماء شطفه في الحمام أو المراهنة على استخدام الكريمات اللطيفة.

وفي جميع الحالات ، يمكن استخدام المياه التي تتم تصفيتها لتجنب تأثير الجفاف والتهيج الذي تسببه المواد الكلسية أو الجيرية في المياه. وفي الصباح، يكفي استعمال قطن منقوع في ماء الأزهار بعد أن استعاد الجلد تشكيل حاجز الحماية خلال الليل، ومن المفيد الحفاظ على هذا الحاجز في النهار لمواجهة الأجواء الباردة.

المبالغة في صبغ الشعر تتلفه وتضرّ بالصحة

القاهرة – يلجأ الكثيرات لاستخدام صبغات الشعر رغبة في الحصول على طلة مختلفة ومواكبة للعصر عبر تغيير لون الشعر، وهو ما قد يعرضهن في ظل كثرة استخدام تلك الصبغات لأضرار جمالية وصحية، فقد تؤدي صبغات الشعر إلى الإصابة بالتهابات حادة في الجلد وفروة الرأس، كما أنها تتسبب في تلف الشعر وإصابته بالتقصف والخشونة، لأنها تحتوي على مواد كيميائية تقوم بتغليف الشعر من الجذور وحتى الأطراف، حتى في تركيباتها البيو الرائجة اليوم. وتحتوي بعض أنواع الصبغة على مادة الرصاص الكيميائية التي تضر بالشعر وتؤثر على العظام. وتقول الأخصائية في التجميل بسمة المصري، إن هناك أنواعا عديدة من صبغات الشعر التي تحدث أضرارا خطيرة خاصة عند المرأة الحامل، ومن أبرزها ما يسمى الصبغة التدريجية، وهي عبارة عن غسول يتم وضعه على الشعر مباشرة، بداية من الجذور وحتى الأطراف، ولكنها لا تدوم طويلا، حيث يختفي مفعولها بمجرد انتهاء اليوم، ومن ثم تلجأ المرأة إلى استخدامها ثانية في اليوم التالي، ومع تكرار عملية الصبغ يتم الحصول على درجة اللون التي تريدها.

التلوين لا يخلو من مخاطر

وتوجد الصبغة المؤقتة وتسمى هكذا، لأنها توضع عبر بخاخ يقوم بنثر رذاذ اللون السائل على سطح الشعر، وبالتالي لا تصل إلى فروة الرأس، لذلك يمكن إزالتها بسهولة بمجرد غسل الشعر بالماء، الأمر الذي يحد من تأثيراتها الضارة على الشعر والجسم.

كما توجد أيضا صبغة أخرى من صبغات الشعر تسمّى الحجر الأسود، تقوم بإضفاء اللون عليه بمجرد تمريرها لبضع دقائق على الشعر، ورغم ذلك تظل لأوقات ممتدة دون أن يتأثر اللون، وهذا ما يميزها عن بقية الصبغات الأخرى من جهة، ويدفع إلى تجنبها من جهة أخرى، حيث أن بقاءها يتسبب في تمركز المواد الضارة التي تحتوي عليها داخل فروة الرأس.

> مادة الرصاص الموجودة في صبغات الشعر، والتي تثبت الألوان لفترة ممتدة، تؤثر سلبا على الشعر وأيضا على الصحة

هذا بالإضافة إلى الصبغة الدائمة، وتسمى هكذا لكونها تدوم طويلا على الشعر وتصمد حتى بعد غسله غير أنها تحتوي على مواد ضارة بصورة أكبر.

ويشير استشاري الأمراض الجلدية، حاتم غريب، إلى أن صبغة الحجر الأسود من الأنواع التي تحتوي على مادة كيميائية شديدة الخطورة تسمى "بارا فيني لاين دايامين"، تمنح الشعر أو الأظافر لونا شديد السواد خلال وقت قصير جدا، نظرا إلى قدرتها على التأثير في الجلد والشعر، ومن أبرز أضرارها أنها تتسبب في تراكم المواد السامة أسفل فروة الرأس ومع استمرار الاستخدام، وبالتالي تعزز من امتصاص بقية أجزاء الجسم لهذه المواد، كما قد تتسبب في تلف خلايا الجلد.

ويؤكد غريب، أن بعض أنواع صبغات الشعر التي تحتوي على مادة "الأنالين"، وهي مادة مسرطنة، تتمركز داخل الجسم بالاستمرار الدائم للصبغات، مشيرا إلى أن جل الصبغات تسبب الجفاف في الشعر وفروة الرأس.

وتحتوي بعض صبغات الرأس على مادتي الأمونيا والنشادر، وهما تصيبان الجهاز التنفسي. كما أن مادة الرصاص الموجودة في صبغات الشعر، والتي تهدف إلى تثبيت الألوان لفترة ممتدة، تؤثر سلبا على الشعر وأيضا على الصحة عموما وخاصة إذا استخدمتها المرأة الحامل.

كيف تعطين حجما أكبر للشفاه الرفيعة

لندن – تنزعج الكثير من النساء من الشفاه الرقيقة أو الرفيعة بالنظر إلى حقيقة أنه مع مرور الوقت تصبح الشفاه جافة وتفقد حجمها وشكلها وقد تعطي مظهرا حزينا للوجه. ويتساءلن عن كيفية إبراز الشفاه وجعلها تبدو ممتلئة.

توجد العديد من الحلول لتكبير الشفاه الرقيقة من خلال الماكياج، وذلك عبر توحيد لون البشرة حول الشفاه باستخدام القليل من كريم الأساس، للحصول على لون بشرة متجانس مع تغطية العيوب حول محيط الفم، وبذلك تخلق خلفية جميلة لإبراز الشفاه. بعد ذلك يسلّط الضوء على تقويس الوجه والذقن بإضافة الهايلايتر فوق الفم وعلى خطوط القوس ما يضفي حجما أكبر لهذه المنطقة. ونفس الشيء نطبّقه على الذقن، حيث نوزع بأحد الأصابع الهايلايتر لإلقاء الضوء على أسفل الوجه.

ويوصي خبراء التجميل بعدم تحديد حافة الشفاه في مرحلة أولى والبدء بتطبيق لون أحمر الشفاه في الوسط من دون إعادة رسم شكل الشفاه بقلم التحديد أو الكونتور خاصة في الشفة السفلية، ويمكن استعمال أقلام الجامبو لأنها الأفضل في التطبيق دون رسم حدود الشفاه بخطوط غامقة.

ولصاحبات الشفاه ذات الخطوط الرأسية الحادة والبارزة يوصي المختصون في التجميل بتنعيم أطراف الشفاه البارزة عبر تغطيتها بلون موحّد مع محيط الفم والشفتين، وهو ما يمنحها شكلا أكبر مع ملء الفراغ بين الخطوط الرأسية للشفة العلوية بواسطة قلم تحديد باللون الوردي الطبيعي.

اختاري الألوان البراقة التي تمنحك مظهرا عصريا بإضافة مثبّت ملون، ويجذب اللون البراق الانتباه للشفاه ما يجعلها تبرز أكثر في الوجه وتبدو بالتالي أكبر. ويجب اختيار ألوان براقة وجذابة مثل الفوشيا والأحمر الفاتح والتخلي عن الألوان الداكنة مثل البنفسجي والبني لأنها تُظهر رقّة الشفاه.

> حركات تسهّل الحفاظ على الشفتين، منها تجنّب التنفس عن طريق الفم وتجنب التدخين وتغطية الشفاه بالفازلين

وتساعد العناية بالشفاه في تكبيرها ويشير خبراء التجميل إلى أهمية تقشيرها دائما للحصول على اللون الوردي، كما يساهم التقشير بشكل دوري في تكبير حجم الشفاه بمرور الوقت.

ويتم التقشر بانتظام عبر مسح محيط الفم والشفاه بانتظام بمنتج للوجه ذي حبيبات دقيقة مخصصة للاستعمال على الجلد الرطب، ويكون ذلك عبر حركات دائرية متجانسة بالأصابع، دون ضغط على الجلد. ويحفّز التقشير تجديد الخلايا والشعيرات الدموية وينشّط البشرة وينعّمها. ويمكن القيام به لـ3 أو 4 أيام على التوالي.

كما يحفّز قضم وحكّ الشفاه بخفة الدورة الدموية ويغذي الخلايا ويعزز لون الشفاه، ويتم ذلك مرة أو مرتين في اليوم بعد وضع بلسم مغذّ ومرطب بحيث تصبح الشفاه مرنة للغاية ولا تتشقق. وينصح باستخدام كريم أو زيت للترطيب يوميا في الصباح، وتوزيعه لتلطيف الشفتين لكن دون الضغط على الجلد.

ويمكن استخدام العلاجات وبعض أنواع الحقن لتكبير حجم الشفاه، وذلك عن طريق مختصين وأطباء تجميل. ويمكّن حقن حمض الهيالورونيك مثلا لإزالة تجاعيد الشفاه، وهنا لا يتعلق الأمر بمنح حجم كبير، وإنما بالتخلص من ظهور الخطوط القبيحة على الشفتين.

وهناك حركات بسيطة تسهّل الحفاظ على حجم الشفتين منها تجنب التنفس عن طريق الفم وتجنب التدخين المسؤول عن الشيخوخة المبكرة لمحيط الفم والشفتين. وتغطية الشفاه في الصباح والمساء بالفازلين لحمايتها من التشقق.

الهايلاتر حل سحري

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

«سفاح جديد» في العراق يحمل لواء الأسطورة حسين سعيد

مهند علي فرس رهان «أسود الرافدين» لمعانقة خليجي 24

دائما ما تكون كأس الخليج العربي لكرة القدم بمثابة المكان الملائم والمناسب لميلاد النجوم وتألقها، والكثير من اللاعبين الموهوبين الذين كتبوا شهادات ميلادهم الكروية خلالها. ومع تواصل العرس الخليجي بالعاصمة القطرية الدوحة، تكثر التوقّعات بمن هم النجوم المرشحون للتألق، أو بالأحرى لتقديم أنفسهم على الساحة الخليجية بصورة مميزة.

مواهب «خليجي 24» تحت المجهر

الدوحة – يواصل عشاق كرة القدم العربية والخليجية التمتع بالإثارة والتشويق اللذين تشهدهما مباريات بطولة كأس الخليج العربية على ملاعب الدوحة. وتستمر منافسات بطولة كأس الخليج العربي بنسخته الرابعة والعشرين "خليجي 24" حتى يوم 8 ديسمبر القادم بمشاركة 8 منتخبات خليجية.

وتضم المجموعة الأولى في خليجي 24؛ الإمارات والعراق واليمن وقطر، بينما تشمل المجموعة الثانية منتخبات الكويت والسعودية والبحرين وعمان. ودائما ما تشهد بطولة كأس الخليج العربي منذ بدايتها على تألق العديد من اللاعبين مثل مهاجم منتخب الكويت جاسم يعقوب هداف البطولة برصيد 18 هدفا، وغيره من النجوم مثل السعودي ماجد عبدالله والعراقي حسين سعيد.

> العديد من الأندية العالمية الكبيرة، تتسابق من أجل الظفر بخدمات الموهبة العراقية، بعد وصول أكثر من عشرة عروض أوروبية، وكانت أهم العروض من ناديْ يوفنتوس الإيطالي ومانشستر سيتي الإنكليزي

ويتوقّع الكثيرون أن يكون مهند علي نجم المنتخب العراقي أحد المرشحين بقوة للظهور في البطولة، حيث أنه إحدى أهم المواهب الصاعدة الواعدة في الكرة العراقية في السنوات الأخيرة، وتألق بشدة مع منتخب بلاده في كأس آسيا الأخيرة، وهو هداف أسود الرافدين في التصفيات المشتركة. وهذه النسخة أيضا هي الثانية التي يظهر فيها مع المنتخب العراقي، وهو مرشح لأن يكون من بين أبرز اللاعبين في البطولة، وكذلك المنافسة بقوة على لقب الهداف.

أمل الأسود

يتطلع المنتخب العراقي إلى تحقيق مشاركة جيدة ومميزة في "خليجي 24" بالدوحة. ودخل منتخب العراق بطولة الخليج بقائمته الكاملة الأساسية، باستثناء اللاعبين بشار رسن المحترف مع فريق بيرسبوليس الإيراني، وهمام طارق لاعب الإسماعيلي المصري، وريبين سولاقا المحترف مع رادنيتشكي الصربي. وذلك بسبب انشغالهم مع أنديتهم في مباريات الدوريات هناك، فيما سيغيب مجددا اللاعبان أحمد ياسين المحترف في صفوف هاكن السويدي، وغستن ميرام لاعب أتلانتا يونايتد الأميركي، بسبب قرار فني وانضباطي من قبل مدرب منتخب العراق السلوفيني ستريشكو كاتانيتش.

ورغم تواجد العديد من اللاعبين المميزين في صفوف المنتخب العراقي، على رأسهم علي عدنان المحترف السابق في الدوري الإيطالي، واللاعب الحالي لنادي فانكوفر الكندي، بالإضافة إلى المدافع أحمد إبراهيم لاعب القوة الجوية العراقي، وصفاء هادي وأمجد عطوان لاعبي الشرطة، وعلاء عباس لاعب نادي الزوراء، ولكن أنظار الجماهير العراقية والإعلام الخليجي ستسلط بقوة على اللاعب مهند علي "ميمي" محترف الدحيل القطري، والذي يأمل في الفوز بلقب "خليجي 24" في الدوحة.

وكان الظهور الأول للاعب مهند علي بقميص منتخب بلاده، أمام منتخب الإمارات في المباراة التي أقيمت في السابع عشر من شهر ديسمبر وانتهت بخسارة أسود الرافدين بهدف، ولم يسجل أي هدف في أربع مباريات، في بطولة خليجي 23 في الكويت. وانفجر موهبة العراق بقوة نحو النجومية بعد تسجيله هدفين، في مباراة منتخب بلاده أمام السعودية، في المباراة الودية التي أقيمت على ملعب البصرة الدولي، وانتهت بفوز العراق بأربعة أهداف لهدف، ليسطع نجمه بقوة وليخطف أنظار الجميع لما يقدمه.

وتمكن ميمي من لفت أنظار العالم أجمع، خلال بطولة نهائيات آسيا 2019، بعد تسجيله هدفين في البطولة من مجهود فردي رائع في مرمى منتخبي فيتنام واليمن، ولكنه أخفق بالتسجيل في مباراتي إيران في دور المجموعات، وقطر في دور الـ16 للبطولة، ليودع بها منتخب العراق وميمي البطولة الآسيوية.

وتسابق العديد من الأندية العالمية الكبيرة، من أجل الظفر بخدمات الموهبة العراقية، بعد وصول أكثر من عشرة عروض أوروبية، وكانت أهم العروض من ناديْ يوفنتوس الإيطالي ومانشستر سيتي الإنكليزي، وباشاك شهير التركي، وغيرها من الأندية العربية الكبيرة، قبل أن يتمكن الدحيل القطري من خطف الموهبة الشابة بالتعاقد معه لخمس سنوات، قادما إليه من بطل الدوري العراقي فريق الشرطة. وأصبح اللاعب مهند علي ثاني أغلى لاعب عراقي في الوقت الحالي، بعد زميله علي عدنان المحترف مع فريق فانكوفر الكندي.

هداف لا يرحم

وفي المقابل ورغم انتقاله للدحيل القطري، فإن اللاعب ميمي لم يجد نفسه، وذلك بسبب عدم اللعب بانتظام، والتهميش الكبير الذي يلقاه من المدرب البرتغالي روي فاريا، والذي أجلس اللاعب بديلا في عدد من المباريات، ليسجل ميمي هدفا وحيدا مع فريقه في عشر مباريات خاضها في دوري نجوم قطر. وحطم نجم منتخب العراق مهند علي رقما قياسيا، وذلك بتسجيله 13 هدفا دوليا في 24 مباراة خاضها بقميص أسود الرافدين، وهو أسرع لاعب في تاريخ الكرة العراقية يصل إلى هذا الرقم من الأهداف في بداية مسيرته الكروية.

وهناك العديد من النجوم العراقيين، الذين قدّموا عطاء كبيرا رفقة أسود الرافدين، على غرار حسين سعيد الذي شارك في بطولة خليجي عام 1979 واستطاع تسجيل ثلاثة أهداف في مرمى منتخب البحرين، وهدفين في مرمى منتخب قطر، وهدف في مرمى منتخب الإمارات، وأربعة أهداف في مرمى منتخب عمان. وقد حصل على لقب هداف البطولة بعشرة أهداف.

ثم شارك في نسخة عام 1984 وأحرز خلالها 7 أهداف، وتوّج بجائزة أفضل لاعب، ليصبح إجمالي أهدافه 17 هدفا بكأس الخليجي العربي، ويصبح اللاعب الأكثر تسجيلا لهذا العدد من الأهداف في أقل عدد من المشاركات بكأس الخليج في بطولتين فقط. ومن المقرر أن يحمل مهند علي لواء حسين سعيد في بطولة خليجي 24، وهو الصاعد بقوة. ويعد ميمي من أبرز العناصر في أسود الرافدين، خلال هذه الفترة، حيث يعتمد عليه بقوة اليوغسلافي سريتشكو كاتانيتس.

قائمة قوية

ومن جانبه دخل منتخب السعودية ومدربه هيرفي رينارد خليجي 24 بقائمة لاعبين قوية يأتي على رأسها ثنائي سلمان الفرج وسالم الدوسري الهلال المتوج مؤخرا بلقب دوري أبطال آسيا. ويعدّ سلمان الفرج أحد أبرز النجوم في السعودية "مايسترو خط الوسط" الذي دائما ما يعطي فريقه الاستحواذ بتمريراته الصحيحة، وشاهد الجميع تألقه في تصفيات آسيا. كما يتواجد سالم الدوسري الذي يلقبونه بنيمار الخليج نظرا إلى مهارته العالية في مركز الجناح الأيسر، وهو لاعب في المنتخب الأول منذ 2012.

ويضم منتخب الكويت مجموعة رائعة من اللاعبين ولعل أبرزهم هو فهد الأنصاري المعروف في الملاعب السعودية، حيث مثّل ناديي الاتحاد والفيصلي ودائما ما تكون له بصمته في مركز صناعة اللعب.

كما يتواجد المهاجم يوسف ناصر لاعب نادي الكويت وهو أبرز المواهب في الكرة الكويتية، وهو اللاعب القوي، الذي يعوّل عليه الجهاز في "خليجي 24" لصناعة الفارق في البطولة، وتقديم مستويات رائعة مع منتخب بلاده. كما أنه يمتلك خبرات المشاركة في البطولة الخليجية ولذلك فهو أحد أبرز المرشحين للتألق بالدوحة.

ويبرز نجم منتخب قطر أكرم عفيف، والمرشح للفوز بجائزة أفضل لاعب في آسيا هذا العام، ضمن النجوم المتوقع توهجهم وبشدة في هذه النسخة ولم لا وهو حاليا من أبرز صناع اللعب في الكرة الآسيوية، وكذلك في الكرة القطرية. وكان له الدور الأبرز في تتويج منتخب بلاده بلقب كأس آسيا الأخيرة في الإمارات لأول مرة في تاريخ قطر. كما أن عفيف يقدّم حاليا أفضل مستوياته الكروية، وشارك في النسخة الماضية من كأس الخليج في الكويت ويتوقع أن يكون أحد أبرز نجوم "خليجي 24"، ويعوّل عليه سانشيز مدرب قطر كثيرا في البطولة.

ومن سلطنة عمان يبرز المنذر ربيع وهو أحد اللاعبين الصاعدين المتميزين بالمنتخب، ويلعب في نادي ظفار ونجح في حجز مقعد له بالتشكيلة وسجل له 3 أهداف في التصفيات الآسيوية المشتركة. ومنذر من اللاعبين الأقوياء الذي يتوقع له أن يكون أحد نجوم "خليجي 24"، لاسيما وأن منتخب بلاده هو حامل اللقب ويطمح للمنافسة على الفوز باللقب الثالث في تاريخه.

وتضم تشكيلة المنتخب الإماراتي العديد من الأسماء المتميزة والقوية، ويظل الهداف على مبخوت هو الأبرز والمتوقع توهجه في "خليجي 24". فمبخوت لاعب قوي و يستطيع أن يسجّل من أنصاف الفرص، وهو يعيش حاليا فترة من التألق مع منتخب بلاده ويقوده بثبات في التصفيات الآسيوية المشتركة وسجل معه فيها 4 أهداف.

> اللاعب مهند علي أصبح أغلى لاعب عراقي في الوقت الحالي، بعد زميله علي عدنان المحترف مع فريق فانكوفر الكندي

وقبل خمس سنوات فقط، توّج مبخوت هدافا لخليجي 22 مسجلا خمسة أهداف لفريقه. وبعدها بأسابيع قليلة، فرض مبخوت نفسه نجما لبطولة كأس آسيا 2015 بأستراليا مسجّلا خمسة أهداف. ومع إقامة البطولة الآسيوية الماضية في الإمارات مطلع العام الحالي، سجّل مبخوت خمسة أهداف لفريقه أيضا ولكنه لم يقدّم المتوقع منه ليخرج الفريق من المربع الذهبي للبطولة التي استضافتها بلاده. وربما ساهم في هذا غياب شريكيه السابقين في تهديد دفاع المنافسين، حيث غاب عمر عبدالرحمن (عموري) للإصابة فيما شارك أحمد خليل كلاعب بديل في ظل الإصابات التي تعرض لها في الفترة الماضية.

ومع وجود أحمد خليل إلى جانب مبخوت في قائمة الفريق بخليجي 24 والحرص الشديد من المنتخب الإماراتي (الأبيض) على تقديم بطولة قوية في هذه النسخة وانتزاع اللقب الخليجي الثالث، تبدو الفرصة سانحة أمام مبخوت لترك بصمة أقوى مع الفريق في بطولات الخليج التي اكتسب خبرة كبيرة بها. والحقيقة أن مبخوت قدّم في الشهور القليلة الماضية ما يجعل جماهير الأبيض تعلّق عليه آمالا عريضة في خليجي 24.

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

عمان تهزم الكويت وتخلط أوراق المجموعة الثانية

ثنائية المقبالي تعيد حامل اللقب إلى المنافسة في «خليجي 24»

حقق المنتخب العماني فوزا ثمينا (2–1) على نظيره الكويتي السبت ضمن المجموعة الثانية من بطولة "خليجي 24" الدائرة منافساتها في قطر، ليعمق عقدته التاريخية معه في كأس الخليج ويستعيد حظوظه في المنافسة على اللقب الذي يحمل آخر نسخه الماضية.

عودة من بعيد

الدوحة – خلط المنتخب العماني أوراق المجموعة الثانية بعد فوزه على المنتخب الكويتي السبت بثنائية مقابل هدف سجلها نجمه عبدالعزيز حميد المقبالي في الشوط الأول بواسطة ضربتي جزاء في الدقيقتين الـ16 والـ32، فيما قلص المنتخب الكويتي الفارق في الشوط الثاني عن طريق يوسف ناصر السلمان في الدقيقة الـ79.

وفرض العمانيون سيطرتهم على مجريات اللقاء منذ البداية ولاحوا أكثر تنظيما من الكويتيين في وسط الميدان خصوصا في الشوط الأول، فيما فرض المنتخب الكويتي سيطرة كلية على مجريات الشوط الثاني لكن محاولاته كانت تفتقد إلى التجسيم أمام حارس المرمى العماني.

وركز المنتخب العماني حامل لقب النسخة الماضية في الشوط الثاني على لعب الكرات المرتدة وتراجع شيئا فشيئا إلى مناطقه في محاولة للمحافظة على النتيجة وقبول الضغط الذي فرضه الكويتيون الذين حاولوا تقليص الفارق لكنهم لم يفلحوا.

وفاجأ العمانيون الأزرق باللعب بثنائي هجومي عبر عبدالعزيز المقبالي ومحسن الغساني الذي أضاع أولى الفرص في الدقيقة الـ10، وكلف اهتزاز مستوى دفاع الكويت المنتخب ركلة جزاء لمصلحة محسن الغساني بعد إعاقته من مشاري غنام تم احتسابها بعد اللجوء إلى تقنية الفار لينبري لها عبدالعزيز المقبالي مسجلا هدف التقدم في الدقيقة الـ16.

ولم يظهر الأزرق ردة فعل بعد تأخره بهدف واستمر تفوق العمانيين وكاد محسن الغساني يعزز النتيجة بهدف ثان إلا أنه سدد في يد الحارس حميد القلاف، ومع الدقيقة الـ32 تحصل عبدالعزيز المقبالي على ركلة جزاء ثانية بعد تدخل من حميد القلاف عقب تمريرة علي البوسعيدي البينية، ونجح المقبالي مجددا في تسجيل هدف ثان من ركلة جزاء في الدقيقة الـ32.

وتواصل غياب الأزرق حتى الدقيقة الـ39 التي شهدت أول محاولة حقيقية على مرمى فايز الرشيدي عبر تسديدة يوسف ناصر التي مرت بجوار القائم، ووسط محاولات كويتية طالب الأزرق بركلة جزاء ليوسف ناصر إلا أن الحكم خميس المري أشار إلى استمرار اللعب وعاد يوسف ناصر بتسديدة في الدقيقة الـ50 تصدى لها فايز الرشيدي قبل صافرة النهاية.

ومع بداية الشوط الثاني دفع ثامر عناد بفيصل زايد ومبارك الفنيني بديلَيْن عن فهد الأنصاري وعبدالله البريكي، ودخل الأزرق أجواء الشوط الثاني مبكرا برأسية ليوسف ناصر مرت بسلام على مرمى فايز الرشيدي، والتي أعادها ناصر مجددا في الدقيقة الـ48 إلا أن كرته مرت بسلام على مرمى عمان.

> العمانيون فرضوا سيطرتهم على مجريات اللقاء منذ البداية ولاحوا أكثر تنظيما من الكويتيين في وسط الميدان، خصوصا في الشوط الأول

ووسط حالة من النشاط للأزرق تلقى منتخب الكويت ضربة موجعة بتعرض البديل مبارك الفنيني للإصابة بعد 8 دقائق ليغادر الملعب ويشارك بدلا عنه شبيب الخالدي، وتواصلت صحوة الأزرق الذي كانت سيطرته كاملة إلا أن إنهاء الهجمات لم يرتق إلى المستوى المأمول في ظل تفوق دفاع عمان الذي تحول إلى الاعتماد على الهجمات المرتدة. وشدد الأزرق محاولته وسدد بدر المطوع الكرة التي أبعدها المسلمي قبل أن يسدد سامي الصانع كرة أبعدها فايز الرشيدي لتسكن بعد ذلك الشباك، ونجح يوسف ناصر في تكليل جهود ونشاط الأزرق بتقليص الفارق مع الدقيقة الـ78 بعد مجهود كبير لشبيب الخالدي.

ومع الدقيقة الـ82 أضاع الخالدي فرصة ذهبية لمعادلة النتيجة بمواجهة المرمى بعد خطأ عبدالسلام عامر الذي تمكن من إنقاذ الموقف سريعا، واستمرت صحوة الأزرق وسط تراجع عماني، ومع محاولات متكررة أخفق لاعبو الكويت في زيارة مرمى فايز الرشيدي مجددا لتنتهي المباراة بهدفين لهدف لمصلحة عمان.

وعزز المنتخب العماني عقدته لمنافسه الكويتي ونسف أحلام مدربه ثامر عناد الذي قال بعيد الفوز على السعودية "إنها مجرد مباراة وانتهت مع صافرة الحكم. نفكر في المباراة التالية أمام المنتخب العماني الشقيق وإن شاء الله يحالفنا التوفيق لتكملة المشوار بالتأهل إلى نصف النهائي".

وبالحديث عن الضغوط في المرحلة المقبلة، قال "الفوز على منتخب كبير في القارة شيء مهم جدا إلا أن المقابلة لا بد أن تكون بالنسبة لنا مجرد مباراة وانتهت. ثقتي كبيرة في الجهاز الإداري لإخراج اللاعبين من نشوة الفوز والتركيز (على ما هو آت)".

وعكف الجهاز الفني للأزرق على دراسة الفريق العماني وأسلوب لعبه من خلال مشاهدة مباراة الأخير مع البحرين في الجولة الأولى والتي شهدت أداء قويا وحماسيا وفرصا عدة للجانبين خاصة في الدقائق الأخيرة. وعلى الجهة الأخرى يبدو أن المنتخب العماني، بطل النسخة الأخيرة، قد درس منافسه جيدا وأكد أنه يريد العودة في المنافسة على اللقب وحقق فوزه الأول للبقاء في خضم المنافسة على إحدى البطاقتين المؤهلتين إلى الدور نصف النهائي وبالتالي مواصلة حملة الدفاع عن لقبه.

ويعتمد المدرب الهولندي أرفين كومان على عدد من العناصر الخبيرة مثل القائد أحمد مبارك "كانو" وسعد سهيل الذي أقرّ بأنه ورفاقه يلعبون تحت الضغط، معتبراً ذلك "أمرا طبيعيا للفريق الفائز بالنسخة الأخيرة"، ومؤكدا أن لاعبي عمان قادرون على التعامل مع هذه الضغوط التي طالما تعرضوا لها.

وضمن منافسات المجموعة الأولى كان المنتخب العراقي قد حجز أول مقاعد المربع الذهبي مستفيدا من فوز المنتخب القطري على نظيره اليمني 0–6 الجمعة في الجولة الثانية.

وتغلب المنتخب العراقي على نظيره الإماراتي 0–2 ليرفع رصيده إلى ست نقاط تصدر بها المجموعة.

وستكون المباراة بين المنتخبين الإماراتي والقطري في الجولة الأخيرة حاسمة في الحصول على البطاقة الثانية من هذه المجموعة للتأهل إلى المربع الذهبي.

وفي المقابل ودع المنتخب اليمني البطولة رسميا بعدما مني بالهزيمة الثانية على التوالي وبغض النظر عن نتيجة مباراته الأخيرة أمام العراق.

عن القيد إذا انكسر

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

في الحياة كما في عالم كرة القدم، ثمة مراحل صعود وتألق وتوهج ومراحل أخرى تبدو صعبة ومرهقة، هكذا حال أغلب نجوم الكرة.

هذا الأمر يبدو شديد الارتباط باختيارات اللاعبين وتوجهاتهم، فكم من لاعب ألمعي وموهوب لم يقدر على الصعود لمجرد أنه اختار الطريق الخاطئ، وكم من لاعب كتب له صنع التاريخ لأنه أحسن سلك الطريق.

الأمثلة عديدة في هذا السياق، فالإيطالي فرانشيسكو توتي أبى مغادرة فريقه روما، فنصّب نفسه ملكا تاريخيا في هذا النادي، بيد أنه لم يلحق بركب الأساطير المتوجين بعدد كبير من الألقاب والبطولات.

في الطرف المقابل يبرز البرتغالي كريستيانو رونالدو والبرازيلي رونالدو كمثالين بارزين على صواب الاختيارات في كل مرحلة من مراحل مسيرتيهما الموفقة والمثقلة بالألقاب.

الخلاصة في عالم كرة القدم أن النجاح قد تصنعه الموهبة، لكن أيضا هو مرتبط بصواب الخيارات والتوجهات، واختيار اللحظة المناسبة للتغيير إذا كان التغيير ضروريا.

ففي بعض المناسبات قد يغدو اللعب لفائدة فريق مهيب مجرد "وعد كاذب"، وقد تستحيل الأحلام إلى كوابيس، وربما يتحول مسرح الأحلام إلى "حقل ألغام".

هذا ما حصل بالضبط مع المهاجم البلجيكي روميلو لوكاكو، ذلك اللاعب الذي حلم بالمجد الكبير في مانشستر يونايتد، حلم بالألقاب والبطولات، حلم بـ"سيادة" العالم، لكنه أصيب بالهلع، وأصابه العجز، فوجد نفسه في بوتقة من القيود صلب متاهة ليس لها حدود.

لوكاكو ذلك اللاعب الذي عقد العزم في صائفة 2017 على الولوج إلى معقل "الشياطين الحمر" إثر تألق لافت مع فريقه السابق إيفرتون، لم يحقق المراد ولم يقدر على تحقيق النجاح المنشود.

ربما أغرته كتب التاريخ المجيد التي تتغنى بروائع اليونايتد، ربما اعتقد أنه يملك عصا سحرية سيغير بها واقع مسرح الأحلام الذي كسته الكآبة بعد رحيل السير أليكس فيرغسون، لكنه كان واهما، لقد "اغتالته" في تلك الفترة أحلامه الوهمية.

ربما هي اختياراته المتسرعة، كان عليه أن يدرس جيدا الواقع مثلما حفظ التاريخ جيدا، كان عليه أن يعي أن "مسرح الأحلام" يقضي على النجوم، وكل من مرّوا على هذا الفريق من نجوم طيلة المواسم الأخيرة تلقفهم الفشل وأحاطت بهم القيود.

تجارب دي ماريا وأليكسيس سانشيز وغيرهما من اللاعبين الرائعين تؤكد هذه الوقائع وتثبت الواقع الصعب في مانشستر.

لكن روميلو أدرك الخطأ، ثم أصر على التدارك، قرر كسر القيود وتخطي الحدود، أدرك أن واقع اليونايتد مليء بالأشواك ولن يتغير سريعا حتى وإن وقع استقدام "ترسانة" من النجوم.

روميلو قرر الرحيل، لم يعد بمقدوره أن يتعايش مع هذا الواقع الصعب في مانشستر، كان لا بد من سلك طريق جديد والبحث عن واقع آخر حتى وإن اضطر إلى النكوص قليلا إلى الوراء.

لم يطل بحثه طويلا، فالقدر منحه فرصة النهوض من جديد، لقد كتب له أن يغّير وجهته والرحيل ليس عن مانشستر فحسب بل عن إنكلترا.

بدا عرض إنتر ميلان جديا ومغريا للغاية، ليس من الناحية المالية بل لأنه يوفر ضمانات النجاح بعيدا عن كل القيود التي أحاطت به في معقل "الشياطين الحمر".

غادر المهاجم البلجيكي المعسكر الأحمر في مانشستر تملؤه الغبطة، كان يعي جيدا أنه ما زال يتحكم في مصيره، ما زال قادرا على إعادة صياغة مسيرته وخط فصول جديدة يكون التألق عنوانها الأول.

هرول سعيدا صوب إيطاليا، اختار طواعية أن يكون ضمن فرقة المدرب أنطونيو كونتي، هناك في ميلانو حيث الضغوط أقل والآمال أكبر، هناك حيث المعطيات الجديدة داخل الإنتر تساعد على النهوض من جديد.

اكتشف روميلو إيطاليا سريعا، استوعب خصوصيات الكرة الإيطالية، اندمج باكرا مع فريقه الجديد، والأكثر من ذلك أنه لم ينتظر كثيرا كي يبرهن أنه ما زال كعهده في السابق "ماكينة أهداف" أو بالأحرى "دبابة بشرية" تدك الحصون.

لم يلتف إلى بقية النجوم لم يخش وجود الدون كريستيانو رونالدو في اليوفي، فقط صوب نظره إلى الأمام، ركز اهتمامه نحو شباك المنافسين. فقدّر له أن يقطف سريعا بذور الخروج من بوتقة الماضي القريب، فسجل ثم سجل وما زال.

اليوم حصيلة لوكاكو في الدوري المحلي الإيطالي عشرة أهداف، احتل بها المركز الثاني في ترتيب الهدافين، الأكثر من ذلك أنه ساعد فريقه على استعادة عنفوان السنين الخوالي، فالإنتر بات منافسا قويا لليوفي على لقب الدوري.

اليوم استعاد نجم المنتخب البلجيكي لذة اللعب ومتعة التهديف، فالتف برداء النجاعة ليس في الدوري المحلي فحسب بل في منافسات دوري الأبطال، بالأمس سجل ثنائية رائعة قاد بها فريقه إلى الفوز على سلافيا براغ فأبقى على حظوظ الإنتر للتأهل.

لكن من المؤكد أن الغد سيكون أفضل، فمن قدر على كسر القيود سينجح حتما في تحقيق طموحاته بلا حدود.

الريال ينتزع الصدارة وعينه على قمة برشلونة وأتلتيكو

مدريد – تمكن ريال مدريد من انتزاع صدارة الدوري الإسباني لكرة القدم إثر فوزه الصعب السبت على مضيفه ألافيس 2–1 ضمن المرحلة الرابعة عشرة، ليخلق فارق ثلاث نقاط عن برشلونة الذي يخوض قمته ضد القطب الثاني للعاصمة أتلتيكو الأحد.

ودخل الريال المباراة وهو في المركز الثاني (28 نقطة) تساويا مع برشلونة المتصدر وبطل الموسمين الماضيين. وبفضل فوزه التاسع هذا الموسم، رفع الريال رصيده إلى 31 نقطة وتقدم إلى المركز الأول، في انتظار اللقاء المرتقب في العاصمة بين أتلتيكو مدريد الرابع وضيفه برشلونة.

وحقق الريال بإشراف مدربه الفرنسي زين الدين زيدان، فوزه الرابع في آخر خمس مباريات في الليغا. وحمل الفوز بهدفي سيرجيو راموس ودااني كرفاخال، مقابل هدف لوكاس بيريز، طعم الثأر للريال الذي خسر 1–0 في الموسم الماضي بضيافة ألافيس.

وأجرى زيدان أربعة تغييرات على التشكيلة الأساسية التي تعادل بها مع ضيفه باريس سان جرمان الفرنسي 2–2 الثلاثاء في دوري أبطال أوروبا، فدفع بالحارس الفرنسي ألفونس أريولا بدلا من البلجيكي تيبو كورتوا، والمدافع البرازيلي إيدر ميليتاو بدلا من الفرنسي رافايل فاران، والكرواتي لوكا مودريتش بدلا من الأوروغوياني فيديريكو فالفيردي، والويلزي غاريث بايل بدلا من البلجيكي إدين هازارد المصاب.

وكانت هذه المشاركة الأولى لبايل كأساسي منذ الفوز على غرناطة (2–4) في الخامس من أكتوبر الماضي.

وعلى رغم استحواذهم شبه المطلق في الشوط الأول، فشل لاعبو الريال في هز شباك مضيفهم الذي دخل المباراة وقد تلقى مرماه هدفين فقط في سبع مباريات في الليغا على أرضه هذا الموسم.

وشهدت الدقيقة السابعة مشادة بين لاعبي الفريقين، بعد سقوط لاعب ألافيس أليكس فيدال داخل منطقة الريال مع تقدم ميليتاو لقطع الكرة. وبينما طالب لاعبو المضيف بركلة جزاء، رد حكم المباراة غييرمو كوادرا فرنانديز برفع البطاقة الصفراء في وجه اللاعب بذريعة تعمده السقوط.

وكانت أخطر فرص الشوط رأسية لبايل من داخل المنطقة، أبعدها القائم الأيمن لمرمى حارس ألافيس فرناندو باتشيكو بعدما ارتطمت بجسد المدافع تشيمو نافارو.

وهدد لاعبو النادي الملكي مرمى ألافيس أكثر من مرة، منها في الدقيقة 18 بعد تقدم هجومي انتهى بتمريرة كرفاخال إلى إيسكو الذي أفلت من الرقابة الدفاعية داخل المنطقة، لكنه سدد الكرة عالية عن المرمى.

وفشل إيسكو في التعويض، لكن هذه المرة لأن باتشيكو تمكن من أن يوقف على دفعتين، تسديدته القوية من على حافة المنطقة.

وواصل الريال الضغط عبر تسديدة يسارية قوية للفرنسي كريم بنزيمة مرت بجانب القائم الأيمن، تلتها بعد دقيقتين تسديدة قوية من البرازيلي كاسيميرو من خارج المنطقة أبعدها حارس ألافيس ببراعة إلى ركنية.

ودخل اللاعبون الشوط الثاني تحت أمطار غزيرة ابتسمت للريال، مع تمكن راموس من افتتاح التسجيل بعدما لامس برأسه كرة من ركلة حرة نفذها الألماني طوني كروس، وحوّلها إلى يمين باتشيكو الذي لم يحرك ساكنا.

وهو الهدف الثالث لقائد الفريق وقلب دفاعه المخضرم هذا الموسم في الليغا، والسادس في مختلف المسابقات. لكن راموس ألغى بنفسه مفعول هدفه، إذ تسبب بعد دقائق بركلة جزاء عندما وجه ضربة بالكوع إلى وجه لاعب ألافيس خوسيلو، ما دفع الحكم إلى احتساب ركلة جزاء نفذها لوكاس بيريز بنجاح على يسار أريولا الذي ارتمى إلى الجهة المعاكسة.

وضغط ألافيس في الدقائق الأخيرة وحصل على ركلات ركنية متتالية، هدد من خلالها مرمى أريولا مرتين، بداية عبر تسديدة لبيريز من مسافة قريبة أبعدت بتدخل دفاعي، وبعدها بثوان عبر رأسية البديل مانو غارسيا من مسافة قريبة أيضا، أوقفها الحارس الفرنسي على دفعتين.

صعود مؤقت

البريطاني فرح يعود إلى المضمار استعدادا لطوكيو

باريس – أعلن العداء البريطاني مو فرح البطل الأولمبي والعالمي لسباقات المسافات الطويلة (5 آلاف و10 آلاف متر) عودته للمشاركة مجددا في السباقات المقامة على المضمار في عام 2020 بعد تفرغه لمدة عامين لمسابقات الطرقات، وذلك تحضيرا للألعاب الأولمبية في طوكيو من العام ذاته.

ونشر العداء المتحدر من الصومال فيديو على موقع يوتيوب أعلن فيه أن "الخبر الأبرز هو أنني عائد إلى الحلبة في سباق 10 آلاف متر في طوكيو العام المقبل".

وتابع "آمل ألا أكون قد خسرت سرعتي ولكني سأتدرب بقساوة من أجل ذلك وسنرى ماذا بإمكاني أن أفعل". ويأتي إعلان فرح (36 عاما) بعدما فتح الاتحاد البريطاني لألعاب القوى تحقيقا مستقلا يتعلق بمدربه السابق الأميركي ألبرتو سالازار الذي أشرف على تدريب رياضيين في ألعاب القوى، والذي أوقفته في سبتمبر الماضي الوكالة الأميركية لمكافحة المنشطات لفترة أربعة أعوام على خلفية مخالفات لقوانين المنشطات، في إطار مشروع "نايكي أوريغون" الذي أعلن عملاق التجهيزات الرياضية الأميركية إنهاءه في أعقاب هذه الفضيحة.

وعلق فرح حينها بعد صدور حكم الإيقاف بحق مدربه السابق الذي أشرف عليه بين عامي 2011 و2017 "كما قلت سابقا، ليست هناك أي تهمة ضدي، لم أرتكب أي سوء. الاتهامات، فليكن واضحا (للجميع)، لا تتعلق سوى بألبرتو سالازار".

وقرر فرح أن يحصر نشاطاته في مسابقات الطرقات بعد فوزه بلقبه العالمي الأخير في سباق الـ10 آلاف متر في لندن 2017، وقد نجح في الفوز بماراتون شيكاغو مع رقم قياسي أوروبي وقدره 2:05.1 ساعتان، ولكن من دون أن يتمكن من الاقتراب من رقم "الملك" الكيني إليود كيبتشوغي صاحب الرقم القياسي في ماراثون برلين في العام ذاته (2:01.39 س).

العرب
الأحد 2019/12/01
السنة 42 العدد 11545

ماركات عالمية.. تتعلّم كيفية إرضاء المرأة العربية

على الرغم من دخول العديد من دور الأزياء أمثال "دولتشي آند غابانا"، سوق الأزياء المحتشمة، فإن هذه الماركات العالمية لا تزال على طريق التعلم في ما يتعلق بالنساء المسلمات، لضمان القيام بتقديم تصاميم عصرية بعيدا عن الخيارات التقليدية.

أغلفة المجلات ومنصات العرض لا يكفيان

لندن – يكاد يكون عالم الأزياء النسائية بالكامل موجها نحو الغرب من الفساتين المكشوفة إلى السراويل شديدة القِصر، أما اليوم، فقد أصبحت الموضة توَجه قدرا أكبر من التركيز إلى سوق ضخمة ومهملة إلى حد ما: وهي النساء المسلمات.

وبدأت المزيد والمزيد من العلامات التجارية، وبينها "شانيل" و"فيرساتشي" و"بربري" في تقديم تصميمات للنساء اللاتي لا يرغبن في إظهار أجسامهن.

وتمتاز ما تسمى بـ"الأزياء المحتشمة" بالملابس والأكمام الطويلة، وكذلك تغطية العنق، إلى جانب أقمشتها غير الشفافة. وترتدي عارضات الأزياء المحتشمات الحجاب خلال مشاركتهن في العروض. كما أصبحت العديد من النساء المسلمات يظهرن على الصفحات الأولى لمجلات الموضة.

ورغم هذا، تشعر مسلمات كثيرات بأنه لا يوجد أمامهن ما يكفي من خيارات عندما يتعلق الأمر بالموضة. وبينما تقدم دور مثل "زارا" و"دكني" و"تومي هيلفيجر" مجموعات تصاميم، خاصة لشهر رمضان، فإن هؤلاء الزبونات يتطلعن إلى المزيد من الخيارات، وقد أصبحت تلك الشركات أكثر حساسية تجاه مطالبهن.

ووفقا لتقرير صادر عن مؤسسة "تومسون رويترز"، حول الاقتصاد الإسلامي، من المتوقع أن يصل حجم سوق الأزياء المحتشمة إلى 360 مليار دولار بحلول عام 2023.

وأجرت وكالة "أو د يدي" الإبداعية، مؤخرا، استطلاعا قالت فيه إن نسبة 86 بالمئة من 500 سيدة، من النساء المسلمات يشعرن أن معظم العلامات التجارية الخاصة بالأزياء تتجاهلهن كزبونات. وأكدت 93 بالمئة منهن، أنهن سيترددن بصورة أكبر على المتاجر الكبرى إذا ما عرضت مجموعات من التصاميم المحتشمة.

كما اعتبرن أن إطلاق مجموعات أزياء في شهر رمضان أو الترويج للحملات الإعلانية بإظهار عارضات يرتدين الحجاب ليس أمرا كافيا.

وترى علياء خان، رئيسة المجلس الإسلامي للأزياء والتصميم، في لندن، أن العلامات التجارية الخاصة بالأزياء لا تزال على طريق التعلم في ما يتعلق بالنساء المسلمات، ولا تزال دور العرض بحاجة لتوجيه المزيد من الاهتمام إلى هذه السوق.

ويقدم المجلس المشورة للمصممين وأصحاب العلامات التجارية لمساعدتهم على تجنب العثرات والأخطاء المحرجة، ولضمان قيامهم بتقديم تصميمات عصرية وليس الإبقاء دائما على الخيارات التقليدية المحافظة.

وأشارت خان إلى أنها سبق وأن سمعت إحدى النساء المسلمات قالت إن تصاميم من إعداد إحدى أفخم دور العرض ذكّرتها بمفرش مائدة يعود إلى جدتها.

وهناك الصور النمطية التي تقول خان إنها تعاود الظهور من حين لآخر، فعلى سبيل المثال، عندما قدمت العلامة التجارية الإيطالية الراقية "دولتشي آند غابانا" مجموعة تصاميم للعباءات، تم وصفها بعبارات مثل "ساحرة وسط الكثبان الصحراوية" و"نساء شبه الجزيرة العربية الرائعات"، وهو ما اعتُبر تكرارا مبتذلا ومتعاليا، ويفتقر إلى الابتكار.

ومن المؤكد أن الأمور يمكن أن تتم بطريقة مختلفة، تماما كما تفعل شركة "موداني_زا" التي تملك موقعا للتجارة الإلكترونية الخاصة بالملابس الإسلامية.

ويحتوي الموقع على أكثر من 75 ألف قطعة من الأزياء المحتشمة قد توفرت من أكثر من 800 علامة تجارية مختلفة.

وتقول بوركو يلماز، رئيسة قسم التسويق في "موداني_زا"، إن عمليات الشركة لا يركزن فقط على الدين، ولكنهن يرغبن في حضور عرس أو حفلة أو الذهاب إلى العمل وهن يرتدين ملابس رائعة وعصرية.

وأوضحت "إنهن نساء يرغبن في التعبير عن أنفسهن، لكن لديهن حدودهن الخاصة".

وتشير خان إلى أنه لا ينبغي أن يتم ربط الموضة المحتشمة بالمسلمات فقط، فهناك معتقدات دينية أخرى، مثل اليهودية الأرثوذكسية والسيخية والهندوسية، تؤكد أيضا على الاحتشام في الملبس.

وكانت الصحافية المتخصصة في الأزياء ميشيل هنيج، وهي أرثوذكسية يهودية، قالت في نيويورك عام 2016، "إن كون النساء محتشمات لا يعني قمعهن، إنهن يردن خيارات عملية حول كيفية تغطية أجسادهن".

وتلخص يلماز وجهة نظرها عن سوق الأزياء المحتشمة "هناك نساء يرغبن في ارتداء ملابس جميلة دون المساس بمعتقدهن أو وضع أنفسهن في صراع مع مجتمعهن. ولكل امرأة الحق في أن تشعر بجمالها".

أشعة الليزر تساعد العلماء على قياس الجاذبية

مايا تيمينغ

كاليفورنيا (الولايات المتحدة) – طوّر باحثون أميركيون طريقة جديدة تمكنهم من قياس الجاذبية وإنتاج أكبر قدر من المعلومات.

ينص قانون إسحاق نيوتن للجاذبية على وجود قوة تجاذب بين كل جسمين في الكون، حيث تتناسب هذه القوة طرديا مع الكتل، وتتناسب عكسيا مع مربع المسافة بينهما.

لقد عملت مجموعة من العلماء في جامعة كاليفورنيا في بيركلي على تحسين بعض الطرق القديمة المعتمدة في الحسابات والبحوث لوضع طريقة جديدة أكثر فاعلية لقياس الجاذبية باستخدام أشعة الليزر.

وتشمل الطريقة التقليدية التي يعتمدها الباحثون لقياس الجاذبية إسقاط الجسم الذي يريدون بناء حساباتهم عليه. وغالبا ما يكون ذلك في أنبوب طويل. بينما ترتبط هذه الطريقة بتجربتنا اليومية مع الجاذبية والمتمثلة في سقوط الأشياء من حولنا، إلا أنها محدودة وتضع جملة من العوائق أمام معتمديها، فعلى سبيل المثال، تعدّ الفرص التي تتيحها هذه الطريقة لفهم آثار الجاذبية ضيّقة. كما تتدخل بعض العوامل الخارجية الأخرى لتؤثر على نتائجها النهائية، ومن أهمها الحقول المغناطيسية.

وتوصل الفيزيائيون من خلال مراقبة الذرات عند تعليقها في الجو بدلا من إسقاطها، إلى طريقة جديدة لقياس الجاذبية.

طوّرت التقنية الجديدة بقيادة الفيزيائية فيكتوريا شو، وهي لا تعتمد على إسقاط أي جسم في أنبوب، بل على تحديد الاختلافات في الذرات في حالة التراكب، وهو مبدأ في الفيزياء.

وتسمى هذه الخاصية أحيانا "القانون الرابع لنيوتن"، فحسب توقعات ميكانيكا الكمّ، يمكن للأجسام المجهرية أن تتخذ مسارات مختلفة في نفس الوقت. وهي لا تتحرك في مسار واحد مما ينشرها في أماكن مختلفة في نفس الوقت.

اكتشف الباحثون عملية تبدأ بإطلاق سحابة من ذرات السيزيوم في غرفة صغيرة، ثم استخدموا الأضواء الساطعة حتى يتمّ تقسيم بعضها لتحقيق مبدأ التراكب. وبعد تفكيك الذرات بهذه الطريقة، استخدم العلماء الليزر لإبقائها في مواقع ثابتة.

> تقنية يمكن أن تساعد على تصميم أجهزة محمولة لقياس الجاذبية. وستمنح حرية جديدة للعلماء الذين سيصبحون قادرين على توسيع بحوثهم لتشمل أماكن مختلفة من الأرض

وعُلّقت كل ذرة على ارتفاع يفصلها بضعة ميكرومترات عن الأخرى. فسمح ذلك للعلماء بقياس "ازدواجية الموجة-الجسيم" لكل ذرة عند تأثرها بالجاذبية. وهو مفهوم في ميكانيكا الكمّ، يمكن من وصف كل كلية كمومية بجسيم أو بموجة.

تتمثل ميزة هذه التقنية في قدرتها على مساعدة الفيزيائيين على جمع قدر أكبر من المعلومات الجديدة.

وسيخلّف هذا الزاد المعرفي مجموعة واسعة من الفوائد التي ستمتد إلى كل الفروع العلمية، وقد يساعد في رحلة البحث عن المادة المظلمة. ويفترض العلماء أنها تمثل حوالي 85 بالمئة من إجمالي الكتلة في الكون، إلا أنها لا تتفاعل مع الضوء بأي شكل من الأشكال.

ووفقا لموقع "إنفيرس" العلمي، يصعّب تطبيق نظرية الجاذبية الحالية تفسير الحركيّة في بعض المواقع مثل حدود المجرات الخارجية التي تدور النجوم فيها حول المراكز بنسق أسرع مما تصور الباحثون الذين أرجعوا هذا التباين لوجود مادة مظلمة.

كما قد يمكّن هذا النهج من تصميم أجهزة محمولة لقياس الجاذبية. وسيمنح هذا حرية جديدة للعلماء الذين سيصبحون قادرين على توسيع بحوثهم لتشمل أماكن مختلفة من الأرض للبحث عن الرواسب المعدنية ولتحسين رسم الخرائط.

ووصف الفيزيائي آلان جاميسون من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا الدراسة بأنها "مثيرة للإعجاب".

> حضرت الممثلة البريطانية نعومي واتس حفل افتتاح الدورة الثامنة عشرة لمهرجان مراكش السينمائي الدولي، ودُعيت النجمة الحائزة على جائزة الأوسكار إلى الصعود على المسرح وإعلان بدء الدورة رسميا.

نصير شمه يحتفي بالمواهب الموسيقية في الإمارات

أبوظبي – أحيا الفنان العراقي نصير شمه أمسية موسيقية في مدينة العين الإماراتية، تضمنت مجموعة متنوعة من المعزوفات العربية التراثية المعاد توزيعها بشكل حديث.

ونظمت دائرة الثقافة والسياحة في أبوظبي الأمسية لتسلط الضوء على المواهب الموسيقية المتميزة لخريجي معهد "بيت العود"، الذين أحيوا الحفل برفقة عدد من أساتذتهم.

وضمت الفرقة الموسيقية التي أحيت الأمسية عددا من عازفي العود المتمرسين، بالإضافة إلى خبراء في آلات موسيقية تقليدية أخرى يتم تدريسها في المعهد؛ بما فيها العود والكمان والقانون والتشيللو، وقد رافقها أداء غنائي مميز لعدد من المطربين الموهوبين.

وقال فيصل الظاهري، مدير إدارة الاتصال والعلاقات العامة بالإنابة في دائرة الثقافة والسياحة في أبوظبي، "شهدت الأمسية حضورا جماهيريا لافتا تفاعل مع أداء مايسترو العود العالمي نصير شمه إلى جانب أساتذة وخريجي بيت العود".

وأضاف "الأداء الموسيقي الرائع الذي تضمنته هذه الأمسية، يأتي كدليل واضح على مهارات شمه كفنان مبدع في احتضان المواهب الشابة من خلال أكاديمية بيت العود وما توفره من إمكانيات لصقل هذه المواهب ودعمها في مشوارها الموسيقي والفني بما يتماشى مع مهام دائرة الثقافة والسياحة في أبوظبي في تعزيز ودعم الثقافة الإقليمية".

وأكد "أثبتت هذه الفعالية أننا نحتضن جيلا جديدا من عازفي الموسيقى الكلاسيكية العربية المحترفين".

وأسست دائرة الثقافة والسياحة في أبوظبي "بيت العود" ليفتح آفاقا جديدة أمام جيل الشباب، ويغدو مركزا محليا وعالميا للموسيقى العربية.

فتاة الأربع سنوات، هانا كاليتا، تلتقي سانتا كلوز، في ولاية فلوريدا، أثناء الإضاءة السنوية للأشجار في بيفر كريك، كولورادو، التي تحتضن مهرجان عطلة عيد الميلاد. وتتضمن فعاليات المهرجان أنشطة أخرى من بينها التزحلق على الجليد.

صباح العرب

عدلي صادق

سواتر الخداع

باتت محاولات تخليق انطباعات التقوى، كسواتر لممارسة الفجور، مكشوفة بافتضاح. الأمثلة كثيرة في حياة العرب والمسلمين في بعض بلدانهم. فحيثما تتلوّن الواجهات السياسية والاجتماعية، بمظاهر الاستقامة الدينية، وتطرح خطابا طهرانيا؛ ترصد المجتمعات المطلوب خداعها واعتصارها، خيوط الفسوق، وتتفتح العيون والأذهان على غرائب سلوك، يناقض تماما الخطاب اليومي المزعوم، ويتداول العامة حكايات صادمة تنفجر عن انحرافات فردية، وتكون لكل حكاية رموزها الضالة، التي طفت طويلا على السطح، في إهاب عناصر تأمر بالمعرف وتنهى عن المنكر. وهذا ما يحدث في مجتمعات وأوساط، غابت عنها الشفافية وتفشت التعمية على الحقائق، وغلب فيها الادّعاء بالنزاهة والخُلق القويم. فقد كان للجماعات التي تحكم باسم الدين، النصيب الأوفر من حكايات الافتضاح.

إن أخطر أشكال الانحراف وأفدحها، هي تلك الموصولة بمنظومات الحكم الديني وأصولياته التي تطرح نفسها حارسة للفضيلة، طلبا للمديح والتأييد، ودفعا للذم وتسويغا للهيمنة. لكن هذه حصرا، سرعان ما ينكشف زيفها، وأنها تعمدت الخلط في تفسير الحديث النبوي القائل "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده". فالمال الحلال نفسه، لا يحبّ الله أن يرى أثره على الإنسان استرسالا في التنعم الظاهر والباذخ، ويحب أن يرى الأثر في الصدقة وعمل الخير ونظافة اليد واللسان والثياب. والرسول الكريم نفسه، نهى عن إظهار البذخ وسمّاه التنعّم، ودعا إلى الزهد وقال "إياكم والتنعّم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعّمين"!

الأشخاص الذين يوصفون بكونهم مرجعيات دينية لسلطات حاكمة أو مؤثرة في الحكم والسياسات؛ لا يعرفون الزهد ونظافة اليد، ولا يكفّون عن الاغتراف من مقدّرات الفقراء ولا عن الفحش في الإنفاق والتنعّم خصما من خبزهم. ويتطيّر هؤلاء من فكرة القانون والمساءلة ووضع النقاط على الحروف. وفي الوقت نفسه لا يكفّون عن تسفيه القانون بمفردات دينية، فيسمونه وضعيا، بالمعنى المرذول، كأنما هو ضد رب العالمين وضد العدالة، على افتراض أن العدالة لا تفارق قلوبهم وألسنتهم.

جشع نفوسهم أعمى بصائرهم، فلم تخطر على أذهانهم فكرة انفجار المجتمع أو ثورة الفقراء. وعندما تنفتح بطون الأوطان، وتستحيل إعصارا، ويخرج الحزانى عن أطوارهم، وقد أرهقتهم الفاقة وعذابات الحياة؛ سرعان ما يتهمونهم بالمروق والتواصل مع جهات أجنبية كافرة وخبيثة. ويظل هؤلاء عاجزون عن فهم الدروس وعن القراءة الصحيحة للنتائج التي آلت إليها تجارب الغلوّ وخلق النعرات ومحاولات فرض الوصاية على الدين والإيمان.

أينما تدق الأصوليات أوتاد خيامها، يحل الظلم وتهبّ الرياح المسمومة، ويجري الضحك على الذقون، باسم الفضيلة المزعومة والحكم الربّاني!